كشف التعليم

ابن الحسين الامام



كشف النقاب
عن بعض علوم الكتاب

« تأليف »

فضيلة الأستاذ الشيخ

ابراهيم ابراهيم الامام

(من علماء التخصص فى الوعظ والارشاد)

مدرس وخطيب بمساجد الأوقاف

دار الطباعة المصرية بالزقازيق

(إلى حضرة صاحب الفضيلة سيدى العزيز الشيخ)

ابراهيم ابراهيم الامام

كتاب الله أجدر بالعنايه وأولى بالتعهد والرعايه
وخير الناس أكثرهم عليه محافظة وأكثرهم عنايه
هو النور المبين اذا تجلى محا ظلم الضلالة والغوايه
صراط الله أنزله بيانا على شمس الرسالة والهدايه
حوى الإبداع والاقناع حتى تحدى الخلق أن يأتوا بآيه
فما قدروا عليه وليس بدعا فما لبلاغة المولى نهايه

* * * *

أإبرهيم جئت لنا بسفر بهيج الوشى ملتئم البنايه
حوى علم الكتاب فليس عنه غنى أو بعده للناس غايه
ومثلك من يحدث عن عظيم ولا كحديثك الغالى حكايه
وهل كتفهم القرآن درس يسطره لنا أهل الدرايه
فحدث عنه إبرهيم حدث حديثا شيقا عدل الروايه
جزاك الله أفضل مايجازى به أهل الفضائل والولايه

محمد احمد سالم السنهوتى

شاعر الاشراف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسلا مبشرين ومنذرين . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، المرسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وأصحابه ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأعلى ذكرهم ، ورفع قدرهم وفازوا برضوان رب العالمين .

أما بعد : فيقول أفقر العباد إلى رحمة القدوس السلام ؛ ابرهيم بن ابرهيم ابن محمد الإمام ، غفر الله ذنوبه ، وستر فى الدارين عيوبه : إن أفضل ما يتقرب به المتقربون ، وأشرف ما يتنافس فيه المتنافسون ؛ معرفة كلام رب العالمين الذى نزل به الروح الأمين على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين ، لينذر به قوما خالفوا أوامره وحادوا عن جادته المستقيمة . ويبشر به قوما حكموه فى أقوالهم وأفعالهم ، وباطنهم وظاهرهم ، وأحلوه فى سويداء قلوبهم ، فكان نورا لهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، فعاشوا كراما وماتوا كراما . وإن مما له مساس كبير بمعرفة ذلك الكتاب العزيز مواضع تخيرتها ، قد انشرح صدرى لها ، أذكر فيها أهم ما يحوم حوله ويتعلق به من كيفية نزوله وجمعه وأسمائه وإطلاقه ، وترتيب آياته وسوره ووجه اعجازه ونزوله على سبعة أحرف ؛ وذكر شىء من فضائله ، وبيان حرمة نسيانه

والاعراض عنه ، وآداب السامع والقارىء وبيان مواضع سجوده ، وتفسير آيات اقتضى الحال تفسيرها ، وغير ذلك مما ستقف عليه ان شاء الله تعالى من العلوم النافعة ، والمسائل المفيدة ، لتكون رسالة جامعة ان شاء الله تعالى جمعتها من مصادر عالية ونقول صادقة صافية . مبينا درجة كل حديث فيها ومن رواه من أساطين المحدثين المعول على تخريجهم فى الحديث والقديم كل ذلك لاأبغى جزاء ولا شكورا إلا من مسدى الحسنات وغافر الزلات وشفاعة سيد الكائنات فإنه صلوات الله وسلامه عليه يقول « فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » من حديث رواه الشيخان وقد قوى عندى ذلك الباعث خصوصا فى هذا الزمان الذى انصرف أهل القرآن عنه وتركوه وراءهم ظهريا وهو السراج المنير والسعادة الأبدية ، والكنز الذى لاتنفد علومه ، ولا تنقضى عجائبه بل تتجدد بتجدد الأيام وتقدم المخترعات والمكتشفات تصديقا لقوله تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » فهو الشفاء ولكن الوصول اليه بعيد والسعادة ولكن المتمسك بها قليل

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الشفاء وما اليه سبيل
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

وإنى لأرجو ممن يطلع عليه فيقف على خلل فيه أو عيب أن ينبه عليه فإن العصمة ليست إلا لمن عصمهم الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، خصوصا وانى قليل البضاعة ، ولست من فرسان هذا الميدان ولكن الأعمال بالنيات . وانما لكل امرىء مانوى . وقد قال الإمام مالك

رضوان الله تعالى عليه ، كل واحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر وأشار الى قبر رسول الله ﷺ وإنى ممن يبغض التكلف فى الكلام فلا أغرب ولا أبعد ولا أذكر المعنى الذى لا يتحمله اللفظ ، فإن ذلك هو المجاز لا الحقيقة . والله أسأل أن يكسوه ثوب القبول انه سميع مجيب قريب ومن قصده لا يخيب وقد سميته

(كشف النقاب عن بعض علوم الكتاب)

والله يهدينا سواء السبيل .

ابراهيم ابراهيم الامام

مقدمة فى أسماء القرآن وأطواره

أسماؤه : للقرآن أسماء كثيرة أوصلها بعضهم الى نيف وتسعين اسما أخذ ذلك من الآيات الدالة على ذلك ومنهم من زاد ومنهم من نقص ومرجع ذلك اختلاف أفهامهم فمن نظر الى وصف جاء فى القرآن عده من الأسماء ومن نظر الى أنه ليس بوصف صريح لم يعده وسنذكر طائفة منها ان شاء الله تعالى هى أشهرها كما نص على ذلك كثير من المحققين فمنها الكتاب قال تعالى كتاب أنزلناه اليك ومنها القرآن ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم قال سفيان بن عيينه سمى القرآن قرآنا لأن الحروف جمعت فصارت كلمات والكلمات جمعت فصارت آيات والآيات جمعت فصارت سورا والسور جمعت فصارت قرآنا ثم جمع فيه علوم الأولين والآخرين فعلى هذا يكون مشتقا من الجمعية يقال قرأت الماء فى الحوض اذا جمعته فيه ومنها الفرقان تبارك الذى نزل الفرقان على عبده سمى بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام والمجمل والمبين والمحكم والمؤول ومنها الذكر والتذكرة والذكرى وهذا ذكر مبارك أنزلناه وإنه لتذكرة للمتقين وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل أحسن الحديث شبه بما يتحدث به لأن الله خاطب به المكلفين ومنها الموعظة يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك أنزلناه حكما عربيا حكمة بالغة واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية كالكفر والنفاق وسوء الأخلاق

ومنها الهدى والهادى هدى للمتقين إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ومنها الصراط المستقيم وأن هذا صراطى مستقيما قاله ابن عباس ومنها الحبل واعتصموا بحبل الله جميعا كما قال المفسرون لأن المعتصم به فى أمور دينه يتخلص به من عقوبة الآخرة ونكال الدنيا كما أن المتمسك بالحبل ينجو من الغرق والمهالك ومنها الروح وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا سمى روحا لأنه سبب لحياة الأرواح وسعادتها ومنها القصص لأنه يذكر قصص المتقدمين ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء تلك آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم أى هى أدلة يبصر بها الحق تشبيها بالبصر الذى يرى به طريق الخلاص ومنها الفصل إنه لقول فصل وما هو بالهزل لأنه يفصل بين الناس يوم القيامة فيهدى قوما الى الجنة ويسوق آخرين الى النار فمن جعله أمامه فى الدنيا قاده الى الجنة ومن جعله وراءه ساقه الى النار ومنها النجوم فلا أقسم بمواقع النجوم لأنه نزل نجما نجما ومنها المثانى مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لأنه ثنى فيه القصص والأخبار ومنها النعمة وأما بنعمة ربك فحدث . قال ابن عباس يعنى به القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم وكيف لايكون برهانا وقد عجزت الفصحاء عن أن يأتوا بمثله ومنها البشير والنذير بشيراً ونذيراً مبشراً بالجنة لمن أطاع ومنذراً بالنار لمن عصى ومنها القيم قيما لينذر بأساً شديدا من لدنه وسمى قيما لأنه قائم بذاته فى البيان والافادة ومنها المهيمن وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه سمى مهيمنا لأنه شاهد بصحة ماتقدمه من الكتب والمهيمن الشاهد ومنها الهادى إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم

ومنها النور واتبعوا النور الذى أنزل معه يعنى القرآن ومنها الحق وانه لحق اليقين فسماه الله حقا لأنه ضد الباطل ومنها العزيز وإنه لكتاب عزيز وللعزيز معنيان أحدهما القاهر والقرآن كذلك لأنه هو الذى قهر الأعداء وامتنع على من أراد معارضته والثانى من لامثل له ومنها الكريم إنه لقرآن كريم لأن من تمسك به كرم عند الله والناس ونال الثواب الكريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ومنها المبارك وهذا ذكر مبارك أنزلناه فهذه طائفة من أسماء القرآن الكريم ولقد ذكر بعض العلماء له أسماء كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم

وأما تسميته بالمصحف فقد أخرج ابن اشته فى كتاب المصاحف من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال لما جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق قال أبو بكر التمسوا له اسما فقال بعضهم السفر وقال بعضهم المصحف فإن الحبشة يسمونه المصحف وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله تعالى وسماه المصحف

قسم القرآن الى أربعة أقسام وجعل لكل قسم منه اسم أخرج احمد وغيره من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الانجيل المثانى وفضلت بالمفصل وسيأتى لذلك مزيد بحث إن شاء الله تعالى

ويطلق القرآن الكريم على الكلام النفسى القديم القائم بذاته تعالى المنزه عن الصوت والحرف والتقديم والتأخير وما الى ذلك من صفات الحدوث بمعنى أن مدلول القرآن بعض مدلول الكلام النفسى القديم وهذا

الاطلاق يتكلم به علماء الكلام لأنهم يبحثون عن صفات الله عز وجل القديمة الأزلية ويطلق على الكلام المعجز المنزل على النبى ﷺ المتعبد بتلاوته المكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر وهذا الاطلاق للأصوليين والفقهاء وعلماء العربية لأن غرضهم الاستدلال على الأحكام وسر الاعجاز وذلك لايعرف الا من الألفاظ ولا خلاف بين العلماء أنه لايجوز أن يقال القرآن حادث مرادا به المعنى الأول لما يلزم على ذلك من المحال وهو قيام الحادث بالقديم ، أما القرآن بالمعنى الثانى فيطلق عليه ذلك إلا أنه فى مقام التعليم والبيان فقط لأن القرآن باعتبار ذاته أزلى ليس بمخلوق كما تقدم وانما المخلوق الحادث القراءة والكتابة والتنزيل لا المقروء ولا المكتوب ولا المنزل ولأن هذا القول بدعة مستنكرة أمسك عن التلفظ به السلف الصالح فلم يتلفظ به أحد منهم لأن اطلاق الحدوث عليه بالمعنى الثانى وإن كان صحيحا إلا أنه يوهم ارادة المعنى الأول وبهذا يسهل معنى قوله تعالى ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون و « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » فكل ذلك محمول على الألفاظ وكذا قول السيدة عائشة مابين دفتى المصحف كلام الله تعالى بمعنى أنه لادخل لأحد فى تركيبه وتنسيقه وانما هو خلق الله تعالى وتأليفه والقرآن كما يطلق على الكل يطلق على البعض فمن قرأ اللفظ المنزل كله يقال أنه قرأ قرآنا وكذلك يقال لمن قرأ ولو آية منه ولذا يقول الفقهاء يحرم قراءة القرآن على الجنب لافرق عندهم بين قراءة كله أو بعضه

نزول القرآن جملة

قال الله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة » « انا أنزلناه فى ليلة القدر »

اختلف العلماء فى كيفية نزوله من اللوح المحفوظ على أقوال ثلاثة :

الأول : أنه نزل الى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما . صح هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة رواها الحاكم والبيهقى والنسائى وابن أبى حاتم وابن أبى شيبة وغيرهم

والثانى : أنه نزل الى السماء الدنيا فى كل ليلة قدر بقدر ماينزل فى تلك السنة ثم ينزل منجما فى جميع السنة . وهذا الرأى ذكره الامام فخر الدين الرازى احتمالا ، قال ابن كثير : وهذا الذى جعله احتمالا نقله القرطبى عن مقاتل ابن حيان وبه قال الحليمى والماوردى ويوافقه قول ابن شهاب آخر القرآن عهدا بالعرش آية الدين

الثالث : أنه ابتدىء انزاله فى ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجما ، وبه قال الشعبى - والأصح الأشهر من هذه الأقوال الاول ، ولذا قال ابن حجر فى شرح البخارى بعد أن ذكر هذه الأقوال : والاول هو الصحيح المعتمد بل جاء عن ابن كثير أنه حكى الاجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا وقال أبو شامة : الظاهر أن نزوله جملة الى السماء الدنيا قبل ظهور نبوته ﷺ قال ويحتمل أن يكون بعدها والسر فى انزاله جملة الى السماء الدنيا تفخيم أمره وأمر من نزل عليه ، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزل على خاتم

الرسل لأشرف الأمم قد قربناه اليوم لننزله عليهم ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله اليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به الى الأرض جملة كسائر الكتب ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين إنزاله جملة ، ثم انزاله مفرقا تشريفا المنزل عليه . ذكر ذلك أبو شامة فى المرشد الوجيز . وقال الحكيم الترمذى والإمام السخاوى كلاما من نوع هذا وهو من النفاسة بمكان وأما نزوله منجما على رسول الله ﷺ فاختلف فى زمنه . فقيل فى عشرين سنة ، وقيل فى ثلاث وعشرين ؛ وقيل فى خمس وعشرين والتحقيق كما ذكره بعض المحققين . أنه نزل فى اثنين وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوما ، وذلك أنه نزل فى ليلة اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده ﷺ حيث نزل عليه بغار حراء « بسم الله الرحمن الرحيم . اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق « اقرأ وربك الأكرم « الذى علم بالقلم « علم الانسان مالم يعلم » الى تاسع ذى الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة حيث أوحى اليه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » فتكون المدة بين البدء والختام ماذكر وعاش ﷺ بعدها احدى وثمانين ليلة وسيأتى مزيد بحث لذلك إن شاء الله تعالى

والسر فى نزوله منجما آية أو آيات أو بعض آية أو سورة أمور منها ماذكره الله تعالى بقوله « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » أى كما أنزل على الرسل فأجابهم تعالى بقوله « كذلك » أى أنزلناه مفرقا « لنثبت به فؤادك » أى لنقوى به قلبك فإنه يقوى بتجدد الوحى إذ يلزم منه كثرة نزول الملك وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة

من الكبير المتعال فيحدث له من السرور ماتقصر عنه العبارة . وقيل معنى لنثبت به فؤادك ، أى لتحفظه فإنه عليه الصلاة والسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع - ومنها أن منه الناسخ والمنسوخ . ومنه ماهو جواب لسؤال ومنه ماهو انكار على قول قيل أو فعل فعل ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان منجما. ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما « نزل القرآن جملة حتى وضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا ونزله جبريل على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم » ومنها أن يرددوه على أسماعهم ليكون ذلك أدعى للإعجاز ولتتوفر دواعيهم على المعارضة حتى لايكون لهم عذر ، ولا يفوتهم الاطلاع على عيب إن كان فيه أو نقد إن كانت فى استطاعتهم فلم يفوهوا بشىء من ذلك ، بل تخبطوا كفرا وعنادا : فمرة قالوا أساطير الأولين وأخرى قالوا سحر وكهانة إلى آخر ماقالوا شأن المتخبط الضال الذى لا يستقيم على وجهة واحدة (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فكان ماينزل على الرسول يكتبه أصحابه على ماتيسر لهم إذ ذاك من جريد النخل وصفائح الحجارة الرقاق وقطع من الجلود والعظام الغليظة وغير ذلك فكان مفرقا فى هذه ولكنه كان محفوظا فى صدور الرجال مرتبا كما هو الآن وكان فى القوم من عرض القرآن على رسول الله ﷺ وآخرهم زيد بن ثابت الذى رضيه رسول الله ﷺ أن يكون كاتبا الوحى وشهد له أبو بكر بصفات هى ينبوع الفضائل ومنتهى العدالة حين استدعاه لجمع القرآن فى خلافته فإنه قال له « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ » ومات الرسول والأمر على ذلك وبموته ارتدت

العرب الا قليلا ومنعوا الزكاة وادعى قوم النبوة وكان مسيلمة الكذاب ادعاها فى حياة رسول الله ﷺ ولم يكن له إلا كما يكون لليل البهيم عند ظهور الشمس فى رابعة النهار . فلما سمع بموت الرسول رأى أن الفرصة سانحة له بالسير فى طريقه المعوج ولم يعلم بأن هذا الدين مشمول بحفظ الله له الى قيام الساعة فلما تولى الصديق الأكبر الخلافة وجه عنايته لمحاربة من ذكر وفيهم هذا الكذاب فوجه اليه جماعة من الصحابة تحت قيادة خالد بن الوليد فحاربوه أشد محاربة الى أن خذله الله وقتله ومات فى هذه كثير من الصحابة وكان منهم قوم كثيرون من حفظة كتاب الله تعالى فأفزع عمر موتهم وخشى ان جاءت غزوة كهذه وما قضت على البقية الباقية من حفظة كتاب الله تعالى فيكون مالا تحمد عقباه فتوجه الى أبى بكر وأشار عليه أن يأمر بجمع القرآن مخافة أن يذهب بكثير منه ان استحر القتل فيهم فتوقف أبو بكر وقال كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ فلم يزل يراجعه عمر حتى شرح الله صدره لذلك ورأى رأى عمر فأرسل الى زيد بن ثابت وأمره أن يجمع القرآن فكان ذلك على زيد أثقل من نقل جبل كما قال والله لو كلفونى بنقل جبل ما كان أثقل على من جمع القرآن ، وكان عمر بن الخطاب وقتئذ عند أبى بكر فقال زيد « كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ فلم يزل أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره لما شرح به صدر أبى بكر وعمر فتتبع ما كتبت فيه الآيات والسور فى زمن رسول الله ﷺ ولم يكتف بحفظه مبالغة فى الاحتياط وكان لايقبل من أحد مكتوبا الا بعد قيام شاهدى عدل على أن ذلك كتب بين يدى رسول الله ﷺ حتى وجد « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآيتين من آخر براءة مع أبى خزيمة

الأنصارى ولم يجدها عند أحد أول ما كتب حتى جاء الحارث بن خزيمة بها فقال أشهد أنى سمعتها من رسول الله ﷺ ووعيتها فقال عمر وأنا أشهد لقد سمعتها فأثبتها أخرج ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه . قال ابن حجر وكان المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب وقال السخاوى فى جمال القراء المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ أو المراد على أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن قال أبو شامه وكان غرضهم ألا يكتب الا من عين ما كتب بين يدى النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ قال ولذلك قال فى آخر سورة التوبة لم أجدها مع غيره أى لم أجدها مكتوبة مع غيره لأنه كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة قال السيوطى أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته واستمر على هذا الى أن أتم جمعه فى صحف هذا ما كان فى عهد أبي بكر رضى الله تعالى عنه فبقيت هذه الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر ثم عند حفصة بعده لأنها كانت وصية فاستمر ما كان عنده عندها فلما كانت خلافة عثمان وجاء اليه حذيفة بن اليمان من غزو أهل الشام فى فتح ارمينية وأزربيجان مع أهل العراق قبل أن يدخل بيته قال ياأمير المؤمنين ادرك الناس قال وما ذاك ؟ قال ان اهل الشام يقرءون القرآن بقراءة أبى بن كعب فيأتون بما لم يسمع اهل العراق وان اهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع اهل الشام فيكفر بعضهم بعضا . وانضم الى مارآه حذيفة مارفع الى عثمان ان شيئا من ذلك

يكون بين المسلمين الذين يقرئون الصبية ويأخذونهم بحفظ القرآن فيتمارون في خلاف فيعيب كل قراءة الآخر فأعظم رضى الله تعالى عنه أمر هذه الفتنة وأراد أن يجمع الناس على مصحف واحد لأن الاختلاف فيه كفر ومزرعة الى ضياعه ومساغ الى التحريف والتبديل فأرسل الى حفصة ان ترسل اليه الصحف لينسخها ثم يردها اليها ، فأرسلت بها اليه فجمع من اجلاء الصحابة جماعة لينسخوها . ذكر البخارى انهم أربعة هم : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وجاءت رواية اخرى انهم اثنا عشر رجلا . فقال عثمان من اكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول ﷺ زيد بن ثابت . قال فأى الناس أفصح ؟ قالوا سعيد بن العاص قال عثمان فليمل سعيد وليكتب زيد . فنسخوها فى المصاحف . قال للرهط القرشيين : اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم .

والمراد بالاختلاف ، الاختلاف فى كتابة الفاظه ورضعها . وقد كان ذلك فقد اختلفوا فى كتابة التابوت أى بالتاء المربوطة ورفع هذا الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش ، فلما تم نسخ المصحف ردها عثمان الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه ان يحرق قال ابن حجر وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين قال وغفل بعض من ادركناه فزعم انه كان فى حدود سنة ثلاثين ولم يذكر له مستندا

واختلف فى عدة المصاحف التى ارسل بها عثمان الى الآفاق : المشهور انها خمسة وقيل أربعة وقيل سبعة . فأرسل الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة والى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا . ذكر هذا

الأخير أبو حاتم السجستانى

هذا ما كان من جمع القـــرآن الكريم من الامامين الجليلين أبى بكر وعثمان فجزى الله أصحاب سيدنا محمد عن هذا الدين خير الجزاء

والفرق بين جمعهما كما قال ابن التين وغيره أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعا فى موضع واحد فجمعه فى صحائف مرتبا لآيات سوره على ماوقفهم عليه النبى ﷺ وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القـــرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتبا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم ، وإن كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة الى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة

قاله فى الفتح على البخارى ، ومثل هذا للحارث المحاسبى فإنه قال : المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القرآن فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن . فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق . وقد قال على · لو وليت لعملت بالمصاحف التى عمل بها عثمان فلله الحمد والمنة على انجاز ماوعد من حفظ القرآن الحكيم على يد هؤلاء الخيرة البررة ، إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، والله أعلم

ترتيب آيات القرآن وسوره

لاخلاف بين المسلمين فى أن ترتيب آيات القرآن على هذا النحو الذى نقرؤه كان بتوقيف من الله تعالى لنبيه ﷺ لامجال للرأى والاجتهاد فيه فقد كان جبريل يدل النبي ﷺ على مكان الآية ، وكان النبي يأمر كتاب وحيه أن يضعوها كما أمره الله ، وكان جبريل يدارسه القرآن كل عام مرة الا عام وفاته فمرتين ، وقد حفظته الصحابة كما حفظه النبي ﷺ يدل على ذلك أحاديث كثيرة منها مارواه الامام احمد باسناد حسن عن عثمان بن أبى العاص . قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ اذ شخص ببصره ثم صوبه ، ثم قال : أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية ومنها مارواه البخارى عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غيراخراج » نسختها الآية الأخرى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » فلم تكتبها أو تدعها . شك الراوى . ومعنى أو تدعها أى مكتوبة وكان ابن الزبير يظن أن مانسخ حكمه تنسخ تلاوته - فقال ياابن أخى لاأغير شيئا من مكانه ، فهذا دليل على أن مكانها تلاوة ووضعا هو مكانها فى هذه السورة فلم يغيرها من مكانها ، ومنها مارواه مسلم عن عمر قال ماسألت النبى ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبع فى صدرى وقال تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء « أى يستفتونك فى النساء » الآية فتجد النبى ﷺ قد عين موضعها من السورة وإنما قال النبى ﷺ آية

الصيف لأن فى الكلالة أنزل آيتان احداهما فى الشتاء وهى قوله تعالى وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة الآية والأخرى فى الصيف وهى قوله تعالى يستفتونك فى النساء الآية. وفى آية الصيف من البيان ماليس فى آية الشتاء ولذلك أحاله عليها ومنها مارواه احمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قلت لعثمان ماحملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما فى السبع الطوال ؟ فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان اذا نزل عليه الشىء دعا ببعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل مانزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها فى السبع الطوال ومنها مارواه مسلم عن أبى الدرداء مرفوعا « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال »

ومنها غير ذلك ولذا قال أبو جعفر بن الزبير فى مناسباته : ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين . وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار : ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازب ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا فى موضع كذا

وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبى ﷺ

وأما ترتيب السور ففيه خلاف بين العلماء . وأشهر مذاهبهم فى ذلك ثلاثة :

الأول . أن ترتيبها كان بتوقيف من النبي ﷺ ؛ إلا الأنفال وبراءة فإن وضعهما فى موضعهما كان باجتهاد عثمان رضى الله عنه ؛ ووافقه عليه الصحابة يدل على ذلك الحديث المتقدم الذى رواه الامام احمد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما وفيه سؤاله عثمان لأى شيء قرنت بين الأنفال وبراءة فأجابه بقوله فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما . وما رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه يقول فى بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء أنهن من العتاق الأول وهن من تلادى يريد أنهن من قديم ما نزل وأنهن من أول ما حفظ من القرآن وما رواه البخارى أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ . قل هو الله أحد والمعوذتين ، وما رواه مسلم أنه ﷺ قال : « اقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران » فهذه الأحاديث تدل على أن ذلك كان بتوقيف لما عدا السورتين وممن ذهب الى هذا البيهقى المحدث فى كتابه المدخل والسيوطى فى كتابه الاتقان — ونص عبارتهما : قال البيهقى «كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق وقال السيوطى بعد أن ذكر أدلة على هذا من الأحاديث قلت ومما يدل على أنه توقيفى كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسيم ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ، ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص والذى ينشرح له الصدر ما ذهب اليه البيهقى وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفى إلا براءة

والأنفال . ولا ينبغى أن يستدل بقراءته ﷺ سورا ولاء . على أن ترتيبها كذلك ، وحينئذ فلا يرد حديث قرأته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور فى القراءة ليس بواجب ولعله فعل ذلك لبيان الجواز

الرأى الثانى : أن اتساق السور كاتساق الحروف والآيات كان بتعليم النبى ﷺ . وقد ذهب الى هذا طائفة من العلماء منهم أبو بكر ابن الانبارى فإنه قال « أنزل الله القرآن كله الى السماء الدنيا ثم فرقه فى بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ويوقف جبريل النبى ﷺ على موضع الآية والسورة ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبى ﷺ فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن ومنهم الكرمانى فى البرهان قال : « ترتيب السور هكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ومنهم أبو جعفر النحاس والطيبى وغيرهم .

الرأى الثالث : أن ذلك كان باجتهاد الصحابة . واستدلوا بذلك على أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة فى ترتيبها . وهذا الاستدلال ضعيف لأنه معارض بما ثبت فى الأحاديث الصحيحة كما تقدم . وبأن زيد بن ثابت الذى رضيه عثمان لجمع المصحف قد شهد العرضة الأخيرة للقرآن . وليس معقولا أن يحدث من عنده ترتيبا للسور غير ماعلمه رسول الله ﷺ لأنهم كانوا أحرص الناس على سننه وهديه فلا بد أن يكون ترتيبه للسور هو عين ماتلقاه من الرسول ﷺ وممن ذهب الى هذا القول ،الامام مالك والقاضى أبو بكر فى أحد قوليه والله أعلم

وجه اعجاز القرآن

إن الله سبحانه وتعالى أيد سيدنا محمدا ﷺ بالآيات البينات والمعجزات الباهرات وجعل أعظم معجزاته القرآن الكريم . فهو النعمة الخالدة والضياء المبين وكلام الله لفظه ومعناه فلا دخل لمخلوق فى ترتيبه وتنسيقه ولا فى كلمة منه ولا حرف . وإنما هو تنزيل من حكيم حميد تحدى به رسول الله ﷺ وهو النبى الأمى فصحاء العرب وهم فرسان البلاغة وذوو الابداع فى تلك الصناعة . فتقهقروا أمامه ، واعترفوا أنه ليس من كلام البشر ولكنهم كفروا عنادا واستكبارا ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وذلك أمر الله وكان أمر الله قدرا مقدورا .

والدليل على عجزهم مع توافر الدواعى والبواعث أنهم لو أتوا بما يعارض القرآن لاشتهرت معارضتهم ونقلت الينا ولكنها لم تنقل فثبت عجزهم وأما توفر دواعيهم فما لاشك فيه . وبيان ذلك أن النبى ﷺ طلب منهم ترك دينهم والتنازل عن رئاستهم واعتناق دين الحق والانقياد لأوامره مع كونها توجب مشقة تلحق البدن ونقصا فى الأموال وتركا لعبادة الأصنام التى هى أحب اليهم من أنفسهم ولم يكن النبى ﷺ فى ذلك الوقت ذا جاه ولا قوة بحيث تخشى العرب سطوته وقوته وقهره . ومع هذا فقد كانوا متصفين بالشجاعة وكانوا أهل فصاحة وبلاغة فكانت هذه الدواعى متوفرة من كل جانب ولم يتمكنوا من الإتيان بما يعارض القرآن فذلك دليل عجزهم . وقد سلك الله تعالى بهم فى التحدى طريق التدلى قطعا لحجتهم فتحداهم أولا بالقرآن كله قال تعالى « فليأتوا بحديث مثله » ثم بعشر

سور مثله . قال تعالى « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » ثم بسورة من مثله قال تعالى « فأتوا بسورة من مثله » فما فاهوا بكلمة ولا نطقوا بشيء يقاربه وإذا عجزوا وهم كما تعلم وقد نزل القرآن بلغتهم فغيرهم ممن لا علم لهم بأساليب الكلام البليغ أعجز . وقد اختلف العلماء في تعيين الجهة التي كان بها معجزا وخارقا للعادة على أقوال كثيرة منها : خلوه من المناقضة وهو فاسد لأوجه كثيرة منها أن الاجماع منعقد على أن التحدى بكل واحدة من سور القرآن وقد يوجد في كثير من الخطب والرسائل والشعر مايكون في مقدار سورة خاليا من التناقض فيلزم أن يكون معجزا وليس الأمر كذلك . ومنهم من قال اشتماله على الأمور الغيبية وهو فاسد أيضا لأنه يؤدى إلى أن المانع للعرب عن معارضته عدم علمهم بالأمور الغيبية فكان من حقهم أن يقولوا إنا متمكنون من المعارضة ولكنه اشتمل على مالا يمكننا ، ولكنهم لم يقولوا ذلك فكان دليلا على بطلان ذلك القول .

ومنهم من قال بالفصاحة وفسرها بالسلامة من التعقيد وهو فاسد لأن كثيرا من شعر العرب وخطبهم ورسائلهم ليس في ألفاظه تعقيد فلو كان الإعجاز من هذه الجهة لكان كثير من كلام العرب معارضا للقرآن . وأيضا لو كان وجه الاعجاز هو الفصاحة المفسرة بالمعنى السابق لكان قول بعض العرب : القتل أنفى للقتل مساويا لقوله تعالى « ولكم في القصاص حياة » وليس الأمر كذلك . وقال بعضهم : إن جهة الاعجاز هى تجدد المعانى كلما تأمل الناظر في ألفاظه وهذا فاسد أيضا . لأن تجدد المعانى عند تكرار التأمل ليس خاصا بالقرآن فإن كثيرا من الكتب المتقنة تأليفا في أى فن من الفنون كلما تجدد فيها النظر ظهرت معان جديدة في كل مرة ، فكان اللازم

أن تكون معارضة للقرآن وليس كذلك . وأيضا فإننا نرى بعض الآيات مهما كرر الانسان النظر فيها لا تفيد إلا معنى واحدا مثل قوله تعالى « وإلهكم إله واحد » فإنها تفيد اثبات الوحدانية لله تعالى فلا يتجدد فيها معنى بالتأمل فيها وقال بعضهم ان الوجه فى اعجاز القرآن هو البلاغة وفسرها باشتماله على وجوه الاستعارة والتشبيه والفصل والوصل والتقديم والتأخير والإضمار والذكر الى غير ذلك وهو خطأ لأن القرآن معجز باعتبار ألفاظه ومعانيه جميعاً وقيل غير ذلك .

والمختار الذى ذكره المحققون أن المدار فى اعجاز القرآن على اربعة امور مجتمعة

الأول: حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وبلاغته شهد بذلك أعداؤه . سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » الآية فقال . والله إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ، مايقول هذا بشر .

وذكر أبو عبيدة أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ « فاصدع بما تؤمر » فسجد وقال . سجدت لفصاحته

وسمع آخر رجلا يقرأ « فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا » فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وحكى الاصمعى أنه سمع كلام جارية فقال لها : قاتلك الله ماأفصحك . قالت أو بعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » الآية فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين . فالأمران أرضعيه وألقيه . والنهيان ولا تخافى ولا تحزنى . والخبران وأوحينا ، فإذا خفت . وقيل الخبران والبشارتان إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين .

فهو خبر من جهة وبشارة من جهة . وإذا تأملت قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة » وقوله تعالى « ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » وقوله تعالى « ادفع بالتى هى أحسن السيئة » وغير ذلك استبان لك حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته

الوجه الثانى · صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب ، المخالف لأساليب كلام العرب نظمها ونثرها لخارت فيه عقولهم ، ولم يهتدوا إلى مثله فى جنس كلامهم بل كانوا يطعنون فيه جحودا واستكبارا ، فقد جاء أن الوليد بن المغيرة لما حان موسم الحج جمع قريشا وقال : إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا . فقالوا : نقول كاهن . قال : والله ماهو بكاهن . ماهو بزمزمته ولا سجعه . قالوا : نقول مجنون . قال . ماهو مجنون ولا بخنقه ووسوسته . قالوا نقول شاعر . قال ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريظه ومبسوطه ومقبوضه ماهو بشاعر . قالوا . فنقول ساحر . قال ماهو بساحر ولا نفثه ولا عقده . قالوا فما نقول ؟ قال . ماأنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل وان أقرب القول فيه أنه ساحر . فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته . فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس . فأنزل الله تعالى فى الوليد « ذرنى ومن خلقت وحيدا » الآيات من سورة المدثر

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : ياقوم : قد علمتم أنى لم أترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته . والله لقد سمعت قولا ماسمعت مثله قط . ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة

وأمثال هذا مما جاء عنهم كثير . قال تعالى « فإنهم لايكذبونك ولكن

الظالمين بآيات الله يجحدون »

الوجه الثالث : من الاعجاز ماانطوى عليه من الإخبار بالغيبات فوجد على الوجه الذى أخبر كقوله تعالى « لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين » الآية . وقوله تعالى « وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » وقوله تعالى « ليظهره على الدين كله » وقوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض » الآية . وقوله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح » السورة . وغير ذلك فكان كما قال ، فغلبت الروم فارس فى بضع سنين ودخل الناس فى الاسلام أفواجا فما مات رسول الله ﷺ وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام . واستخلف المؤمنين فى الأرض ومكن لهم فيها دينهم وملكهم اياها شرقا وغربا تصديقا لقوله ﷺ (زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها) من حديث فى الصحيح . وكقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فكان كذلك . فإن الاعداء الألداء ما استطاعوا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه . وكقوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وكقوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) وقوله عز من قائل (إنا كفيناك المستهزئين) ولما نزلت بشر النبى ﷺ أصحابه بذلك وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا . وكقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والأخبار بذلك صحيحة معروفة

الوجه الرابع : ماأنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لايعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أخبار

أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى ﷺ على وجهه فيعترف العالم بذلك بصدقه وصحته وأن مثل ذلك لم ينله بتعلم وقد علموا أنه ﷺ أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا غاب عنهم ولا جهله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا مايسألون عن هذا فينزل عليه من القرآن مايتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف مع اخوته وأصحاب الكهف وذى القرنين وأشباه ذلك ولم يقدروا على تكذيب شىء منها بل أذعنوا لها فمن موفق آمن ومن شقى عاند واستمر على كفره ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم أنه أنكر ذلك أو كذبه ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير) الآيات

— هذه هى أبين وجوه الاعجاز .. وقد ألحق بها خامس وهو الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته وقد خص بذلك حتى لمن لا يفهم معناه ولا يعلم تفسيره وما ذلك الا اسر فيه وأمر ربانى ولذلك يثاب قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره وقد ذكر القاضى عياض فى شفائه أن نصرانيا مر بقارىء يتلو القرآن جهرا فوقف ليسمع قراءته وهو يبكى فقيل له مم بكيت فقال للشجى والنظم . والمراد بالشجى الطرب وبالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فأثر ذلك فى نفسه وهو لا يفهمه حتى أبكاه وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام عند سماعهم

القرآن فمنهم من أسلم لهذه الروعة لأول وهلة وآمن به وصدقه ومنهم من كفر روى البخارى ومسلم عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى صلاة المغرب بالطور وذلك قبل اسلامه حين جاء الى المدينة ليكلم النبى ﷺ فى أسارى بدر قال فلما بلغ هذه الآية «أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون » الى المسيطرون كاد قلبى أن يطير . أى حدث عنده فزع وخوف شديد حتى ظن أن قلبه يفنى ويطير . وذكر بعضهم من وجه اعجازه أن قارئه لا يمله ولو أعاده مرارا مع أن القلوب جبلت على معاداة المعادات بل لا يزداد بتكراره إلا حلاوة وترديده يوجد له محبة وحسنا وقبولا ، ولا يزال غضا طريا لا تتغير بهجته ونضارته ، فكأنه فى كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة ما بلغ يمل من الترديد ويعادى اذا أعيد وكتابنا يستلذ به فى الخلوات ، ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات . وقد ذكر القاضى عياض فى شفائه طائفة كثيرة من وجه اعجازه فارجع اليه ان شئت فإنه أفاد وأجاد . ولله در الامام البوصيرى حيث يقول فى همزيته :

أعجز الإنس آية منه والجـ ـن فهلا تأتى به البلغاء

كل يوم تهدى الى سامعيه معجزات من لفظه القراء

تتحلى به المسامع والأفـ ـواه فهو الحلى والحلواء

رق لفظا وراق معنى فجاءت فى حلاها وحليها الخنساء

الى أن قال :

كم أبانت آياته من علوم عن حروف أبان عنها الهجاء

فهى كالحب والنوى أعجب الزرا ع منها سنابل ، وزكاء ،

فأطالوا فيه التردد والريـ ب وقالوا سحر وقالوا افتراء

واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء

واذا ضلت العقول على علـ م فماذا تقوله النصحاء

ومعنى أعجز الانس البيت أن القرآن الكريم أعجز الإنس والجن أن يأتوا بآية منه ثم وبخ من يزعم المعارضة كبعض أهل الضلال والإلحاد فقال « فهلا تأتى به البلغاء » فهلا معناها التوبيخ والتهكم

واختلفوا فى القدر المعجز . فالذى عليه الجمهور أن أقل ماوقع به التحدى أقصر سورة منه وهى ثلاث آيات إذ هى أقل ماطلب ﷺ منهم أن يأتوا بمثله . وقال غيرهم : إن العجز وقع بآية وعليه القاضى عياض . لأن المشاهدة قاضية بأنهم عجزوا عن بعض الآية المفيدة لأن فى ارتباطها بما قبلها ومابعدها أنواعا من بدائع الحكم لايحيط بها غيره ﷺ ولذا قال العلامة ابن حجر : فالحق أنهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته حتى « ثم نظر » أو بعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها . وأما التصريح بأنه لم يقع العجز إلا عن ثلاث آيات فترده المشاهدة الخارجية إذ لم يسمع عن أحد قط أنه حاكى شيئا ولم يذكر الملائكة تبعا للآية الشريفة والحكمة فيه قيل لأنه ﷺ لم يرسل اليهم ورد بأن الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم إنهم منوبون فى الآية أيضا وانهم لايقدرون على معارضته وكأن حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم

ومعنى كل يوم تهدى البيت : أن القرآن الكريم لما اشتمل عليه من

العلوم الكثيرة والمغيبات وأحوال العالم الدنيوى والأخروى كل وقت وحين تهدى القراء الى سامعيه معجزات من لفظه لعذوبته وجزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة أخباره الصادرة تارة عن الأمم الماضية وأخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التى لا يمكن حصرها

ومعنى باقى الأبيات : أن القرآن تتحلى بسماعه المسامع من التحلية وتتحلى بألفاظه الأفواه من الحلواء فهو الحلى راجع الأول والحلواء راجع للثانى . رق لفظا أى حسن لفظه فلا نجد لفظة منه فيها ماينافى الكمال الموجب للفصاحة . وراق معنى : أى تصفى من شوائب النقص من جهة معناه فلا نجد معنى من معانيه الا وهو واصل فى الإحكام ووضوح المراد الغاية التى مابعدها غاية فبسبب ذلك جاء كأنه فى حلاها أى صفتها وحليها أى زينتها الخنساء والمعنى أنه شبه سور القرآن فى صفاتها العلية وتزيينها بما أودعته من الأسرار البهية بامرأة بلغت فى الزينة وأوصاف الحسن الا يمكن التعبير عنه

ومعنى كم أبانت آياته البيت : أن آيات القرآن الكريم أوضحت علوما كثيرة عن حروف قليلة بالنسبة اليها أبان . أى كشف عنها . الهجاء ، أى التهجى . ولذا قال تعالى « مافرطنا فى الكتاب من شىء » وروى الترمذى وغيره أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم » ومن ثم قال الشافعى رضى الله عنه « جميع ماتقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن » وسيأتى فى مبحث شبه الطاعنين زيادة على هذا إن شاء الله تعالى . وقوله فهى

كالحب البيت : يعنى أن آيات القرآن وان كثرت معانيها وأحكامها لا يستبعد منها ذلك وإن كانت قليلة بالنسبة لما يستفاد منها لأن لها مثالا يقربها نوعا ما وذلك هو أنها كحروف أسماء الأعداد فإنها مع حصرها لا ينتهى الوهم إلى المعدود بها . ولك أن تقول هى كالحب الذى يلقيه الزراع والنوى الذى يلقيه الغارس بالأرض فينشأ عن الأول من السنابل والحبوب والثانى من الثمر مالا يحصى وفى هذه الحالة أعجب السنابل والزكاء أى النمو الكائن من تلك الزروع والاشجار الزراع والغراس لكثرته وخروجه عن حد العد والاحصاء وهو متفرع عن حب ونوى قليل ، فكذلك حروف القرآن وإن قلت يحصل منها من العلوم والمعارف مالا يحصى والله أعلم

فائدة

هل القرآن محكم أو متشابه ؟

قال جماعة من العلماء انه محكم لظاهر قوله تعالى « أحكمت آياته » وقال آخرون انه متشابه للآيات الدالة على ذلك . ولكن الأصح كما قال ابن حجر انقسامه اليها . والمراد بأحكمت آياته . أى أتقنت وتنزهت عن نقص يلحقها وبتشابهه أنه يشبه بعضه بعضا فى الحق والصدق والاعجاز . ثم المحكم ماعرف المراد منه قيل ولو بالتأويل والمتشابه مااستأثر الله تعالى بعلمه كالساعة والحروف المقطعة أوائل السور — ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشؤهما هل الوقف على « والراسخون فى العلم » وعليه طائفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس . وقال النووى إنه الأصح . وابن الحاجب أنه المختار — وأما الأكثرون من الصحابة فمن بعدهم يقفون على « وما يعلم

تأويله الا الله ، وهو أصح الروايات عن ابن عباس . وعد ابن السمعانى اختيار الأول هفوة . ومن المتشابه ذكر آيات الصفات التى فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين . وجمهور أهل السنة منهم أكثر السلف وأهل الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلف الى تأويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال ، والذى نرتضيه دينا وندين الله به عقد اتباع سلف الأمة . فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها ، وتبعه ابن الصلاح وقال كلاما نحوه . وتوسط ابن دقيق العيد فقال ، يقبل التأويل ان قرب فى لسان العرب نحو على مافرطت فى جنب الله أى فى حق مايجب له لا إن بعد كتأويل استوى باستولى

شبه الطاعنين
(فى القرآن وردها)

ان ضعف الايمان وبعد الناس عن الدين وتعاليمه جعل أهل الإلحاد يحوسون البلاد ويلقون شبها على الكتاب العزيز ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولوكره الكافرون ، وانما للفائدة وحرصا على الخير أحببت أن أذكر مااشتهر على ألسنتهم وأجيب عنه ليكون القارىء على بينة من ذلك حتى اذا مابدت له شبهة كما يظنون دمغها بحجته فتذهب ذهاب أمس من اليوم . فن ذلك قولهم : قد اختلف العلماء فى حقيقة القرآن فقال فريق انه معنى قائم بذاته تعالى وقال آخر انه الحروف التى

تركبت منها الكلمات التي تتلى . وحيث حصل الاختلاف في بيان حقيقته فلا يصح الحكم بإعجازه لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره . ولم يتصور يقينا ويجاب عن ذلك بأنه لاخلاف في أن القرآن يطلق على المعنيين وأن الذي حكم عليه بالاعجاز وأنه حجة هو الكلام اللفظي الذي يقرأ . فاندفع هذا الاعتراض ومنها قولهم: قد حصل الاختلاف في جهة الاعجاز كما تبين من المنقول عن الباحثين في هذا الموضوع . وحصول الاختلاف دليل على أن الاعجاز خفي فلا يصح الحكم به . ويجاب عن ذلك بأن الاعجاز متفق عليه والاختلاف انما حصل في جهته وهو لايقتضي خفاءه . ومنها قولهم : قد حصل تناقض في القرآن من جهة المعنى والوصف ، وهذا يدل على أنه ليس من عند الله . بيان التناقض في المعنى أنه وردت آيات تدل على تنزيه الباري سبحانه وتعالى عن مشابهته للممكنات مثل قوله تعالى « ليس كمثله شيء » وجاءت آيات أخرى تفيد بحسب ظاهرها مشابهته سبحانه وتعالى للممكنات كقوله تعالى « بل يداه مبسوطتان » وما شابهها . وأما التناقض في الوصف فقد وردت آيات تدل على أنه لالبس فيه ولا ايهام وأنه يصل الى معناه كل ناظر مثل قوله تعالى « وفصلناه تفصيلا » « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت » ثم تراه مع هذه الآيات قد اشتمل على أوائل السور التي لم يعلم المراد منها مثل « الم طسم حم عسق » الخ واشتمل أيضا على آيات اضطرب فيها المفسرون اضطرابا عظيما . ولا شك أن اشتماله على ماذكر يناقض وصفه بأنه مفصل . ويجاب عن التناقض في المعنى بأن الأدلة التي يستدل بها في اثبات المدعى اما عقلية واما نقلية . والعقلية لاتحتمل خلاف مدلولها وهي قطعية لامجال للشك فيها . وأما الأدلة النقلية فهي كما تحتمل المراد تحتمل غيره

كما هو شأن الألفاظ . والمعروف عند علماء الاستدلال أنه اذا ورد غير محتمل ومحتمل يرد المحتمل الى غير المحتمل . كذلك اذا كان عندنا دليلان ، أحدهما عقلي ، والآخر نقلي ، وتعارضا ، يرد النقلي الى العقلي وحيث قام الدليل العقلي على أن الله تعالى منزه عن مشابهته للممكنات . فكل دليل نقلي يفيد غير ذلك يجب حمله عليه وارجاعه الى ماقضى به الدليل العقلي — لهذا حمل علماء الكلام الآيات المفيدة للتشبيه بحسب ظاهرها على معان تناسب كل الآيات حتى انها بذلك الحمل والتأويل لاتخالف مايقضى به العقل إذ لاتناقض فى معناه . وأما الجواب عن التناقض فى وصفه . فنقول : إن أوائل السور قد ورد فى بيان معناها وجوه كثيرة وهذا يدل على عدم اللبس وأما الآيات التى اضطرب فيها المفسرون فإن فيها احتمالات كثيرة ، وذلك لايقتضى اللبس فإن الشأن فى مثل هذا طلب المرجح لبعض الوجوه فإن وجد فهو المقصود . وان لم نصل اليه توقفنا مع كوننا فهمنا الوجوه التى احتملتها الآية . أو نقول يكفى وجود ذلك الوصف فى أكثر الآيات وعدم تحققه فى القليل لايضر . ومنها قولهم قال الله « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » وقومه قريش فهذه الآية تقتضى أن يكون القرآن نزل بلغة قريش مع أنه اشتمل على مالا يوافق لغتهم . فقد ورد فيه « ان هذان لساحران » وقياس لغة قريش ان هذين لساحران . . وورد « ومكروا مكرا كبارا » والذى عهد فى لغة قريش كبير . ويجاب عن ذلك بأن قوم الرسول هم العرب فمتى كانت الآية موافقة لأى لغة من لغات العرب كانت فصيحة . وما ذكر من الآيتين يجب القطع بأنه موافق للغتهم لأنه لو كان مخالفا والمشركون من العرب أشد عداوة للنبي ومن معه لعابوه بذلك ، ولم ينقل هذا عنهم أصلا

فدل على أنه موافق للغتهم وقد نطق العربى الفصيح بكبارا . وأما « إن هذان لساحران » ففيه توجيهات كثيرة منها الجرى على لغة من يلزم المثنى الألف فى الأحوال الثلاثة . فيكون هذان اسمها مبنيا على الألف وساحران خبرها وباقى الأوجه تعرف من مراجعة كتب التفسير . ومنها قولهم : انكم ادعيتم أن القرآن بلغ النهاية فى الفصاحة والغاية فى البلاغة ومن المعلوم أن الكلام الذى يكون بهذا الوصف يجب أن يكون خاليا من العيوب التى تتنافى والفصاحة وتتجافى عن البلاغة لكن القرآن قد اشتمل على التكرار من جهة اللفظ والمعنى فلا يكون فصيحا . أما التكرار اللفظى فمثل قوله تعالى « فبأى آلاء ربكما تكذبان » فى سورة الرحمن ، « ويل يومئذ للمكذبين » فى سورة المرسلات ، وقوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) فى سورة القمر . وأما التكرار من جهة المعنى فكما فى قصة موسى وفرعون . ويجاب عن ذلك بأمور منها : أن مثل هذا التكرار لوكان مخلا بالفصاحة والبلاغة لعاب العرب القرآن ولما سكتوا عن الطعن فيه ، لكن لم ينقل ذلك عنهم مع توفر الدواعى فدل ذلك على أنه ليس عيبا

الثانى : أن التكرار معيب اذا لم يكن لفائدة . أما اذا كان لفائدة كالتأكيد أو تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام فلا .

الثالث : ماذكره ابن قتيبة فى معنى التكرار فى سورة الكافرون : أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة ، وانما كان نزوله شيئا بعد شىء والأمر فى ذلك ظاهر فكأن المشركين أتوا النبى ﷺ فقالوا له استلم بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك . فأمره الله تعالى بأن يقول لهم « لاأعبد ماتعبدون ولا أنا عابد ماعبدتم » ثم جاءوه بعد زمن آخر فقالوا له أعبد بعض آلهتنا

واستلم بعض أصنامنا يوما أو شهرا أو حولا لنفعل مثل ذلك بإلهك. فأمره الله تعالى أن يقول لهم «ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ماأعبد لكم دينكم ولى دين». وقال الفراء: ان التكرار للتأكيد كقول المجيب مؤكدا: بلى بلى. والممتنع مؤكدا: كلا كلا. ومنه قوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) أو يقال ان التوعد بالثانى غير التوعد بالأول فالأول توعد بما ينالهم فى الدنيا والثانى توعد بما ينالهم فى الآخرة فلا تكرار وأما التكرار فى سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المتعددة، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن اليك بأن أعطيتك الأموال. ألم أحسن اليك بأن خلصتك من المكاره؛ وهكذا. وهو كثير فى كلام العرب وأشعارهم - وهذا هو الجواب عن التكرار فى سورة المرسلات فى قوله تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) فإن قيل إذا كان الذى حسن التكرار فى سورة الرحمن ماعدده من الآيات ومن نعمه فقد عدد فى جملة ذلك ماليس بنعمة وهو قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وقوله تعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) فكيف يحسن أن يكون عقب هذا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس هذا من الآلاء والنعم قلنا الوجه فى ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم لأن فى ذلك زجرا عن المعاصى وحثا على الطاعة وهذا مما لاشبهة فيه أنه نعمة

الرابع: أن الله تعالى لما تحدى العرب وعجزوا عن المعارضة ربما توهم متوهم أن العجز يتعدى اليه سبحانه وتعالى فدفعا لهذا التوهم كررت القصة

وهذا الجواب خاص بالتكرار من جهة المعنى ومنها قولهم أن القرآن أخبر بشيء لم يقع وما كان هذا حاله لا يصلح أن يكون دليلا على صدق النبي ﷺ بيان ذلك أن من آياته (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها) وهى تفيد أن كل من فى السموات والأرض أسلم واعتنق الاسلام . ولا يخفى أن هذا غير مطابق للواقع لأن جميع الناس ليسوا مسلمين بل أكثرهم كفار . ويجاب بأن الاسلام فى الآية معناه الانقياد لأمر الله التكوينى وهذا حاصل لكل مخلوق فإنه لم يتعاص شيء عن قدرته سبحانه وتعالى بل وجدت المخلوقات كما أراد ومنها قولهم انكم تقولون إن القرآن معجز ومن شأن المعجز أن يكون ترتيب كلماته وجمله موافقا للمألوف من تقديم الوسيلة على المقصود والسبب على المسبب وهكذا ، وقد اشتمل القرآن على آيات ليست على هذا الترتيب منها قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) قدمت العبادة على الاستعانة مع أن الظاهر أن الاستعانة من الوسائل وشأن الوسيلة أن تقدم على المقصود فكان الظاهر أن يقال اياك نستعين واياك نعبد — ومنها قوله تعالى « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون » فإن الإهلاك ذكر مقدما على مجيء البأس والعذاب مع أن الظاهر أن البأس يجيء أولا ثم يحصل الهلاك ثانيا . والجواب على ذلك ما يأتى : انما قدمت العبادة فى الآية الأولى على الاستعانة اهتماما بالمقصود والاهتمام من النكات البلاغية التى تقتضى التقديم

وأما الآية الثانية فمعناها وكم من قرية أردنا اهلاكها فظهر للناس مجيء البأس وعلى هذا فالترتيب الظاهر موافق للترتيب الوجودى ومنها قولهم : ورد فى القرآن آيات تدل على أنه اشتمل على كل العلوم وجميع الحوادث

كقوله تعالى « مافرطنا فى الكتاب من شىء » وقوله « ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » واذا تتبعنا آيات القرآن وتأملنا ماأفاده من المعانى وجدناه خاليا من أشياء كثيرة كعلم الحساب والهندسة والطب والفلك وكثير من المسائل الشرعية مثل مسائل الحيض والمساقاة والإجارة ودقائق علم الفرائض والوصايا فعدم اشتماله على هذه المذكورات وأمثالها يناقض وصفه بأنه مشتمل على كل الأمور . ويجاب عن ذلك بأمور منها أن المراد بالكتاب فى قوله تعالى « فى الكتاب من شىء » ومن كتاب فى قوله تعالى (فى كتاب مبين) اللوح المحفوظ فلا وجه للاعتراض حينئذ . ثانيا أن المراد به القرآن وظاهر العموم ليس مرادا وانما المراد من شىء يحتاج اليه الخلق فى اصلاح أنفسهم من العلوم . وكذلك (ولا رطب ولا يابس) أى مما يحتاج اليه الانسان فى السعادة الأبدية - أو العموم على ظاهره وأن القرآن فيه كل شىء ولكن لايعرف ذلك الا رسول الله ﷺ لأنه سيد العلماء وأعقل العقلاء وأعرف الخلق بأسرار الكتاب . واذا كان من اهتدى بهديه وسار على سننه كان له الحظ الكبير من معرفة القرآن الكريم فما بالك بمن نزل عليه وأمر ببيانه قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم » ولذا ذهب كثير من العلماء إلى أن السنة جميعها شرح لكتاب الله العزيز قال ﷺ « ستكون فتن قيل وما المخرج منها ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم ما بينكم » أخرجه الترمذى وغيره وأخرج البخارى عن ابن مسعود أنه قال (لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى » فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد فقالت له إنه بلغنى أنك لعنت كيت وكيت فقال (ومالى لاألعن من لعن رسول الله ﷺ

وهو فى كتاب الله تعالى ؟ فقالت لقد قرأت مابين اللوحين فما وجدت فيه كما تقول . قال ائن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، قالت بلى قال فإنه قد نهى عنه وقال كثير من العلماء : مامن شيء الا ويمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى إن بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثا وستين سنة من قوله فى سورة المنافقين (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها فإنه رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده ﷺ

وقال ابن أبى الفضل المرسى فى تفسيره جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة الا المتكلم بها ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر سبحانه وتعالى . ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى . ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه فقد استبان لك أن الآية على ظاهرها وأن القرآن فيه كل شيء - هذا ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بمظانها مما جعل خاصة فى الرد على المبشرين وانما ذكرنا ذلك لأن لها مناسبة بإعجاز القرآن لتعلم أنه معجز لاشك فيه وأنه بعيد عما يقوله الملحدون وذلك منهم سفسطة وتلبيس أملاها عليهم شيطانهم ابليس . فهو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا والله أعلم

نزول القرآن على سبعة أحرف

روى البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت هشام ابن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ . فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها قال . أقرأنيها رسول الله ﷺ . فقلت : كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ماقرأت . فانطلقت به أقوده الى رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ « ارسله . اقرأ ياهشام » فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها فقال رسول الله ﷺ (هكذا نزلت) ثم قال اقرأ ياعمر فقرأت بقراءتى التى أقرأنى رسول الله ﷺ فقال (هكذا نزلت . إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منه) وروى نحوه البخارى ومسلم عن ابن عباس ومسلم عن أبى بن كعب . واختلف العلماء فى المراد بسبعة أحرف على أقوال كثيرة منها أنه من المشكل الذى لايدرى معناه لأن الحرف يصدق على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة ولأن الحديث كالقرآن منه المحكم والمتشابه وقد جنح الى هذا السيوطى وارتضاه

ومنها أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التيسير والتسهيل ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة فى الآحاد كما يطلق السبعون فى العشرات والسبعمائة فى المئين ، ولا يراد العدد المعنى . والى هذا جنح عياض ومن تبعه

ويرده مافى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف فإن ظاهره إرادة العدد . ومنها : أن المراد بها سبع قراءات وتعقب بأنه لايوجد كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه الا القليل . ومنها أن المراد كل كلمة تقرأ بوجه أو وجهين الى سبعة . ويشكل عليه أن فى الكلمات ماقرىء على أكثر . ومنها أن المراد سبع لغات . وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة وأجيب بأن المراد أفصحها . ومنها أن المراد سبعة أصناف ثم اختلفوا فى تعيين السبعة فقيل أمر ونهى ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال : واحتجوا بما أخرجه الحاكم والبيهقى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال. الحديث : وقد أجاب عنه قوم بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التى جاءت فى الأحاديث لأن سياقها يأبى حملها على هذا بل هى ظاهرة فى أن المراد أن الكلمة تقرأ على وجهين وثلاث الى سبعة تيسيرا والشىء الواحد لايكون حلالا حراما فى آية واحدة . ولذا قال ابن عطية : هذا القول ضعيف . لأن الاجماع على أن التوسعة لم تقع فى تحريم حلال ولا تحليل حرام ولا فى تغيير شىء من المعانى المذكورة بل قال الماوردى . هذا القول خطأ لأن النبى ﷺ أشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف وقد أجمع المسلمون على تحريم ابدال آية أمثال بآية أحكام ومنها أن المراد سبع قراءات . لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبى ﷺ وضبطها عنه الصحابة ونقلها عنهم من بعدهم وهكذا متواترا ، وأن

هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة وقد رد هذا أيضا بما قاله صاحب الفتح على البخارى نقلا عن أبى شامة ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث وهو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة وانما يظن ذلك بعض أهل الجهل وليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لايجوز غيرها ويلزم على هذا أن ماخرج عن قراءة السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ووافق خط المصحف ألا يكون قرآنا وهذا غلط عظيم بل الأصل والعمدة فى ذلك عند الأئمة أنه هو الذى يصح سنده فى السماع ويستقيم وجهه فى العربية ويوافق خط المصحف اهـ .

وقال السبكى فى شرح المنهاج صرح كثير من الفقهاء بأن ماعدا السبعة شاذ توهما منهم انحصار المشهور فيها والحق أن الخارج عن السبعة على قسمين الأول مايخالف رسم المصحف ولا شك فى أنه ليس بقرآن والثانى مالا يخالف رسم المصحف وهو على قسمين أيضا الأول ماورد من طريق غريب وهذا ملحق بالأول والثانى مااشتهر عن أئمة هذا الشان القراءة به فهذا لاوجه للمنع فيه كقراءة يعقوب وأبى جعفر وغيرهما انتهى ملخصا من الفتح وهناك قول غير ماتقدم وهو ان شاء الله أقرب الى الصواب ارتضاه كثير من فحول العلماء المتقدمين والمتأخرين لأن الناظر فى ذلك القول يجده يتحمل كل مافى الأحاديث الواردة فى ذلك بخلاف غيره فإنه يتعذر أو يتعسر الرجوع بالقراءات كلها اليها وليس من صواب أن يحصر النبى ﷺ الأحرف التى نزل القرآن عليها فى سبعة ثم نترك نحن طرقا فى القراءات المروية دون أن نردها الى السبعة

أما الحرف الذى فى الحديث فيراد به الوجه فيكون المعنى نزل القرآن

على سبعة أوجه بمعنى ان وجوه الاختلاف لاتزيد على سبعة اوجه مهما كثر ذلك التعدد والتنوع فى أداء اللفظ الواحد ومهما تعددت القراءات وطرقها فى الكلمة الواحدة وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على سبعة أوجه : وهاهو القول المرتضى إن شاء الله تعالى

الأول . اختلاف الأسماء من أفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث مثال ذلك قوله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون قرىء هكذا لأماناتهم جمعا وقرىء لأمانتهم بالافراد

الثانى : اختلاف تصريف الافعال من ماض ومضارع وأمر مثال ذلك قول الله تعالى . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قرىء هكذا بنصب لفظ ، ربنا على أنه منادى وبلفظ باعد ، فعل أمر وقرىء هكذا ، ربنا باعد ، برفع رب على أنه مبتدأ وبلفظ باعد فعلا ماضيا مضعف العين جملته خبر

الثالث : اختلاف وجوه الاعراب مثاله قول الله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) قرىء بفتح الراء وضمها فالفتح على أن لا ناهية فالفعل مجزوم بعدها والفتحة الملحوظة فى الراء هى فتحة ادغام المثلين ، اما الضم فعلى ان لا نافية فالفعل مرفوع بعدها

الرابع : الاختلاف بالنقص والزيادة مثاله قوله تعالى (وما خلق الذكر والأنثى) قرىء بهذا اللفظ وقرىء ايضا والذكر والانثى بنقص كلمة ماخلق

الخامس : الاختلاف بالتقديم والتأخير مثاله قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق وقرىء وجاءت سكرة الحق بالموت

السادس : الاختلاف بالابدال مثاله قول الله تعالى (وانظر إلى العظام كيف ننشزها) بالزاى وقرىء ننشرها بالراء

السابع . اختلاف اللغات يعنى اللهجات بالنطق مثاله قول الله تعالى (وهل أتاك حديث موسى) قرىء بالفتح والامالة فى ، أتى ولفظ « موسى »

هذه هى الأحرف السبعة التى سار عليها وارتضاها جماعة من المتقدمين والمتأخرين مع ملاحظة أن من الأحرف مانسخ لأن المصحف الآن على العرضة الأخيرة وأن القرآن نزل أولا بلغة قريش ثم نزلت الأحرف بعد هجرة رسول الله ﷺ يدل لذلك حديث مسلم من رواية أبى بن كعب أن النبى ﷺ كان عند أضاءة بنى غفار قال فأتاه جبريل فقال له إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ولا يزال النبى يستزيده إلى أن قال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا ، . والمكان المذكور هو مستنقع ماء بالمدينة فأنت ترى من هذا أن التوسعة انما كانت بعد هجرة الرسول ﷺ رحمة بعباده . إذ لو كلف كل انسان أن يقرأ بلغة غيره لشق عليه إلا بعد رياضة للنفس طويلة فشكرا لله على نعمه والله أعلم

الكلام على النسخ

النسخ معناه فى اصطلاح الأصوليين رفع حكم شرعى بمثله مع تراخيه عنه وهو جائز عقلا وواقع سمعا لم يخالف فى ذلك الا ابو مسلم الأصفهانى فإنه قال بجوازه دون وقوعه . والظاهر ان خلافه فى القرآن خاصة فهو يرى أن كل مافيه محكم لم يتناوله نسخ ولا تبديل . اما جوازه عقلا فلأنه لا يستلزم محالا بل مصلحة التشريع تقتضيه لأن تبدل الأحوال باختلاف الأوقات

يقتضى التبديل فى الاحكام . وقد أنكر اليهود جوازه ظنا منهم أنه بداء كالذى يرى الرأى ثم يبدو له آخر وهو باطل لأنه بيان لمدة الحكم كالمريض إذا أخذ مقدارا من الدواء فإنه بعد صحته لايصلح له هذا الدواء والناس مرضى والله حكيم يعامل العباد بمقتضى علمه وحكمته وذلك لايكون بداء وأما وقوعه فإن كل شريعة نسخت سابقتها وفى شريعتنا حصل كثيرا كما كان النبى ﷺ وهو بالمدينة يصلى الى جهة بيت المقدس ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) وكقوله تعالى (يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال) الى (يفقهون) قال بعدها (الآن خفف الله عنكم) إلى (الصابرين) فبين فى الأولى أنه يجب الثبات أمام عشرة الأمثال وان كان لفظها لفظ الخبر فإن معناها الأمر . فجاءت الثانية ناسخة للأولى وبينت أن الثبات يجب اذا كان العدد ضعف المسلمين واذا زاد لايجب . وكذا آية العدة (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج) فإنها تفيد أنها تعتد سنة نسختها الآية الثانية المتقدمة عليها تلاوة المتأخرة نزولا (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) دلت على أن عدة المتوفى عنها أربعة أشهر وعشرا) وقد سلك بعض العلماء فى هذه الآية غير النسخ فقال إن الآية الأولى تبين أن تمتع المرأة سنة كاملة مع سكناها فى منزل زوجها المتوفى عنها واجب لها فإن خرجت من نفسها فلا جناح علينا فيما فعلت . والثانية تبين عدتها التى يحل لها الزواج بعد مضيها ولكن الرأى الاول هو المشهور عند العلماء المقوى بما رواه البخارى عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) الآية نسختها

الآية الأخرى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن) الآية فلم تكتبها أو تدعها شك من الراوى ومعنى أو تدعها أى مكتوبة ؟ فقال يابن أخى : لاأغير شيئا من مكانه . فالنسخ فيها هو مافهمته الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وكفى بهم حجة

وقد ذكر الاصوليون شروطا للنسخ منها : أن يكون الناسخ منفصلا عن المنسوخ متأخرا عنه فإن كان مقترنا به كالاستثناء والشرط والصفة يسمى تخصيصا لا نسخا

ومنها أن يكون المنسوخ قابلا للنسخ فلايدخل النسخ فى أسماء الله تعالى وصفاته لعدم التغيير فيها ولا فى الاخبار كذلك ولا فيما علم بالنص أنه مؤبد لامؤقت ولذا قال السيوطى : لايقع النسخ إلا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر . أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد

ومنها أن يكون الناسخ مماثلا للمنسوخ فى القوة أو أقوى منه فإن كان دونه لم ينسخه ولهذا منعوا نسخ النصوص القرآنية والسنة المتواترة بأخبار الآحاد ، ومنعوا النسخ بالقياس لأنه دون النص فى القوة ، وأجازوا نسخ القرآن بالقرآن والسنة المتواترة بالسنة المتواترة والآحاد بالآحاد وبالمتواتر والجمهور أيضا على جواز نسخ السنة المتواترة بالقرآن ، ومن أمثلته نسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة

واختلفوا هل ينسخ الكتاب بالسنة المتواترة أو لا . فذهب الشافعى رضى الله عنه أن السنة لاتنسخ الكتاب مستدلا بقوله تعالى « ماننسخ من

آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (وذلك يفيد أنه تعالى هو الآتى والمأتى به هو جنس القرآن . وما كان من جنس القرآن فهو قرآن — وقوله تعالى (نأت بخير منها) يفيد أنه تعالى هو المنفرد بالإتيان بذلك الخير وهو القرآن الذى هو كلام الله تعالى دون السنة . ولأن السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله . وقال أيضا : حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها

وقال كثير من العلماء : ان الكتاب ينسخ بالسنة المتواترة لأنها أيضا من عند الله تعالى قال تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى » واحتجوا أيضا بأن آية الوصية للأقربين منسوخة بقوله ﷺ (لا وصية لوارث) وانما يكون النسخ إذا تعارض نصان ولا سبيل الى الجمع بينهما فالمتأخر منهما فى الوجود هو الذى يعد ناسخا والسابق يعد منسوخا ويعرف سابقهما من لاحقهما بالنقل وذلك من وجوه

الأول : دلالة عبارة الشارع على ذلك كما فى قوله تعالى (الآن خفف الله عنكم) الآية بعد قوله (إن يكن منكم عشرون صابرون) الآية

والثانى : اجماع الصحابة على الناسخ كإجماعهم على نسخ صوم عاشوراء بصوم رمضان

والثالث نص الصحابى على التاريخ كأن يقول أبيح كذا لنا عام خيبر ونهينا عنه عام الفتح وليس من طرق المعرفة أن يكون أحدهما فى المصحف بعد الآخر لأن ترتيب الآيات فيه ليس على حسب النزول . ومنها غير ذلك مما يعلم من علم الأصول

والنسخ فى القرآن على وجوه أحدها مارفع حكمه وتلاوته . روى البخارى ومسلم أن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت (كان فيما أنزل عشر

رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات . فتوفى رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن ، وقد تكلموا فى قولها ، وهن مما يقرأ من القرآن ، فإن ظاهره بقاء التلاوة وليس كذلك . وأجيب بأن المراد قارب الوفاة أو أن التلاوة نسخت أيضا ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ فتوفى وبعض الناس يقرؤها . وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه (نزلت ثم رفعت) وروى البغوى بغير سند ذكره ، أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرءوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فغدوا الى النبى ﷺ فأخبروه فقال تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها ،

ثانيها مارفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم . روى عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ ، إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، ان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال أو النساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ، أخرجه مسلم وللبخارى نحوه

فإن قيل ما الحكمة فى رفع التلاوة دون الحكم وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها أجاب عن ذلك صاحب كشف الظنون بأن ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة فى المسارعة الى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل الى ذبح ولده بمنام ، والمنام أدنى طريق الوحى

ثالثها مارفع حكمه وثبتت تلاوته كآية الوصية للأقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره . وآية عدة الوفاة حولا نسخت بأربعة أشهر وعشر . والحكمة فيه من وجهين أحدهما أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فبقيت التلاوة لهذه الحكمة . ثانيهما : أن النسخ غالبا يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيرا بالنعمة ورفعا للمشقة والله أعلم

﴿ تكميل وإيضاح لما نسخ حكمه دون تلاوته ﴾

ذكر كثير من المفسرين فى تفاسيرهم آيات اعتبروها من باب الناسخ والمنسوخ وبالتأمل فيها نجدها من باب البيان وأنه ليس بلازم أن يصار فيها الى النسخ ولكن الآيات الناسخة على التحقيق لاتزيد على اثنتين وعشرين آية على خلاف فى بعضها كما ستعرف إن شاء الله تعالى

قال تعالى فى سورة البقرة « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الآية منسوخة بآية المواريث أو بحديث لاوصية لوارث وقال تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية » الآية قيل منسوخة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل محكمة ولا » مقدرة وقال تعالى « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الآية ناسخة لقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم لأن مقتضاها الموافقة فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم . وقال تعالى يسألونك عن الشهر الحرام الآية منسوخة بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة الآية وقال تعالى والذين يتوفون منكم الى قوله تعالى متاعا الى الحول منسوخة بآية أربعة أشهر وعشرا . والوصية منسوخة بالميراث والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة

عند آخرين . وقال تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم الآية منسوخة بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وقال تعالى فى آل عمران اتقوا الله حق تقاته قيل منسوخة بقوله سبحانه فاتقوا الله ما استطعتم وقيل هى محكمة وقال تعالى فى سورة النساء والذين عقدت أيمانكم الآية منسوخة بقوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال تعالى واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى العمل بها وقال تعالى واللاتى يأتين الفاحشة الآية منسوخة بآية النور (الزانية والزانى) وقال تعالى فى سورة المائدة ولا الشهر الحرام منسوخة بإباحة القتال فيه وقال تعالى فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم منسوخة بقوله وان احكم بينهم الآية وقال تعالى أو آخران من غيركم منسوخ بقوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم وقال تعالى فى سورة الأنفال ان يكن منكم عشرون صابرون الآية منسوخة بالآية بعدها الآن خفف الله الآية وقال تعالى فى سورة براءة انفروا خفافا وثقالا منسوخة بآيات العذر كقوله ليس على الأعمى حرج الآية وليس على الضعفاء الآيتين وما كان المؤمنون الآية وقال تعالى فى سورة النور (الزانى لا ينكح إلا زانية) الآية منسوخة بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم الآية . وفى النور أيضا قوله تعالى ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى العمل بها وقال تعالى فى سورة الاحزاب لا يحل لك النساء من بعد الآية منسوخة بقوله تعالى يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك الآيه وقال تعالى فى المجادلة اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة الآية منسوخة بالآية بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم) الآيه وقال تعالى فى سورة الممتحنة فآتوا الذين

ذهبت أزواجهم الآية قيل منسوخ بآية السيف وقيل بآية الغنيمة وقيل محكم وقال تعالى فى المزمل قم الليل الا قليلا منسوخ بآخر السورة « علم أن سيكون منكم مرضى » الآية

فهذه احدى وعشرون آية منسوخة على خلاف فى بعضها لا يصح دعوى النسخ فى غيرها والأصح فى الاستئذان والقسمة عدم النسخ فصارت تسعة عشر ويضم اليها قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله على رأى ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فتمت عشرون والله أعلم .

﴿ فصل فى بيان فضل قراءة القرآن والعمل به ﴾

أما فضل قراءته فقد ورد فيه الاحاديث الكثيرة منها ماروى عن أبى أمامه رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » رواه مسلم والمراد بأصحابه العاملون به فى الدنيا الذين أحلوا حلاله وحرموا حرامه وتأدبوا بآدابه . ومنها ماروى عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخارى . وذلك إذا كان عاملا به مبتغيا بذلك وجه الله تعالى وإنما كان خيرا لأنه حفظ أعلى الكلام — وتعدى ذلك الى غيره — (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين وجاء فى رواية للحاكم صححه من حديث « من قرأ القرآن فقد استخرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه » ومنها ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به

مع السفرة الكرام البررة . والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ، متفق عليه . والسفرة جمع سافر ككاتب وكتبة والمراد بهم الملائكة الذين يبلغون الأحكام إلى الرسل أو الكتبة . والماهر هو الحاذق فى الحفظ . والذى يتتعتع فيه أى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه . وليس معناه الذى يتردد فى التلاوة له أجر أكثر من الحافظ الماهر بل الماهر أكثر وأفضل فإن له أجورا كثيرة وهو مع السفرة فى المنزلة العالية والدرجة الرفيعة . وأما الذى يتردد فيه فله أجران أجر بقراءته وأجر بتعتعته . ومنها ماروى عن ابى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو . ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » متفق عليه ومنها ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين) رواه مسلم . يرفع به من ائتمر بأوامره ولم يتخط حدوده ويضع به من خالف هديه وحاد عن الصراط المستقيم ومنها ماروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها . لاأقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف) رواه الترمذى وقال حسن صحيح . بين ﷺ أن المراد الأحرف المفردة فيثاب على ذلك ثلاثين . وقد نبه على هذا لئلا يتأول الحرف بالكلمة أو الجملة وهذا قليل من كثير ما ورد فى فضل قراءة القرآن

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل آيات وسور مخصوصة لا بأس بذكر بعضها منها ماجاء فى الفاتحة . روى عن أبى سعيد رافع بن المعلى رضى الله تعالى عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ ، ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ فأخذ بيدى فلما أردنا أن نخرج قلت : يارسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال : الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته ، رواه البخارى . وإنما كانت أعظم سورة لأنها اشتملت على مقاصد القرآن اجمالا . أحدها التوحيد فى قوله تعالى ، الحمد لله رب العالمين ، ثانيها وعد الطائعين بجميل الجزاء وتبشيرهم بحسن المثوبة ووعيد المخالفين بشديد العذاب وسوء العاقبة فى قوله تعالى (مالك يوم الدين) فإن معنى الدين الجزاء وهو إما ثواب للمحسن أو عقاب للمسيء . ثالثها العبادة التى تجلو القلوب وتنمى فيها شجرة الايمان فى قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) رابعها مكارم الأخلاق وحسن المعاملة مع الله والناس فى قوله عز شأنه (اهدنا الصراط المستقيم) خامسها العظة والاعتبار بالأمم الماضية ومعرفة سنن الله فى خلقه بقصص من وقف عند حدود الله وخضع لأحكام دينه وأخبار الذين تعدوا حدوده فى قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال السيوطى فى كتابه تأييد الحقيقة العلية وقال الطيبى فى حاشية الكشاف العلوم التى هى مناط الدين أربعة كلها فى الفاتحة : علم الأصول وعلم الفروع وعلم القصص وعلم مايحصل به الكمال وهو علم الأخلاق . وأجله الوصول الى الحضرة الصمدانية والالتجاء الى جناب الفردانية والسلوك لطريقه والاستقامة فيها واليه الاشارة بقوله (وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم)

الى آخر ماقال .

فهذه مقاصد القرآن اجمالا وقد اعتنى بشرحها فى الآيات والسور الكثيرة ولذا يقولون : إن الفاتحة أم القرآن فهى بمثابة من يؤلف كتابا يذكر مقاصد الكتاب أولا ثم يفصل ذلك المجمل ثانيا . ومنها ماجاء فى قل هو الله أحد . عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى قل هو الله أحد (والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) رواه البخارى . قيل معناه : إن القرآن على ثلاثة أنحاء : قصص وأحكام وصفات لله تعالى وقل هو الله أحد متمحضة للصفات فهى ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء بهذا الاعتبار. قال ابن حجر ويستأنس لهذا بما أخرجه أبو عبيدة من حديث أبى الدرداء قال جزأ النبى ﷺ القرآن ثلاثه أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن اﻫ . ومنهم من حمل المثلية على تحصيل الثواب فقال معنى كونها ثلث القرآن أن ثواب قراءتها يحصل مثل ثواب من قرأ ثلث القرآن وضعفه ابن عقيل فقال لايجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن واحتج بحديث من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات بل قال ابن راهويه بعد كلام هذا لايستقيم ولو قرأها مائتى مرة ثم قال على أنى أقول السكوت فى هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم ومن لم يتأول هذا الحديث أخلص ممن أجاب فيه بالرأى وفى الحديث فضل قل هو الله أحد ، وقيل مثله بغير تضعيف وهى دعوى بغير دليل وقيل أن ذلك الفضل لصاحب الواقعة لأنه لما رددها فى ليلة كان كمن قرأ ثلث القرآن بغير ترديد قال القابسى ولعل الرجل الذى جرى له ذلك لم يكن يحفظ غيرها فلذلك استقل عمله فقال له الشارع ذلك ترغيبا له فى عمل الخير وإن قل . ومنها ماجاء

فى المعوذتين : عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط . قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، رواه مسلم . ومعنى لم ير مثلهن أي فيما جاء فى التعويذ وقد تعوذ بهما ﷺ حينما سحره لبيد بن الأعصم فذهب عنه بالكلية يدل لذلك ماروا ه الترمذى بسند حسن أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بهما وترك ماسواهما .

ومنها ماجاء فى سورة تبارك الملك روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك) رواه أبو داود والترمذى ، وقال حديث حسن . ومنها ماجاء فى آخر سورة البقرة . روى عن أبى مسعود البدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه) متفق عليه . قيل كفتاه المكروه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام تلك الليلة ، وقيل كفتاه عن تجديد الإيمان لاشتمالها على غاية التفويض والتسليم لأقضية الله وعلى التواضع والذلة لله وغير ذلك .

ومنها ماجاء فى سورة البقرة : عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال (لاتجعلوا بيوتكم مقابر . إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة) رواه مسلم . أى لاتجعلوا بيوتكم خالية من العبادة كالمقابر فإنه لاعبادة فيها . ولا تكونوا كالموتى بترك العبادة ان الشيطان ينفر (بكسر الفاء على الأفصح) من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة وانما ينفر منه ليأسه من اغواء أهل هذا البيت لما فيها من العلوم والمعارف ومن ثم قيل فيها الف أمر والف نهى والف حكم والف خبر وقد وردت فيها

أحاديث كثيرة . ومنها ماجاء فى آية الكرسى : عن ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال . قال رسول الله ﷺ (ياأبا المنذر . اتدرى اى آية من كتاب الله معك اعظم ؟ . قال قلت الله لااله الا هو الحى القيوم . فضرب فى صدرى . وقال والله ليهنك العلم ابا المنذر) رواه مسلم . وانما كانت هذه الآية المذكورة أعظم الآيات لما تضمنته من عظيم مقتضاها اذ الشىء يشرف بشرف ذاته ومقتضاه وهى اشتملت على اثبات الذات والصفات والأفعال . وقد بين ذلك صاحب فتح الإله بما فيه الكفاية

هذا وقد قال النووى فى شرح هذا الحديث . قال القاضى عياض فيه حجة للقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله تعالى . قال وفيه خلاف للعلماء : فمنع أبو الحسن الأشعرى وأبو بكر الباقلانى وجماعة من الفقهاء والعلماء لأن تفضيل بعضه على بعض يقتضى نقص المفضول وليس فى كتاب الله نقص وتأول هؤلاء ماورد من اطلاق أفضل وأعظم فى بعض الآيات والسور بمعنى عظيم وفاضل ، وأجاز ذلك اسحق ابن راهويه وغيره من العلماء والمتكلمين قالوا : وهو راجع الى عظم أجر قارىء ذلك وجزيل ثوابه . والمختار جواز قول هذه الآية أو السورة أعظم أو أفضل بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهو معنى الحديث

قال العلماء : وانما تميزت آية الكرسى بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والارادة وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات . هذا وقد وردت أحاديث كثيرة غير ماذكرناه فى السور والآيات المذكورة وغيرها . وقد اقتصرنا على ذلك روما للاختصار . وكلام الله معلوم فضله كالشمس فى رابعة النهار .

ومن أراد الزيادة على ما ذكرنا فعليه بما ذكره أساطين المحدثين واعتنى بجمعه العلماء ، واياك أن تغتر بالحديث الطويل الذى يذكر فضائل القرآن سورة سورة فإنه موضوع كما أخرجه الحاكم فى المدخل وضعه أبو عصمة ؛ وقد قيل له من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا فقال إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى بن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة . قال ابن الصلاح ولقد أخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم قلت وممن ذكره الإمام البيضاوى فى تفسيره تبعا للكشاف . وأما الخطيب المفسر فقد ذكره ونبه على وضعه فعليك أيها الأخ بتلاوة كلام رب العالمين فهو أفضل العبادات وهو حبل الله المتين من تمسك به فقد هدى الى صراط مستقيم ومن أعرض عنه قيد شبر فقد باء بالإثم العظيم والخسران المبين « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » نسأل الله من فضله أن يجعلنا من أهل القرآن وحزبه فإنه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

﴿ فصل فى عقوبة ترك القرآن ونسيانه ﴾

أما تركه ونسيانه فهو كبيرة كما ذكر ذلك كثير من المحققين لما جاء من الأحاديث الكثيرة

منها : مارواه الترمذى والنسائى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال (عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل

من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها) وأخرج أبو داود عن سعد بن عبادة عن رسول الله ﷺ (مامن امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا اتى الله يوم القيامة أجذم) ومعناه والله أعلم المبالغة فى وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال . والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليد من الأعضاء الشريفة التى لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل كثير من المنافع إلا بها ففاقدها يفقد ما كان لابسا له من الجمال وما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع التى كان يجعل يده ذريعة الى تناولها . وهذه حال ناسى القرآن ومضيعه بعد حفظه لأنه يفقد ما كان متشحا به من الزينات ومستحقا له من الثواب والحسنات وهذا أحسن ماقيل فى هذا الحديث فإنه جار على عادة العرب فى كلامهم فإنهم يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان أجدع وقد بقى بعده أجذم

ورويت أحاديث كثيرة بمعناها وكلها ضعيفة كما نبه على ذلك النقادون من المحدثين الأعلام ولكن جاءت من عدة طرق يقوى بعضها بعضا فإن كثرة الطرق مما يجعل للحديث أصلا ولذا اختار الرافعى والنووى أن نسيانه كبيرة وكذا قال ابن حجر فى زواجره فإنه قال الكبيرة الثامنة والستون نسيان القرآن أو آية منه بل أو حرف

وقال القرطبي كذلك وقد بين المعنى فى أن نسيانه كبيرة فإنه قال: لا يقال حفظ جميع القرآن ليس واجبا على الأعيان فكيف يذم من تغافل عن حفظه لأنا نقول من جمعه فقد علت رتبته وشرف فى نفسه وقومه وكيف لا ومن حفظه فقد أدرجت النبوة بين جنبيه وصار ممن يقال فيه هو من أهل

الله وخاصته فإذا كان كذلك فمن المناسب تغليظ العقوبة على من أخل بمرتبته الدينية ومؤاخذته بما لا يؤاخذ به غيره . وترك معاهدة القرآن يؤدى الى الجهالة . اه — هذا هو الظاهر من الأحاديث المتقدمة أى أن نسيانه عن الصفة التي حفظه عليها كبيرة وليس المراد منها ترك العمل كما ذهب إلى ذلك جماعة من العلماء مستدلين على ذلك بقوله تعالى « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى » قال أبو شامة شيخ النووى وتلميذ ابن الصلاح ماحصله أن النسيان بمعنى ترك العمل به كما فى الآية ولا يبعد أن يكون من تهاون به حتى نسى تلاوته كذلك . اه ومحل كون نسيانه كبيرة عند من قال به اذا لم يكن له مسوغ شرعى وأما إذا كان كمرض مانع له من القراءة من كل عذر لا يتمكن معه من القراءة فلا شيء عليه إن شاء الله تعالى . وليس من العذر الاشتغال بأمر المعيشة أو العلم أو تعليم بمدرسة مثلا أو مرض يتمكن معه من القراءة فإن هؤلاء عندهم من الأوقات ولو ليلا ما يمكنهم من المحافظة على كلام الله تعالى فإن قراءة جزء مثلا لا تزيد عن ثلث ساعة أو نصفها ومن منهم لا يضيع ساعات فيما لا يعنيه إن لم يكن فى حرام ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . روى مسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال (انما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت) وروى مسلم أيضا عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها) فاقبل أيها الأخ نصيحة نبيك تسعد دنيا وأخرى وتكن ممن ربحت تجارتهم واخذوا اجورهم وافية يوم القيامة وزادهم الله من محض فضله وغفر لهم ما كان منهم من التقصير وشكر لهم اعمالهم . قال تعالى

(ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) والله تعالى اعلم

﴿ كيفية قراءة النبي ﷺ واستماعه للقرآن ﴾

اعلم أنه ﷺ كان يقرأ القرآن فى كل أحيانه داخل الصلاة وخارجها وقاعدا وقائما ومضطجعا سرا وجهرا متوضئا وغير متوضىء لايمنعه من القراءة إلا الجنابة . وكانت قراءته ترتيلا لاهذا بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته آية آية وكان يمد عند حروف المد وتلقى هذه القراءة عنه أصحابه ثم التابعون ثم من بعدهم وهكذا — وقد ضبط كثير من العلماء هذه القراءة ودونوا لها علما مخصوصا وقعدوا لها قواعد محدودة وسموا ذلك علم التجويد فمن تحراها وحافظ عليها كانت قراءته كقراءة رسول الله ﷺ ومن خالفها بعد عن هديه وسنته . روى الترمذى فى الشمائل عن أم سلمه رضى الله تعالى عنها أنها سئلت عن قراءة النبى ﷺ فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا : أى كلمة كلمة . ويحتمل أن يكون نعتها لذلك بالقول بأن تقول كانت قراءته كيت وكيت أو بالفعل كأن تقرأ كقراءته . وروى أيضا عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : سئل كيف كانت قراءة النبى ﷺ قال مدا — أى يمد مايقتضى المد . وروى عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت : كان النبى ﷺ يقطع قراءته يقول : الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف . ومعنى يقطع قراءته يقف على فواصل الآى كما بينت ذلك . وروى عن عبد الله بن أبى قيس قال : سألت

عائشة رضى الله تعالى عنها عن قراءة النبي ﷺ أكان يسر أم يجهر؟ قالت كل ذلك قد كان يفعل - قد كان ربما أسر وربما جهر. فقلت الحمد لله الذي جعل فى الأمر سعة.

مما تقدم من الأحاديث تعلم أن الترتيل فى القراءة أفضل من الهذ أى الاسراع وهو مذهب الجمهور لأن الترتيل صفة قراءته ﷺ فى الصلاة وغيرها قال تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) وقد مرت عائشة رضى الله تعالى عنها برجل يقرأ القرآن هذا، فقالت ماقرأ هذا ولا سكت.

وبالترتيل يمكن التدبر والحضور الذى هو المقصود الأعظم من التلاوة وقد جاء أنه ﷺ استمع القراءة من غيره كما جاء أنه قرأه على الغير. روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ وهو على المنبر (اقرأ على) قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال (إنى أحب أسمعه من غيرى) فقرأت سورة النساء حتى أتيت الى هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال (حسبك الآن) فالتفت اليه فإذا عيناه تذرفان وروى مسلم أيضا عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ لأبى بن كعب (ان الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن، قال آلله سمانى لك؟ قال (نعم) قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال (نعم) فذرفت عيناه - وفى رواية له أمرنى أن أقرأ عليك . لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) قال النووى فى شرح مسلم واختلفوا فى الحكمة فى قراءته ﷺ على أبى. والمختار أن سببها أن تستن الأمة بذلك فى القراءة على أهل الاتقان والفضل ويتعلموا آداب القراءة ولا يأنف أحد من ذلك: وقيل للتنبيه على جلالة أبى وأهليته لأخذ القرآن عنه وكان

بعده ﷺ رأسا وإماما فى اقراء القرآن وهو أجل ناشرته أو من أجلهم ويتضمن معجزة لرسول الله ﷺ

وأما تخصيص هذه السورة فلأنها وجيزة جامعة لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهماته والإخلاص وتطهير القلوب وكان الوقت يقتضى الاختصار والله أعلم

﴿ حكم قراءة القرآن بالألحان ﴾

لاخلاف بين العلماء فى أن من قرأ القرآن وأخرجه عن صفة الأداء التى وردت عن رسول الله ﷺ فقراءته محرمة خصوصا لو كان الحامل على ذلك هوى النفس واتباع الشيطان كما هو الغالب على قراء زماننا الآن . وانما الخلاف فيمن يقرأ بالألحان وهو مراع لحروفه ضابط لما يلزم لها من طرق الأداء فمنعها قوم وأجازها آخرون فمن قال بالمنع الإمام مالك والإمام احمد وجمهور أهل العلم . روى ابن القاسم عن مالك رحمه الله أنه سئل عن الألحان فقال لاتعجبنى وإنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم . وقال الإمام احمد وقد سئل عن ذلك . ماتعجبنى وهو محدث . وذهب أبو حنيفة والشافعى وجماعة الى أنه يجوز واحتجوا بأحاديث منها قوله ﷺ (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) رواه البخارى فحملوه على ظاهره وهو عند الاولين مؤول على أن معنى يتغنى يستغنى به من الاستغناء الذى هو ضد الفقر . وقيل معناه يجهر كما جاءت فى رواية . روى مسلم عن أبى هريرة أنه ﷺ قال : (ماأذن الله لشىء ماأذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقراءة يجهر به) ومعنى ماأذن مااستمع ولكنه ليس مرادا هنا لاستحالته على الله تعالى بل هو كناية

عن القبول والإثابة . وقال الامام القرطبي وقيل معنى يتغنى يستغنى به عن سواه من الأخبار . هذا رأى سفيان كما ذكره اسحق بن راهويه والى هذا التأويل ذهب البخاري في جامعه لأنه أتبع الترجمة في كتابه بقوله تعالى (أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) والمراد الاستغناء عن علم اخبار الأمم ـ وقيل في هذا الحديث غير ذلك ـ وكذا استدل المجوزون للقراءة بالألحان بقوله ﷺ (زينوا القرآن بأصواتكم) رواه الطبراني وغيره . أجاب المانعون بأنه ليس على ظاهره وانما هو من باب المقلوب أي زينوا أصواتكم بالقرآن ، وقد جاء مثله في كلام العرب : قالوا عرضت الحوض على الناقة وانما هو عرضت الناقة على الحوض يؤيد هذا ماجاء مصرحا به من تقدم الصوت على القراءة فقد روى عن ابي هريرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول (زينوا اصواتكم بالقرآن) وقد ارتضى هذا الحافظ المنذرى فإنه ذكر عن شعبة أن ايوب نهاه ان يحدث (زينوا القرآن بأصواتكم) قال ورواه معمر عن منصور عن طلحة فقدم الأصوات على القرآن . قال الحافظ وهو الصحيح اخبرناه محمد بن هاشم حدثنا الدبرى عن عبد الرازق انبأنا معمر عن منصور عن طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ان رسول الله ﷺ قال (زينوا اصواتكم بالقرآن) والمعنى اشغلوا اصواتكم بالقرآن والهجوا به واتخذوه شعارا وزينة اهـ قال القرطبي ومعاذ الله ان يتأول عن رسول الله ﷺ أن يقول إن القرآن يزين بالأصوات او بغيرها فمن تأول هذا فقد واقع امرا عظيما وهو أن يحوج القرآن إلى من يزينه كيف وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته واستنار بضيائه إلى آخر ماقال .

والقول الفصل فى هذا ماذكره ابن القيم فى الهدى النبوى بعد أن ذكر الخلاف فى الامر وأدلة كل فريق فقال مامعناه التطريب والتغنى على قسمين

أحدهما : ماااقتضته الطبيعة من غير تكلف ولا تعليم بل لو خلى وطبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى الأشعرى للنبي ﷺ لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا ـ أى حسنته فهذا هو الذى كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغنى الممدوح وهو الذى يتأثر به السامع والتالى ـ وعلى هذا الوجه تحمل أدلة المجوزين لذلك

ثانيهما ماكان صناعة وليس فى الطبع السماحة به بل لايحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان على ايقاعات مخصوصة فهذه هى التى كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها وأنكروا على من قرأ بها ـ وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره . وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعا أنهم برآء من القراءة بالألحان الموسيقية المتكلفة وأنهم أتقى لله من أن يقرءوا بها ويسوغوها ويعلم قطعا أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ويحسنون أصواتهم بالقرآن ويقرءونه بشجى تارة وبطرب تارة أخرى وبشوق وهذا أمر فى الطباع تقاضيه ولم ينه عنه الشارع بل أرشد اليه وندب والله أعلم

(مبلغ اجتهاد السلف الصالح)
فى القراءة والمختار فيها

علمت مما تقدم أن قراءة القرآن أفضل العبادات وأحسن مايتقرب به العباد الى الله : فكر بعض الأفاضل العابدين فى وظيفة يحملها على نفسه ذكرا أو قرآنا وتردد فى ذلك فأنشد فى النوم

إذا الأحباب فاتهم التلاقى ... فما صلة بأفضل من كتابى

فلم يتردد بعد ذلك فى أن تكون الوظيفة قرآنا : علم هذا سلفنا الصالح فعمروا به أوقاتهم وتقربوا به الى ربهم فكان لذة فى أسماعهم وضياء فى قلوبهم ونورا لابصارهم - ولقد حدثنا الإمام النووى بأن لهم عبادات مختلفة : فمن مقل ومن مكثر : فنهم من كان يقرأ فى كل شهرين ختمة ، ومنهم من كان يختم ثمانى ختمات فى اليوم ، أربعا بالليل وأربعا بالنهار . وذكر بينهما عادات متباينة واختلاف ذلك يرجع الى تدبرهم وتأملهم وعدمه أو كثرة مشاغلهم وفراغهم . ولا مانع من كثرة القراءة مادامت لاتخرج عن حد الملل والهذرمة ، ولكن الأفضل ألا يقرأه فى أقل من ثلاث ، يدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم : قال الترمذى حديث حسن صحيح . وروى مالك فى الموطأ عن يحي بن سعيد أنه قال : كنت أنا ومحمد بن يحي بن حيان جالسين فدعا محمد رجلا فقال : أخبرنى بالذى سمعت من أبيك . فقال الرجل : أخبرنى أبى أنه أتى زيد بن ثابت فقال له كيف ترى قراءة القرآن فى سبع

فقال زيد حسن ولأن أقرأه فى نصف أو عشر أحب الى وسلنى لم ذلك قال فإنى أسألك . قال زيد لكى أتدبره وأقف عليه

وأما وقت الابتداء والختم لمن يختم فى الأسبوع فقد روى أبو داود أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس . وقال الامام الغزالى فى الاحياء : الأفضل أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختم النهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدها ، ويجعل ختم الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وآخره فقد جاءت آثار عن السلف الصالح : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وإذا وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسى . جاء هذا عن سعد بن وقاص رضى الله تعالى عنه . قال الدارمى هذا حسن من سعد . وكثير مثل هذا جاء عن السلف الصالح . وينبغى أن تكون قراءته بالليل أكثر وفى صلاة قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) وجاء فى الصحيح أنه ﷺ قال « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » وإنما كانت عبادة الليل أفضل لبعدها عن الرياء وفراغ القلب من الشواغل ولأنه وقت تنزل الرحمات وإجابة الدعوات أو غير ذلك من الأسرار التى لايعلمها إلا الله تعالى

ألا وإن فضل القيام والقراءة يحصل بالقليل والكثير . وكلما كان أكثر كان أفضل . روى عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال . قال رسول الله ﷺ (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقسطين) رواه أبو داود وغيره ومن تعود القراءة ليلا فنام عنها سن له أن يتداركها ما بين صلاة الفجر والظهر

فقد جاء أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه مابين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل) رواه مسلم وروى ابن أبي الدنيا عن بعض حفاظ القرآن أنه نام ليلة عن حزبه فأرى في منامه كأن قائلا يقول له

عجبت من جسم ومن صحة ... ومن فتى نام إلى الفجر
والموت لايؤمن خطفاته ... في ظلم الليل إذا يسر

وحكى أن بعض الصالحين جعل على نفسه ثلاثين ختمة مهرا لحوراء فلما كان في آخر ختمة نام عن حزبه فرأى جارية كالقمر ليلة البدر فقالت له : أتحسن القراءة ياهذا ؟ فقال نعم . فدفعت اليه رقعة فإذا فيها

أتخطب مثلي وعني تنام ... ونوم المحبين عنا حرام
لأنا خلقنا لكل امرىء ... كثير الصلاة كثير الصيام

ومما يعجبني قول بعض العلماء العارفين في الحث على الطاعات قال :

تريد المجد ثم تنام ليلا ... لقد أطمعت نفسك بالمحال
لقد رمت الحصاد بغير حرث ... يغوص البحر من طلب اللآلى
فدع عنك التعلل بالأماني ... وجد تنل مقامات الرجال
فليس ينالها سعى الهوينا ... ولا بالهون ترقى للجبال
ألا خل التكاسل والتواني ... ونفسك جر عن مر النكال
وخذ في الذكر واحترمن وشمر ... بعزم ان سوم الدر غالى
فمن ركنت شبيحته لعجز ... تقاعس عن محاولة المعالى
فإن قصد المفاخر لم ينلها ... ومن طلب العلا سهر الليالى

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه . وقال الحسن البصرى تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم فذاك وإلا فاعلموا أن الباب مغلق فإن كل قلب لايعرف الله لايأنس بذكر الله ولا يسكن اليه قال الله تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذاهم يستبشرون)

وكان الصحابة رضى الله عنهم اذا اجتمعوا يقولون لأبى موسى رضى الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فكانوا يجدون فى السماع القرآنى من الوجد واللذة والحلاوة والسرور أضعاف مايجد أهل السماع الشيطانى . فإذا رأيت الرجل ذوقه وطربه فى سماع الأبيات دون سماع الآيات وفى سماع الألحان دون سماع القرآن فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر وإذا أنشد بين يديه شعر يميل كالنشوان فاعلم أن هذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبه من محبة الله تعالى ورسوله . قال ابن الصلاح فى فتاويه قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر. فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنها حريصة لذلك على استماعه من الانس فان قيل كيف هذا مع أنه ثبت فى الصحيح أن جبريل عليه السلام كان ينزل على رسول الله ﷺ فى رمضان فيدارسه القرآن أجيب عن ذلك بجوابين الأول أن النبى كان يقرأ أولا ثم يقرأ جبريل ماسمعه من النبى ﷺ والثانى أن جبريل كان ينظر فى اللوح المحفوظ حين يقرأ عليه النبى ﷺ قال بعضهم وهذا أولى لأن القصد من قراءته عليه مايستقر عليه الأمر وما استقر عليه الأمر فى العرضة الأخيرة هو المثبت فى المصحف العثمانى قال الشاطبى :

وكل عام على جبريل يعرضه   وقبل آخر عام مرتين قرا

فعليك أيها الأخ بتلاوة كلام الله تسعد فى الدنيا بمناجاته وفى الآخرة بالنظر الى وجهه الكريم . إن هذا لهو الفوز العظيم لمثـل هذا فليعمل العاملون والله أعلم

﴿ حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن وقراءته ﴾
ووصول ثوابها للميت

اختلف العلماء قديما وحديثا فى هذا وإنا ذاكرون الك أقوالهم لتكون على بينة من ذلك

قال العلامة بن حجر تصح الاجارة لتعليم القرآن سواء أكانت لكله أو بعضه وإن تعين عليه للخبر الصحيح (إن أحق ماأخذتم عليه أجرا كتاب الله تعالى) قال ويظهر أن المستأجر لتعليم قرآن مستحق وإن كان جنبا لأن الثواب هنا غير مقصود بالذات وإنما المقصود التعليم وهو حاصل مع الجنابة اه وما استظهره اعتمده الرملى . هذا مذهب الشافعيه — وأما الحنفية فمنهم من منع ومنهم من أجاز : قال العلامة البركوى بعد أن ذكر الخلاف — وقال فى العناية . ومشايخ بلخ استحسنوا الاستئجار على تعليم القرآن اليوم وجوزوا له ضرب المدة وأفتوا بوجوب المسمى وعند عدم الاستئجار وعدم ضرب المدة أفتوا بوجوب أجر المثل لأنه ظهر التوانى فى الأمور الدينية ، فنى الامتناع تضيع حفظ القرآن ، وقالوا إنما كره المتقدمون ذلك لأنه كان للمعلمين عطيات من بيت المال فكانوا مستغنين عما لا بد لهم من أمر معايشهم، وقد كان للناس رغبة فى التعليم بطريق الحسبة

ولم يبق ذلك . ثم قال : وقال تاج الشريعة : وكان فى الأول مروءة فى المتعلمين فى مجازاة الإحسان بالإحسان بلا شرط ، وفى زماننا قد زال . اه . قال فى الهداية وعليه الفتوى . اه

ونقل عياض المالكى جواز الاستئجار لتعليم القرآن عن العلماء كافة الا الحنفية وقد علمت آراء من ذكر منهم من العلماء — وقال فى المناوى بعد كلام طويل : فأخذ الأجرة على تعليمه جائز كالاستئجار لقراءته والنهى عنه منسوخ أو مؤول

وأما أخذ الأجرة على قراءته ففيها الخلاف أيضا . فمذهب الشافعية الصحة بشروط : أن تكون عند القبر . قال فى شرح الروض سواء عقب القراءة بالدعاء له أو جعل أجر قراءته له أولا . قال الرملى وغيره : وذلك لأن موضع القراءة موضع البركة وتنزل الرحمات . وقال فى المواهب اللدنية وقد أفتى القاضى حسين بأن الاستئجار لقراءة القرآن على رأس القبر جائز كالاستئجار للأذان وتعليم القرآن ، ثم قال قال النووى فى زيادات الروضة : ظاهر كلام القاضى حسين صحة الإجارة مطلقا وهو المختار فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت . اه . وكذا تصح ان حضرها المستأجر : قال ابن حجر أو نحو ذلك فيما يظهر ، وذلك لحصول ثواب الاستماع ولما تقدم فى التعليل . وكذا تصح ان عقبها القارىء بالدعاء للمستأجر فإن الدعاء بعد القراءة أقرب اجابة أو كان ذاكرا للمستأجر فإن ذكره له حضور له فى قلبه ، فإذا نزلت الرحمة على قلبه شملت المستأجر المذكور ، قاله الرملى وغيره . وقول السيوطى ان القراءة لايجوز الاستئجار عليها لأن منفعتها لاتعود للمستأجر لما تقرر فى مذهبنا أن ثواب القراءة

للقارىء لا للمقروء له ، ضعيف وما علل به لاينهض فى اثبات دعواه ولهذا لما نقله ابن قاسم على التحفة قال : لايخفى مافيه ؛ نعم لو استؤجر للقراءة للميت ولم ينوها ولا دعا له بعدها ولا قرأ عند قبره لم يبرأ من واجب الإجارة وهل تكفى نية القراءة فى أولها وان تخللها سكوت ينبغى ، نعم اذا عد مابعد الأول من توابعه ، نقله ابن قاسم عن الرملى - وكذا لو استؤجر شخص للقراءة فقرأ جنبا لايستحق شيئا وإن كان ناسيا ، لأن القصد بالاستئجار حصول ثوابها ، والجنب لاثواب له على قراءته ، بل على قصده فى سورة النسيان - قاله ابن حجر والله أعلم

وأما وصول ثواب القراءة للميت فقد علمت مما تقدم أن جماعة من الشافعية قالوا بذلك ، وقال ابن حجر فى الفتاوى الكبرى : الحق وصولها أى القراءة ان عقبها دعاء بوصول ثوابها أو مثله لأن حذف لفظ مثل وارادة معناه صحيح كبعتك بما باع به فلان فرسه وأوصيت لك بنصيب ابنى - وكذا ان لم يعقبها دعاء وكانت على القبر لأن الميت حينئذ كالحاضر ترجى له الرحمة والبركة - اهـ . وغير خاف عليك ماتقدم عن الرملى من التصريح بالاكتفاء بالنية وان لم تكن على قبر ولا عقبها دعاء خلافا لظاهر كلام ابن حجر فى تحفته وشيخ الاسلام فى شرح منهجه اذ ظاهر كلامهما أنه لابد من الجمع بين النية والدعاء .

قال ابن قاسم والشبراملسى : ولو سقط ثواب القارىء لمسقط كأن غلب الدنيوى كقراءته بأجرة فينبغى ألا يسقط مثله للميت . اهـ . وقول النووى فى شرح مسلم : المشهور من مذهب الشافعى أنه لايصل ثوابها (أى القراءة للميت) محمول على ما اذا لم تكن القراءة كما وصفنا أفاده الرملى

وابن حجر وشيخ الاسلام . بل قال فى شرح مسلم : ذهب جماعات من العلماء إلى أنه يصل اليه ثواب جميع العبادات من صلاة وصوم وقراءة وغيرها . اهـ . وممن ذهب الى ذلك الإمام احمد بن حنبل . وقد ذكر النووى فى رياض الصالحين فى باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة الدعاء له والاستغفار والقراءة عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : يستحب أن يقرأ عنده شىء من القرآن وان ختموا القرآن كله كان حسنا . اهـ . وفى الأذكار له فى باب مايقوله بعد الدفن مانصه : وروينا فى سنن البيهقى بإسناد حسن أن ابن عمر استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها . اهـ . وأما ماذكره النووى فى شرح مسلم من قوله : والمشهور فى مذهبنا أن قراءة القرآن لايصله ثوابها ، وقال جماعة من أصحابنا يصله ثوابها الى آخر ماقال ، فإنه رضى الله عنه يحكى الخلاف فى المذهب ولم يبين رأيه - ولكن قد استبان فى رياضه وأذكاره كما تقدم من النقل عن الشافعى وابن عمر لأنه يبعد أن ينقل عن الإمام نقلا صحيحا ، ويخالفه - خصوصا وقد قوى ذلك بما جاء عن ابن عمر كما تقدم ، ومما يوضح ماذكرته ماتقدم لك عن المواهب وأن النووى قال فى زيادات الروضة : فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت . اهـ . وقد جاء فى شرح العلامة الأمير لقوله فى مجموعه : ولم تشرع قراءة عند موته مانصه : وفى البنان وصول القراءة للميت وأنها عند القبر أحسن مزية . وأن العز بن عبدالسلام رؤى بعد الموت فقيل له ماتقول فيما كنت تنكر من وصول مايهدى من قراءة القرآن للموتى ؟ فقال : هيهات ، وجدت الأمر على خلاف ما كنت أظن . اهـ . وقال ابن هلال فى نوازله الذى أفتى به ابن رشد ، وذهب اليه

غير واحد من أئمتنا الاندلسيين ، أن الميت ينتفع بقراءة القرآن الكريم ويصل له نفعه ويحصل له أجره اذا وهب القارىء قراءته له ، وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا ووقفوا على ذلك أوقافا واستمر عليه الامر منذ أزمنة سالفة . اه . ومحل الخلاف المذكور مالم يخرجها مخرج الدعاء فإن خرجها وصل الثواب بلا خلاف . قال ابن الحاج فى المدخل ، من أراد وصول قراءته بلا خلاف فليجعل ذلك دعاء بأن يقول : اللهم أوصل ثواب ماأقرأ الى فلان . اهـ . ، والذى ينبغى للانسان ألا يهمل هذه المسألة فلعل الحق هو الوصول الى الموتى فإن هذه أمور مغيبة عنا وليس فيها اختلاف فى حكم شرعى وانما هو فى أمر واقع هل هو كذلك أو لا والذى يحسن التنبيه عليه وإن كان شرطا فى كل العبادات أنه ينبغى الاخلاص فى القراءة وأن لايكون الغرض منها العرض الدنيوى فإن النبى ﷺ يقول انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى ؛ والقارىء بالأجرة هجرته الى دنيا يصيبها بقراءته ولذا قال فى شرح الهداية ان القرآن بالأجرة لايستحق الثواب لاللميت ولا للقارىء والصورة الصحيحة لوصول ثواب القراءة للميت وانتفاعه بها أن يكون القارىء صديق الميت أو قريبه وتكون قراءته تعبدا وحسبة لله تعالى لافى مقابلة نفع دنيوى ثم يهب ثوابها الميت فهذه هى التى يصل ثوابها ونفعها اليه . بقى أن يقال ماذكر عن هؤلاء الأئمة الأعلام ينافيه قوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ماسعى) لأن ظاهرها عدم انتفاع الانسان بعمل غيره ؛ قلت لامنافاة إذ هذه الآية من قسم العام المخصوص فقد أجمعت الأئمة على أن الميت ينتفع بالعتق والصوم والحج عنه . وقد نصوا على براءة ذمة المدين اذا قضى الدين عنه أجنبى ، وهذا انتفاع بعمل

الغير وسننتفع ان شاء الله تعالى بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة وليس ذلك من عملنا . ولهذا أمثلة كثيرة فمن اعتقد أن الانسان لاينتفع بعمل غيره فقد خالف اجماع الأئمة . ولك أن تقول إن الآية خاصة بقوم ابراهيم وموسى دون هذه الأمة فإن لهم ماسعوا وما سعى لهم أو المراد بالانسان الكافر كما قاله الربيع عن أنس . وقيل وأن ليس للانسان إلا ماسعى من طريق العدل أو اللام بمعنى على . وقد ذكر العلماء فيها غير هذا فاختر لنفسك مايحلو والله أعلم .

﴿ حكم اهداء القراءة له عليه الصلاة والسلام ﴾

اهداء القراءة له عليه الصلاة والسلام لم يرد فيه من الصحابة شيء لذا اختلف العلماء فيه بالجواز والمنع .

قال فى المواهب لايعرف فيه خبر بل أنكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الفركاح لأن الصحابة لم يفعله أحد منهم وهم أحق بالاتباع لكن اختار السبكى وغيره خلاف ذلك : قال الزرقانى وكذا أنكر البرهان الفزارى قولهم : اللهم أوصل ثواب ماتلوته الى فلان خاصة والى المسلمين عامة لأن مااختص بشخص لايتصور التعميم فيه . ورده الزركشى بأن الظاهر خلاف ماقاله ، فإن الثواب يتفاوت : فأعلاه ماخصه ، وأدناه ماعمه وغيره والله تعالى يتصرف فيما يعطيه من الثواب . على أن المراد مثل ثواب ماتلوته لفلان خاصة ومثل ذلك للمسلمين عامة وهذا متصور . انتهى : قال بعض العلماء رد الزركشى واضح البطلان واللفظ يأباه لأنه اذا وصل ثواب ماقرأه لفلان خاصة لم يبق له ثواب آخر يكون للمسلمين عامة . وكون المراد مثل ثواب

ماتلوته الخ باطل أيضا لأنه ليس له الا ثواب واحـــد . ثم قال وحكى صاحب الروح ابن القيم أن من الفقهاء المتأخرين من استحبه ومنهم من رآه بدعة والنبي ﷺ غنى عن ذلك فإن له أجر كل مؤمن عمل خيرا . قال الزرقانى لكن ليس فى كونه غنيا مايقتضى منع ذلك بل يجوز أن يكون إهداؤها سببا فى ثواب يصل اليه زائد على الثواب الواصل من كل خير عملته أمته . انتهى

ومن كان يفعل ذلك على بن الموفق ، وقد كان قبل الجنيد وكان معاصرا للامام احمد وعاش بعده ، قال الخطابى وأصحابنا انما قالوا انه فى طبقة الجنيد ، وممن كان يرى جواز ذلك أيضا البارزى وبعض المتقدمين من الحنابلة كابن عقيل ، بل قال بعضهم باستحبابه قياسا على ما كان يهدى اليه عليه الصلاة والسلام فى حياته فى الدنيا ، وكما طلب الدعاء من عمر حينما استأذنه فى العمرة وحث الأمة على الدعاء بالوسيلة له عند الأذان ، وعلى الصلاة عليه ، واستدلوا أيضا بما رواه الامام احمد والترمذى والحاكم وصححه وقال الترمذى حسن صحيح . عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال : قلت يارسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى فقال (ماشئت) قلت الربع . قال (ماشئت) « فإن زدت فهو خير لك » قلت فالنصف « قال ماشئت فإن زدت فهو خير لك » قلت فالثلثين ، قال « ماشئت فإن زدت فهو خير لك » قلت أجعل لك صلاتى كلها قال : « إذا تكفى همك ويغفر ذنبك » وفى رواية « اذا يكفيك الله هم دنياك وآخرتك » فحملوا الصلاة فى الحديث على الصلاة عليه ﷺ

أجاب المانعون بأن المعنى أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائى صلاة

عليك كما فسره غير واحد من العلماء منهم الحافظ المنذرى وقال الشهاب الخفاجى فى شرحه على الشفا : هذا الحديث فى المعنى كالحديث القدسى «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين» . فالصلاة فى هذا الحديث بمعنى الدعاء . وقال الزرقانى على المواهب فى معنى هذا الحديث ، قال المنذرى : معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائى صلاة عليك . والمعنى أنها تغنيك عن غيرها لأن فيها خيرى الدنيا والآخرة ، فهو بمعنى الحديث القدسى «من شغله ذكرى عن مسألتى» الخ . اه .

وقال الرهونى : ولعل أصل الحديث والله أعلم أنه كان يدعو الله لنفسه ويجعل من دعائه نصيبا للنبى ﷺ فى الدعاء ومعلوم أن الدعاء له ﷺ إنما يكون بالصلاة عليه فكأنه قال : إنى أكثر الدعاء لك فى جملة الدعاء فكم أجعل لك من دعائى فيما أدعوه هل الربع أو الثلث إلى أن قال إذا أجعل لك صلاتى كلها أى اشتغل بالصلاة عليك عن جميع مطالبى فقال له إذا فعلت ذلك كفاك الله مهماتك ومطالبك فإن من كان لله كان الله له ومن انقطع الى الله آواه الله . اه . وذهب الى هذا التفسير السخاوى فى القول البديع كما قال الرهونى .

فأنت ترى مما تقدم أن لفظ الحديث محتمل وهو لاتقوم به حجة . وممن قال بالمنع عماد الدين العطار تلميذ النووى قال : أما قراءة القرآن العزيز فمن أفضل القربات ، وأما اهداؤه للنبى ﷺ فلم ينقل فيه أثر عمن يعتمد به بل ينبغى أن يمنع منه لما فيه من التهجم عليه فيما لم يأذن فيه مع أن ثواب التلاوة حاصل له بأصل شرعه ﷺ ، وجميع أعمال أمته فى ميزانه ، وقد أمرنا الله بالصلاة عليه وحث ﷺ على ذلك وأمرنا بسؤال الوسيلة والسؤال بجاهه

فينبغي أن نتوقف على ذلك مع أن هدية الأدنى للأعلى لاتكون الا باذن . انتهى .

وقال الشيخ زين الدين بن عبد الرحمن الكردى وقع السؤال عن جواز اهداء القرآن للنبي ﷺ — والجواب أن ذلك شيء لم يرد عن السلف فعله ونحن بهم نقتدي وبذلك نهتدى فأنت ترى من كلام هؤلاء العلماء الأعلام الخلاف فى ذلك ولكل وجهة ، وان كان جانب المانعين أقوى ، ولكن لاننكر على من فعل كما لاناأمر من لم يفعل لأن شرط الإنكار أن يكون على مجمع عليه ولذا قال الشيخ زين الدين بن عبد الرحمن الكردى بعد أن ذكر الخلاف فإن لم تفعل ذلك فقد اتبعت وان فعلت فقد قيل به . وقد رأيت كثيرا من الناس ينكر على من يفعل ذلك أشد الانكار وربما أدى الى تخاصم وتقاتل فيقع فى حرام لاشك فيه وذلك جهل كبير ووزر عظيم نسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب انه كريم وهاب ، والله اعلم

﴿ حكم تفسير القرآن بالرأى ﴾

اعلم ان النبى ﷺ قال : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذي عن ابن عباس وقال فيه انه حسن ، وكذا رواه ابو داود والنسائى فى الكبرى . فظاهر هذا الحديث المنع من التفسير . وكيف هذا وقد جاءت اخبار وآثار تدل على ان فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم : فمن الأخبار ماجاء عنه ﷺ انه دعا لابن عباس فقال : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » كما رواه البخارى . ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « أن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » رواه ابن حبان فى صحيحه . ومن

الآثار ماروى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال ـ لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ـ ومنها قوله رضى الله عنه ايضا ـ ماعندنا شيء أسره النبى ﷺ إلا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه وليس ذلك بالتعلم ـ ومنها ماقاله أبو الدرداء : لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها . فهذه الأخبار والآثار تدل على أن الانسان لايمنع من التأويل ، فكيف يتفق هذا مع الحديث الأول ؟ فالجواب كما قال الامام الغزالى : إن النهى ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له فى الشيء رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج بالآية على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ، ولكن يلبس به على خصمه ، وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه فيكون الحامل له على ذلك رأيه وهواه ؛ ولولا ذلك الغرض لما ترجح عنده ذلك الوجه ، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ليس مرادا ،كالذى يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول : قال الله تعالى « اذهب الى فرعون انه طغى » ويشير الى قلبه ويومىء أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام ، وترغيبا للمستمع ، وهو ممنوع لأنه اخراج للفظ عن معناه ـ وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل . فهذه الأنواع أحد وجهى المنع

والوجه الثانى أن يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر وجه العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ التى

لا يراد ظاهرها ومن الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير مما هو من لوازم الكلام البليغ ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه وكان ممن فسر برأيه فحق عليه الوعيد ، فالنقل والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ـ والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة فعلم أنه لامطمع لأحد فى الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب ، فعلم العربية وحده لايكفى لتفسير كلام الله ، فإن من يسمع قوله تعالى « وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها » يظن أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء تمشيا مع ظاهر اللغة ولم يدر أن الكلام فيه ايجاز بالحذف ، والمعنى وآتينا ثمود الناقة آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها . وكذا قوله تعالى « إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة . وكذا قوله تعالى « فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ، ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » معناه لايفقهون حديثا يقولون ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك . فإن لم يردها كان منافيا لقوله تعالى (قل كل من عند الله) وكذا قوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) معناه والله أعلم ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما ، فإن فيه تقديما وتأخيرا ، ومن هذا النوع قوله تعالى (لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) فإن الكلام

غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق (قل الأنفال لله والرسول) أى امض على ما رأيته صوابا من تنفيل الغزاة فى قسمة الغنائم وإن كرهوا كما مضيت فى خروجك من بيتك بالحق وهم كارهون ، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره . وأمثال هذا كثير ، لأن القرآن نزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم . فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالنقل والسماع فى هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه . فاذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ، ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى : ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامضة فإنه اثبات للرمى ونفى له وهما متضادان فى الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ، ومن الوجه الذى لم يرم منه رمى الله عز وجل ، ومثل هذا قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه وتعالى هو المعذب ؟ وإن كان هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال فهذه معان دقيقة تنكشف للراسخين فى العلم كل على حسب غزارة علمه وصفاء قلبه ، وأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما ، فأسرار كتاب الله لانهاية لها . ولذا قال الجوينى علم التفسير علم عسير أما عسره فظاهر من وجوه أظهرها أنه كلام متكلم لم تصل الناس الى مراده بالسماع منه ولا يمكن الوصول اليه بخلاف الأمثال والأشعار من البشر ونحوها فإن الانسان يمكنه

عليه اذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لايعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ وذلك متعذر الا فى آيات قلائل فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل . والحكمة فى ذلك أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده فى كتابه فلم يأمر نبيه ﷺ بالتنصيص على المراد بجميع آياته انتهى .

لذا قالوا إن المفسر لابد له من معرفة أشياء . قال الزركشى فى البرهان ماملخصه . للناظر فى القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة :

الأول : النقل عن النبى ﷺ لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع

الثانى : الأخذ بقول الصحابى فإن تفسيره بمنزلة المرفوع إلى النبى ﷺ كما قاله الحاكم فى مستدركه . وفى الرجوع الى قول التابعى روايتان عن احمد ويترجح الرجوع الى قوله وعليه عمل المفسرين فقد ذكروا فى كتبهم أقوالهم لأن غالبها تلقوها من الصحابة

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربى

الرابع : التفسير بالمقتضى من معنى الكلام وهذا هو الذى دعا به النبى ﷺ لابن عباس حيث قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل والذى عناه على بقوله إلا فهما يؤتاه الرجل فى القرآن ومن هنا اختلف الصحابة فى معنى الآية فأخذ كل برأيه على منتهى نظره وقال بعضهم يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج المفسر اليها وهى خمسة عشر علما أحدها اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ولا يكفى معرفة اليسير منها . فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر

الثانى النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب

(الثالث التصريف) لأن به يعرف الأبنية والصيغ ولذا قال الزمخشرى من بدع التفاسير قول من قال إن الامام فى قوله تعالى يوم ندعوا كل أناس بإمامهم جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم . قال وهو غلط أوجبه جهله بالتصريف فإن أما لاتجمع على امام

(الرابع الاشتقاق) لأن الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافها كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح

(الخامس ، السادس ، السابع — المعانى ، البيان ، البديع)

وهذه العلوم الثلاثة هى علوم البلاغة وهى من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة مايقتضيه الاعجاز وانما يدرك بهذه العلوم (الثامن علم القراءات) لأن بها يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض (التاسع أصول الدين) بما فى القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على مالايجوز على الله تعالى فالأصولى يؤول ذلك ويستدل على مايستحيل ، وما يجب ، وما يجوز (العاشر أصول الفقه) اذ به يعرف وجه الاستدلال على الاحكام والاستنباط (الحادى عشر أسباب النزول والقصص) إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه (الثانى عشر الناسخ والمنسوخ) ليعلم المحكم من غيره (الثالث عشر الفقه) (الرابع عشر الأحاديث) المبينة لتفسير المجمل والمبهم (الخامس عشر علم الموهبة) وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واليه الاشارة بالحديث (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم) قال ابن أبى الدنيا وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لاساحل له قال فهذه العلوم التى هى كالآلة للمفسر ، لايكون مفسرا الا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأى المنهى عنه واذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأى المنهى عنه

قال والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ

فكيف بعد هذا يقول من عرف قشورا من العلم انى أفسر كلام الله تعالى ؟ وكيف يجرؤ على ذلك وقد قال أبو بكر رضى الله عنه حينما سئل عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كلام ربى بغير علم . فإياك أن تمر بآية فيها حكم من الأحكام تفسرها إلا وأنت عارف له لأن هذه الآية ربما كانت منسوخة الحكم أو كانت مطلقة أو مقيدة بآية أخرى أو بسنة واحذر أن يكون تفسيرك عن هوى كما تقدم أو يكون من الآيات التى ذكرناها أو ما ماثلها مما يحتاج لنقل وسماع أو فيها لفظ لغوى لاتدرى معناه فإنك بالتفسير كأنك تقول مراد الله كذا فتكون ممن كذب على الله وتكون من الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿ فائدة حسنة لها ارتباط بما قبلها ﴾

قال ابن فارس فى كتاب الافراد كل ما فى القرآن من ذكر الأسف فمعناه الحزن الا فلما آسفونا فمعناه أغضبونا وكل مافيه من ذكر البروج فهى الكواكب الا ولوكنتم فى بروج مشيدة فهى القصور الطوال الحصينة . وكل مافيه من ذكر البر والبحر فالمراد بالبحر الماء وبالبر التراب اليابس إلا ظهر الفساد فى البر والبحر فالمراد به البرية والعمران وكل مافيه من بخس فهو النقص الا بثمن بخس أى حرام وكل مافيه من البعل فهو الزوج الا أتدعون بعلا فهو الصنم وكل مافيه من البكم فالخرس عن الكلام بالإيمان الا عميا وبكما

وصما فى الاسراء وأحدهما أبكم فى النحل فالمراد به عدم القدرة على الكلام مطلقا . وكل مافيه جثيا فمعناه جميعا الا وترى كل أمة جاثية فمعناه تجثوا على ركبها وكل مافيه من حسبان فهو العدد الا حسبانا من السماء فى الكهف فهو العذاب . وكل مافيه حسرة فالندامة الا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم فمعناه الحزن . وكل مافيه من الدحض فالباطل الا فكان من المدحضين فمعناه من المقروعين وكل مافيه من رجز فالعذاب الا والرجز فاهجر فالمراد به الصنم وكل مافيه من ريب فالشك الا ريب المنون يعنى حوادث الدهر وكل مافيه من الزور فالكذب مع الشرك الا منكرا من القول وزورا فإنه كذب غير الشرك وكل مافيه من زكاة فهو المال الا حنانا من لدنا وزكاة أى طهرة . وكل مافيه من الزيغ فالميل الا واذ زاغت الأبصار أى شخصت وكل مافيه من سخر فالاستهزاء الا سخريا فى الزخرف فهو من التسخير والاستخدام . وكل سكينة فيه طمأنينة الا التى فى قصة طالوت . وكل سعير فيه فهو النار والوقود الا فى ضلال وسعر فهو العناء . وكل شيطان فيه فابليس وجنوده الا واذا خلوا الى شياطينهم أى رؤسائهم من الإنس . وكل شهيد فيه غير القتلى فمن يشهد فى أمور الناس إلا وادعوا شهداءكم فهو شركاءكم وكل مافيه من أصحاب النار فأهلها الا وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة فالمراد خزنتها وكل صلاة فيه عبادة ورحمة الا وصلوات ومساجد فهى الأماكن . وكل صمم فيه فى سماع الإيمان والقرآن خاصة الا الذى فى الاسراء . وكل عذاب فيه فالتعذيب الا وليشهد عذابهما فهو الضرب . وكل قنوت فيه طاعة الا كل له قانتون فمعناه مقرون . وكل كنز فيه مال الا الذى فى الكهف فهو صحيفة علم . وكل مصباح فيه كوكب الا الذى فى النور

فالسراج . وكل نكاح فيه تزوج إلا حتى اذا بلغوا النكاح فهو الحلم وكل نبأ فيه خبر إلا فعميت عليهم الأنباء فهى الحجج وكل ورود فيه دخول إلا ولما ورد ماء مدين يعنى هجم عليه ولم يدخله وكل مافيه من (لايكلف الله نفسا الا وسعها) فالمراد من العمل الا التى فى الطلاق فالمراد من النفقة وكل يأس فيه قنوط الا التى فى الرعد فن العلم . وكل صبر فيه محمود الا لولا أن صبرنا عليها واصبروا على آلهتكم هذا آخر ماذكره ابن فارس وهى فائدة حسنة نسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلل ويلهمنا الصواب فى القول والعمل بمنه وكرمه والله أعلم .

﴿ حكم الكلام وشرب الدخان فى مجلس القرآن ﴾

أما الكلام فى مجلس القرآن فهو حرام لأنه مخالفة لكلام رب العالمين واعراض عن النور المبين وتشبه بالكافرين . قال تعالى : (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) فإن الله سبحانه وتعالى بعد أن عظم شأن القرآن بقوله (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة) الآية أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته ، فقال : (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له) يعنى اصغو اليه بأسماعكم لتفهموا معانيه ، وتتدبروا مواعظه ، وأنصتوا عند قراءته ـ والانصات السكوت للاستماع ـ لعلكم ترحمون ، أى لكى يرحمكم ربكم باتباعكم أوامره وتعظيمكم شعائره فظاهر الآية أنه فى أى وقت وفى أى موضع قرىء القرآن يجب الاستماع له والسكوت وهذا قول الحسن وأهل الظاهر . وقال عطاء وجب الصمت فى اثنين : عند الرجل يقرأ القرآن وعند الإمام وهو يخطب . وأما القول بأن الآية نزلت فى استماع الخطبة فبعيد

لأن الآية مكية والخطبة وجبت فى المدينة ، فمن لم يسمع لكلام الله تعالى عند تلاوته يكون ضد ماوصف الله به المؤمنين عند سماع كلامه : قال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) ولقد تقدم لك حال رسول الله ﷺ فى الاستماع حينما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء فذرفت عيناه واذا كان الله سبحانه وتعالى نهانا عن رفع أصواتنا فوق صوت النبي أفلا يكون رفع الصوت عند القرآن أولى بالنهى ؟ واذا كان النبى ﷺ أمر بالانصات وقت الخطبة وذلك لما فيها من المواعظ ، أفلا يكون القرآن أولى منها بذلك وهو أصل المواعظ ؟ واجمال القول أن الكلام فى حال التلاوة محرم ويشبه صنع الكافرين قال تعالى : (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فانظر كيف أعقب ذلك بقوله (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) هذا مانراه وندين الله به ولنا أسوة حسنة بسلفنا الصالح كما هو معلوم من أقوالهم وأفعالهم . وأما شرب الدخان فى مجلس القرآن فاختلف فيه العلماء بين الحرمة والكراهة والمتأمل بإنصاف يجد القول بالحرمة أقوى دليلا وأسلم دينا وذلك لأن الله تعالى أمرنا بتعظيم شعائر الدين فقال تعالى ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب وشرب الدخان فى مجلس القرآن مشعر بعدم الاكتراث به وإن لم يقصده ألا ترى أنك لو جالست عظيما من العظماء لاتسمح أن تشرب فى مجلسه وترى ذلك مما لايتفق والأدب فالتأدب فى حضرة الله أولى لأنه خالق العظماء والأمراء ومالك الأرض والسماء وذلك لايرتاب فيه من له إيمان صادق ووجدان سليم أضف الى ذلك ماجاء

من الأحاديث الكثيرة الناهية عن أكل البصل أو الثوم أو الكرات أو الفجل وأن رسول الله ﷺ اذا وجد ريح ذلك من الرجل أمر به فأخرج الى البقيع وما جاء من الأمر بالاستياك فى الفم لأنه طريق القرآن ورحم الله سلفنا الصالح فلقد وصل أمرهم فى ذلك أن بعضهم كان يضع فى فمه الرائحة الزكية بل ولقد كان يضع ماء بجانبه اذا تنخم تمضمض منه كل ذلك مبالغة فى تعظيم كلام رب العالمين ولذا يقول العلامة الشبراوى نقلا عن شيخه السباعى الذى ندين الله عليه حرمة شرب الدخان فى مجلس القرآن ولا وجه للقول بالكراهة والله أعلم

﴿ حكم قراءة الجماعة مجتمعين ﴾

((وفضل القارئين من الجماعة والسامعين وفضل من حرضهم على جمعهم هذا))

قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة للأدلة الكثيرة وجرى على ذلك فعل كثير من السلف والخلف . فمنها ماروى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ؛ وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم وغيره وروى ابن أبى داود أن أبا الدرداء رضى الله عنه كان يدرس القرآن ومعه نفر يقرءون القرآن جميعا وروى أيضا ذلك عن جماعة من السلف والخلف . وأما ماروى أن جماعة من السلف كرهوا ذلك منهم الامام مالك ، فإنه قيل له : أرأيت القوم يجتمعون فيقرءون جميعا سورة واحدة حتى يختموها ؟ فأنكر ذلك وعابه وقال ليس هكذا تصنع الناس ، انما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضه :

فهذا الانكار مخالف لما عليه السلف والخلف ولما يقتضيه الدليل فهو متروك والاعتماد على ماتقدم من استحبابها مع مراعاة شروط القراءة التى تقدمت هذا ملخص كلام الإمام النووى . قلت ان ذلك يمنع فى زمننا هذا الذى ضعفت فيه الهمم ، وقل الحرص على القراءة باستيفاء ، وقد شاهدنا كثيرين يقرءون كذلك قراءة لاشك فى حرمتها فإنهم يسقطون حروفا كثيرة ولا يراعون قواعد القراءة . فلو رأى الإمام قراءتهم لأفتى بحرمة القراءة باجتماع ولكنه كان فى زمنه القرآن غضا طريا فكانت النفوس منشرحة يقصدون بذلك التعاون على العبادة مع الحرص الشديد على قراءته قراءة مستوفاة لأنهم لايريدون إلا ارضاء الله تعالى واستنزال رحمته . وأما استماع القرآن فهو عبادة عظيمة ، ثبت هذا من فعل رسول الله ﷺ ، وروى الدارمى بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا . وأما فضيلة من يحرضهم على القراءة ويجمعهم لها ففيها نصوص كثيرة كقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان وكقوله ﷺ (الدال على الخير كفاعله) وقوله (والله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، من حديث رواه الشيخان . وأما الادارة وهى أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم حزبا أو غير ذلك ثم يسكت ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول ثم يقرأ الآخر وهكذا فهى جائزة وقد سئل الامام مالك عن ذلك فقال : لابأس به والله أعلم

﴿ حكم رفع الصوت بالقراءة وفيه الكلام على الوقف والابتداء ﴾

اعلم أنه جاءت أحاديث كثيرة فى الصحيح وغيره دالة على استحباب رفع الصوت بالقراءة وأحاديث تقتضى أن الإسرار والإخفاء أفضل وطريق

الجمع بينهما كما قال الغزالى : إن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فإن لم يخف الرياء فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى الى غيره والمتعدى أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه . قالوا فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل ، فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر . قال الغزالى ولهذا قلنا القراءة فى المصحف أفضل ، فهذا حكم المسألة — وينبغى للقارىء إذا ابتدأ من وسط السورة أو وقف على غير آخرها أن يبتدىء من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض ، وأن يقف على الكلام المرتبط ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء فإنها قد تكون فى وسط الكلام المرتبط كالجزء فى قوله تعالى « والمحصنات من النساء » وفى قوله تعالى « وما أبرىء نفسى » وفى قوله (فما كان جواب قومه) وهكذا . وكذلك الأحزاب فإنه ينبغى ألا يبتدىء ولا يقف إلا على ماوصفنا ، ولا يغترن بكثرة الفاعلين لذلك من القراء الذين لايراعون هذه الآداب ، ولا يفكرون فى هذه المعانى : ولهذا قالت العلماء : قراءة سورة قصيرة بكمالها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس فى بعض الأحوال . ويجمل أن يبين هذا المقام بأوسع من هذا لأهميته ناقلين أقوال العلماء واصطلاحاتهم فنقول :

الوقف والابتداء

قال فى الاتقان : والأصل فيه — أى فى معرفة الوقف والابتداء . ماأخرجه النحاس وذكر سنده الى عبد الله ابن عمر قال : لقد عشنا برهة

من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته مايدرى ماأمره ولا زجره ولا ماينبغي أن يوقف عنده منه قال النحاس فهذا يدل على أنهم يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن ، ولذا قال على رضى الله تعالى عنه في قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) قال الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقف - وقال ابن الأنبارى : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء : - ثم أن علماء هذا الفن لهم اصطلاحات في الوقف والابتداء منها : أنه على ثلاثة أوجه : تام ، وحسن ، وقبيح . -

فالتام : الذى يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، ولا يكون مابعده متعلقا به . كقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) وقوله (أم لم تنذرهم لايؤمنون)

والحسن : هو الذى يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله تعالى : (الحمد لله) لأن الابتداء برب العالمين لايحسن لكونه صفة لما قبله .

والقبيح : هو الذى ليس بتام ولا حسن : كالوقف على (بسم) قال ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف اليه ، ولا المنعوت دون نعته ، ولا الرافع دون مرفوعه ، وعكسه ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ، ولا المؤكد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البدل دون مبدله ، ولا إن أو كان أو ظن وأخواتها دون اسمها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته اسميا أو حرفيا ، ولا الفعل دون مصدره

ولا الحرف دون متعلقه ، ولا الشرط دون جزائه . ذكره ابن الأنباري .

وبعضهم قسم الوقف والابتداء الى أربعة أقسام وبعضهم الى خمسة ولهم اصطلاحات فى ذلك متباينة والحق كما قال ابن الجزري . أكثر ماذكر الناس فى أقسام الوقف غير منضبط ولا منحصر وأقرب ماقلته فى ضبطه أن الوقف ينقسم الى : اختياري ، واضطراري . لأن الكلام إما أن يتم أولا . فإن تم كان اختياريا وكونه تاما لايخلو . اما أن لايكون له تعلق بما بعده ألبته :- أى لا من جهة اللفظ ، ولا من جهـــة المعنى - فالوقف المسمى بالتام لتمامه المطلق يوقف عليه ، ويبتدىء بما بعده - ثم مثله بما تقدم فى التام - قال : وقد يكون الوقف تاما فى تفسير واعراب وقراءة غير تام على أخرى نحو (وما يعلم تأويله الا الله) تام ان كان مابعده مستأنفا ، غير تام ان كان معطوفا ونحو فواتح السور : الوقف عليها تام : ان أعربت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه ، أى الم هذه . أو هذه الم أو مفعولا بفعل مقدر . غير تام : ان كان مابعده هو الخبر . ونحو (مثابة للناس وأمنا) تام على قراءة واتخذوا بكسر الخاء . كاف على قراءة الفتح - ونحو (الى صراط العزيز الحميد) تام على قراءة من رفع الاسم الكريم بعدها حسن على قراءة من خفض . ثم قال : وان لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريا وهو المسمى بالقبيح لايجوز تعمد الوقف عليه الا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه لعدم الفائدة أو لفساد المعنى نحو : (صراط الذين) وقد يكون بعضه أقبح من بعض نحو (فلها النصف ولأبويه) لإيهامه أنها مع البنت شركاء فى النصف . وأقبح منه (ان الله لا يستحي) (فويل للمصلين) (ولا تقربوا الصلاة) فهذا حكم الوقف اختياريا واضطراريا وأما الابتداء فلا يكون الا اختياريا لأنه ليس كالوقف تدعو اليه ضرورة

فلا يجوز الا لمستقل بالمعنى موف بالمقصود .. الى آخر ماقال . وقال فى جمع الوسائل أجمع القراء على أن الوقف على الفواصل وقف حسن وان تعلقت بما بعدها وانما الخلاف فى أن الأفضل هو الوصل أو الوقف فالجمهور على الأول وغيرهم على الثانى . والفواصل جمع فاصلة وهى الكلمة التى تكون آخر الآية . واستدلوا لذلك بما جاء عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها قالت كان النبى ﷺ يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف أى وهكذا فى سائر الآيات والحديث رواه الترمذى ولكنه حديث غريب غير متصل الإسناد كما قال صاحب التبيان والأصح منه مارواه الترمذى أيضا عن يعلى بن مالك أنه سأل أم سلمة عن قراءة النبى ﷺ فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا (أى كلمة كلمة) ويمكن الجمع بينهما بأن النبى ﷺ كان تارة يقف على كل فاصلة ولو لم يتم المعنى بيانا لرءوس الآى وكان تارة يتبع فى الوقف تمام المعنى فلا يلتزم أن يقف على رءوس الآى لتكون قراءته مفسرة حرفا حرفا . وعلى هذا يقال إن كان الناس فى حاجة الى بيان الآيات حسن الوقف على رءوس الآى وإن كان الناس فى غنى عن معرفة رءوس الآى لم يحسن الوقف إلا عند تمام المعنى وإنما كان الوقوف على الفاصلة حيث احتيج الى ذلك مطلوب لأن فى معرفة الآى فوائد فقهيه منها اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه سبع آيات بدلها . ومنها اعتبارها فى الخطبة فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ومنها غير ذلك فأنت ترى من ذلك أن لكل وجهة وأن لكل هجرته الى الله تبارك وتعالى وأن من وقف على رءوس الآى فقد أصاب ومن وصل الى تمام المعنى فقد فصل ماهو مقصود من القراءة وهو الذى تنشرح اليه النفس

ألا ترى أنك لو قرأت قوله تعالى فى سورة النمل (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون) وتقف على أنها رأس آية ثم تبتدىء بـ ألا يسجدوا على قراءة حفص فإن المعنى لم يتم بذلك الوقف لأن المعنى فهم لايهتدون لعدم السجود لله فالكلام لايتم إلا بالوصل وفى سورة غافر : تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب ومعلوم أن غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول صفات للفظ الجلالة فإذا وقفت على رأس الآية الأولى فقد فصلت بين الموصوف وصفته وقال تعالى فى سورة الرحمن (الرحمن) ومعلوم أنه مبتدأ والخبر مابعده فلا تتم الفائدة إلا بوصله بالآية الثانيه (علم القرآن) وفى سورة الفلق أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى فإنك لو وقفت على ينهى فقد فصلت بين الفعل ومفعوله ولم يتم المعنى إلا بوصل الآية الثانية مع الأولى وأمثال هذا فى كلام ربنا كثير

﴿ فــــوائد ﴾

الأولى : قولهم لايجوز الوقف على المضاف دون المضاف اليه ولا كذا ولا كذا ... قال ابن الجزرى: انما يريدون الجواز الأدنى : وهو الذى يحسن فى القراءة ويروق فى التلاوة ، ولا يريدون بذلك أنه حرام أو مكروه اللهم إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذى أراده الله تعالى فإنه يكفر فضلا عن أن يأثم

الثانية : قال ابن الجزرى أيضا : ليس كل مايتعسفه بعض المعربين ، أو يتكلفه بعض القراء ، أو يتأوله بعض أهل الأهواء ، مما يقتضى وقفا أوابتداء

ينبغي أن يتعمد الوقف عليه ، بل ينبغي تحرى المعنى الأتم والوقف الأوجه وذلك نحو الوقف على (وارحمنا أنت) والابتداء بـ (مولانا فانصرنا) على معنى النداء . ونحو (ثم جاءوك يحلفون) ويبتدىء (بالله إن أردنا) ونحو (يابنى لاتشرك) ويبتدىء (بالله إن الشرك) على معنى القسم . ونحو (وما تشاءون الا أن يشاء) ويبتدىء (الله رب العالمين) ونحو (فلا جناح) ويبتدىء (عليه أن يطوف بهما) على أن عليه اغراء لأن اغراء الغائب ضعيف بخلاف القول بمثل ذلك من قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم ويبتدىء (عليكم ألا تشركوا) فإنه حسن لأن اغراء المخاطب فصيح

الثالثة : قال ابن الجزرى فى النشر : كل ماأجازوا الوقف عليه ، أجازوا الابتداء بما بعده . والله تعالى أعلم

حكم القراءات بالجمع

اختلف العلماء قديما وحديثا فى هذا فمنعه قوم وأجازه آخرون وأما التركيب فهو حرام لاشك فيه والفرق بين الجمع والتركيب أن التركيب هو أن يأخذ القارىء حكما من قراءة وآخر من قراءة أخرى ويقرأ بهما معا كمن يقرأ فتلقى آدم من ربه كلمات برفع آدم وكلمات أو بنصبهما معا وأما الجمع فهو أن يأتى القارىء برواية الراوى الأول على حسب مصطلح أهل القراءة ويتمادى الى أن يقف على موضع يسوغ الوقف عليه فمن اندرج معه فلا يعيده ومن تخلف فإنه يأتى به ويقدم أقربهم خلافا الى ماوقف عليه فإن تزاحموا عليه فيقدم الأسبق رتبة فالأسبق وينتهى الى حيث يسوغ الوقف مع كل راو

استدل القائلون بالمنع بقوله ﷺ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

قالوا ان الجمع لم يحصل من النبي ﷺ ولا من أصحابه ولا من السلف الصالح بل كان ذلك في حدود الأربعمائة وهلم جرا

واستدل القائلون بالجواز بأن ذلك من أسباب حفظ القرآن الذي نزل على سبعة أحرف وفي المنع تضييع له . وذلك أن القراءات كانت في عصر السلف الصالح تتلقى بطريق التلقين ، وسماع الوارد والعمل به ولم يكن كل راو للقرآن يرويه بجميع طرقه بل كان كل رواية يشتغل بها جمع مخصوص فلما دونت العلوم وأصبحت القراءات علما مستقلا جامعا لكل الروايات وكان في الناس فراغ واقبال على العلم وحب الخير كانوا يقرءون لكل شيخ ختمة بل كان بعضهم يقرأ لكل راو ختمة فلما كان القرن الخامس وضعفت العزائم رأى الأئمة الحاملون لهذا الفن أن يقصروا الطالب على ختمة واحدة يلقنون له فيها جميع الروايات في كل آية آية ويسمون ذلك جمع الجمع تسهيلا على القارىء ولولا ذلك لضاع هذا العلم ولا شك أن ذلك من أسباب حفظ القرآن الكريم وأجابوا عن الحديث السابق بأنه ليس على عمومه والا لكان كثير من المحدثات الدينية بدعة وضلالة وذلك مما لا يقول به أحد على أنه قد وجد مايقتضي أصل الجمع منه ﷺ ومن السلف أما منه فلما صح أنه عليه الصلاة والسلام كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة الا العام الذي قبض فيه فمرتين ولا شك أن كل مرة وقعت بجميع الوجوه الذي نزل بها القرآن ولا جائز أن يكون ﷺ عرض تلك الوجوه افرادا في كل مرة من العرضات لأن الوجوه المذكورة يزيد عددها على عدد العرضات بأضعاف فلا بد اذاً من وقوع الجمع فيها . واما من السلف الصالح فلما تقدم أنهم كانوا يقرءون على الشيخ الواحد العدة من الروايات كل ختمة برواية لايجمعون

رواية الى أخرى وفى بعض الآيات فى كل رواية منها وجوه كثيرة كما فى قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها الى صادقين فإن فيه ستة اوجه فى رواية قالون وتسعة اوجه فى رواية ورش ، وهذا الرأى هو الذى تميل اليه النفس فإن من أصعب الأمور خصوصا فى هذه الأزمنة افراد كل ختمة برواية من غير جمع رواية اخرى فإن النفس ميالة الى الراحة والفتور فى العبادة ولذا استنبط الأئمة المقتدى بهم الجمع المذكور فأقبل الناس عليه من كل حدب لخفته وسهولته ولولاه لترك الناس تعلم القراءات فيقعون جميعا فى الاثم وعلى هذا كثير من العلماء الأعلام قرأ به الحافظ ابو عمرو الدانى ومكى القيسى وابو العلاء الهمذانى والشاطبى وأبو شامة والامام المجتهد على بن عبد الله الكافى السبكى والامام الجعبرى وغيرهم ممن لا يحصون كثرة قال المحقق ابن الجزرى فى كتابه النشر مانصه والذى استقر عليه العمل هو الأخذ به والتقرير عليه اهـ . وكلام هؤلاء الأعلام يفيد جواز الجمع مطلقا لافرق بين وقت التلقى وغيره نعم يشترط فى القارىء أن يكون متقنا لما تلقاه من أفواه المشايخ المعول عليهم وأن يفرد كل قراءة على حدة قبل الجمع وأن يراعى الوقف والابتداء وحسن الأداء وعدم التركيب لما منع فمن جمع الشروط جاز له الجمع سواء كان فى ختمة سبعية أو عشرية أو فيما دونها وسواء كان فى مجلس التلقى عن الشيوخ أو فى غيره من المجالس المحترمة شرعا والله أعلم

﴿ فصل فى الآيات المتشابهات ﴾

والمراد ايراد الآية الواحدة فى صور شتى وفواصل مختلفة وأنها قد تأتى فى موضع واحد مقدما وفى آخر مؤخرا كقوله تعالى فى سورة البقرة

(وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة) وفى الأعراف . وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا . وكقوله تعالى فى سورة البقرة (وما أهل به لغير الله) وسائر القرآن . وما أهل لغير الله به . وعلى هذا آيات كثيرة . وقد ألف جماعة من العلماء فى توجيه ذلك ليعلم سر شىء من كلام الله تعالى وأنه تنزيل من حكيم حميد وأن كل مافيه من تقديم أو تأخير أو زيادة أو دونها مبنى على الحكمة البالغة ولو غير عن ذلك لانحط من علوه وضاعت فصاحته وبلاغته التى أعجزت الإنس والجن . وانى ذاكر لك أمثلة من ذلك لتكون باعثة لك على البحث والتنقيب على مالم يذكر . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب . قال تعالى فى سورة البقرة (فاتقوا النار) بلام التعريف وقد ذكرت فى التحريم منكرة فالجواب أن الخطاب فى البقرة مع المنافقين وهم فى أسفل النار المحيطة بهم فعرفت بلام الاستغراق أو العهد الذهنى وأما الثانية فمع المؤمنين والذى يعذب من عصاتهم بالنار يكون فى جزء من أعلاها فناسب تنكيرها لتقليلها . وقال تعالى (أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا) وفى الاعراف فكلا بالفاء فالجواب أن اسكن فى سورة البقرة معناه استقر لكون آدم وحواء كانا فى الجنة والأكل بجامع الاستقرار غالبا فلهذا عطف بالواو الدالة على الجمع والمعنى اجمعا بين الأكل والاستقرار وفى الأعراف معناه أدخل لكونهما كانا خارجين عنها والأكل لايكون مع الدخول عادة بل عقبه فلهذا عطف بالفاء الدالة على التعقيب وقال تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم) وفى ابراهيم ويذبحون بالواو فالجواب أن الأولى من كلام الله تعالى فلم يعدد عليهم المحن تكرما فى الخطاب والثانية من كلام موسى فعددها وفى الأعراف يقتلون وهو من

تنويع الالفاظ المسمى بالتفنن . وقال تعالى (وان يتمنوه أبدا) وفى الجمعة ولا يتمنونه لأن لن أبلغ فى النفى من لا حتى قيل انها لتأييد النفى ودعواهم فى البقرة بالغة قاطعة وهى كون الجنة لهم بصفة الخلوص فناسب ذكر لن فيها ودعواهم فى الجمعة قاصرة مردودة وهى فى زعمهم أنهم أولياء لله من دون الناس فناسب ذكر لا فيها وقال تعالى رب اجعل هـذا بلدا آمنا وفى ابراهيم هذا البلد آمنا لأن الأول دعا به قبل مصيره بلدا عند نزول هاجر واسماعيل وهو واد فدعا به أن يصيره بلدا آمنا والثانى دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلدا فدعا بأن يجعله آمنا وقال تعالى (ويكون الدين لله)وفى الانفال ويكون الدين كله لله فالجواب أن القتال فى البقرة مع أهل ملة فقط وأما فى الأنفال فمع جميع الكفار فناسب ذكره . وقال تعالى فى سورة آل عمران (نزل عليك الكتاب) وقال أنزل التوراة والانجيل فالجواب أن الكتاب أنزل منجما فناسب الاتيان بنزل الدال على التكرير بخلافهما فإنهما أنزلا دفعة واحدة وقال تعالى فى سورة النساء ، محصنين غير مسافحين ، اقتصر عليه لأنه فى الحرائر المسلمات وهن الى الخيانة أبعد من بقية النساء وزاد بعد فى قوله محصنات غير مسافحات قوله ولا متخذات أخدان لأنه فى الاماء وهن الى الى الخيانة أقرب من حرائر المسلمات وزاد أيضا فى المائدة فى قوله محصنين غير مسافحين قوله ولا متخذى أخدان لأنه فى الكتابيات الحرائر وهن الى الخيانة أقرب من الحرائر المسلمات . وقال تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وقال فى التى بعدها درجات فالجواب أن المراد من الأولى تفضيلهم على القاعدين بعذر لأن لهم أجرا لكونهم مع الغزاة بالنية ولهذا قال وكلا وعد الله الحسنى أى الجنة وأن الثانية المراد منها تفضيلهم

على القاعدين بغير عـذر لأنهم مقصرون ومسيئون فكان فضل الغزاة عليهم درجات لانتفاء الفضل لهم وقال تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله أخر لله عن قوله شهداء بالقسط وعكس فى المائـدة اهتماما بطلب القسط بالاول وأما فى الثانية فلأن لله متعلق بقوامين لـكون الآية فى الولاة بدليل قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أى كونوا أيهـا الولاة قوامـين فى أحكام دينكم لله لاللنفع ولا لحظ دنيوى وقال تعـالى فى سورة المائدة ، ومن لم يحكم بما أنزل الله ، كرره ثلاث مرات وختم الأولى بقوله الكافرون والثـانية بقوله الظالمون والثالثة بقوله الفاسقون قيـل كلها بمعنى واحد وهو الكفر عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب التكرار وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله انكارا له فهو كافر ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاده للحق وحكم بضده فهو ظالم ومن لم يحكم بالحق جهلا وحكم بضده فهو فاسق وقيل غير ذلك وقال تعالى فى سورة الأنعام ، فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون بسط هنا واختصر فى الشعراء فقـال فقد كذبوا فسيأتيهم أنبـاء ما كانوا به يستهزئون لان ماهنا سابق على ماهناك فناسب البسط هنا والاختصار هناك . وقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك) بالافراد وفى يونس يستمعون بالجمع لان ماهنا نزل فى قوم قليلين وهم أبو سفيان والنضر ابن الحارث وعتبة وشيبه وأميـة وأبى بن خلف فنزلوا منزلة الواحد فأعيد الضمير على لفظ من ، وما فى يونس نزل فى جميـع الكفار فناسب الجمع وأعيد الضمير على معنى من ولم يجمع قوله ومنهم من ينظر اليك فى يونس لان الناظرين فى المعجزات أقل من المستمعين للقرآن . وقال تعالى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى قال ذلك هنا وقال فى آل عمران ويونس

والروم ويخرج الميت بالفعل لأن ماهنا وقع بعد اسم الفاعل وهو فالق وقبل اسمى فاعل وهما فالق وجاعل فناسب ذكر مخرج لأنه اسم فاعل وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم من املاق وفى الاسراء خشية املاق لأن الأولى خطاب للفقراء أى لاتقتلوهم من فقركم فحسن بعد هذا نحن نرزقكم واياهم أى نرزقكم جميعا والثانية خطاب للأغنياء أى خشية فقر يحصل لكم بسببهم ولهذا قال نحن نرزقهم واياكم وقال تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ختم الأولى بتعقلون والثانية بقوله تذكرون والثالثة بقوله تتقون لأن الأولى اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ منها فى غيرها فختمها بما فى الانسان من أعظم السجايا وهو العقل الذى امتاز به على سائر الحيوانات والثانية اشتملت على خمسة أشياء يقبح ارتكابها والوصية فيها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون أى تتعظون والثالثة اشتملت على ذكر الصراط المستقيم والتحريض على اتباعه واجتناب مناهيه فختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل وخير الزاد . وقال تعالى فى سورة الأعراف (قال مامنعك ألا تسجد) قال ذلك بزيادة لا كما فى لئلا يعلم وقال فى ص بحذفها وهو الأصل فزيادتها هنا لتأكيد معنى النفى فى منعك أو لتضمين منعك حملك وهى على هذا ليست زائدة فى المعنى . وقال تعالى وهم بالآخرة كافرون وقال فى هود وهم بالآخرة هم كافرون لأن ماهنا جاء على الأصل وتقديره وهم كافرون بالآخرة فقدم بالآخرة لرعاية الفواصل وما فى هود وقع بعد قوله هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين والقياس عليهم فلما عبر عنهم بالظالمين التبس أنهم هم الذين كذبوا على ربهم فقال وهم بالآخرة هم كافرون ليعلم أنهم هم المذكورون لاغير وقال تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين قاله هنا مرتين

بالافراد وكذلك مرة فى العنكبوت وقال فى هود فأصبحوا فى ديارهم
مرتين بالجمع لأن مافى الموضع الأول تقدمه ذكر الرجفة أى الزلزلة وهى
تختص بجزء من الارض فناسب الافراد ومافى الآخرين تقدمه ذكر الصيحة
وكانت من السماء وهى زائدة على الرجفة فناسبها الجمع وقال تعالى فى قصة
صالح لقد أبلغتكم رسالة ربى بالافراد وفى قصة شعيب بالجمع لأن ماأمر به
شعيب قومه من التوحيد وايفاء الكيل والنهى عن الصد واقامة الوزن بالقسط
أكثر مما أمر به صالح قومه أو لأن شعيبا أرسل الى أصحاب الأيكة والى
مدين فجمع باعتبار تعدد المرسل اليهم وفى صالح عليه السلام وحد باعتبار
الجنس . وقال تعالى (قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا) قدم النفع على الضر
هنا وعكس فى يونس لأن أكثر ماجاء فى القرآن فى لفظى الضر والنفع معا
جاء بتقديم الضر على النفع ولو بغير لفظهما لأن العابد يعبد معبوده خوفا
من عقابه أولا ثم طمعا فى ثوابه ثانيا كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا
واذا تقدم النفع على الضر فلتقدم لفظ يتضمن نفعا كما هنا فإن قبله من يهد
الله فهو المهتد وبعده لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إذ الهداية والخير
من جنس النفع وقال تعالى (فاستعذ بالله انه سميع عليم) وفى فصلت (إنه
هو السميع العليم) لأن آية الأعراف نزلت أولا وآية فصلت نزلت ثانيا
فحسن التعريف أى هو السميع العليم الذى تقدم ذكره أولا عند نزغ الشيطان
وقال تعالى فى سورة الأنفال (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم)
كرره أما أولا فمعناه كدأب آل فرعون فيما فعلوه وأما ثانيا فمعناه كدأب
آل فرعون فيما فعل بهم أو المراد بالأول كفرهم بالله وبالثانى تكذيبهم
الأنبياء وقال تعالى فى سورة براءة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض

وقال فى المؤمنين بعضهم أولياء بعض وفى الكفار والذين كفروا بعضهم أولياء بعض لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة فكان بعضهم يهودا وبعضهم مشركين فقال من بعض أى فى الشك والنفاق والمؤمنون متناصرون على دين الاسلام وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان ويجتمعون على التناصر بخلاف المنافقين فإنهم كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقال تعالى وطبع على قلوبهم بالبناء للمفعول وقال بعده وطبع الله على قلوبهم لأن الأول تقدمه مبنى للمفعول وهو قوله واذا أنزلت سورة والثانى تقدمه ذكر الله مرات فناسب بناء الأول للمفعول والثانى للفاعل ليناسب الفاعل ماقبله ثم ختم كلا منهما بما يناسب فقال فى الأول لايفقهون وفى الثانى لايعلمون لأن العلم فوق الفقه أى الفهم وقال تعالى وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون بذكر ثم وبحذف (المؤمنون) وقال بعد بالواو وبذكر والمؤمنون لأن الأول فى المنافقين ولا يطلع على ضمائرهم إلا الله ثم رسوله بإطلاع الله إياه عليها والثانى فى المؤمنين وطاعاتهم وعباداتهم ظاهرة لله ولرسوله وللمؤمنين وقال تعالى فى سورة يونس إن العزة لله جميعا وقال فى سورة المنافقين ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. لأن المراد هنا العزة الخاصة بالله وهى العزة الإلهية والخلق والإماتة والإحياء والبقاء الدائم وشبهها وأما هناك فالمراد العزة المشتركة وهى فى حق الله تعالى القدرة والغلبة وفى حق رسوله ﷺ علو كلمته واظهار دينه وفى حق المؤمنين نصرتهم على الأعداء وقال تعالى (وأمرت أن أكون من المؤمنين) وأما فى النمل فقال من المسلمين أما أولا فموافقة لقوله قبل ننجى المؤمنين وأما الثانية فموافقة لقوله قبل فهم مسلمون وقال تعالى فى سورة هود وما من دابة فى الأرض

الا على الله رزقها ولم يقل على الأرض مع أنه أنسب بتفسير الدابة لغة بأنها مايدب على الأرض لأن لفظة فى أعم من على لأنها تتناول من الدواب ماعلى ظهر الأرض وما فى بطنها وقال تعالى لاجـــرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون وقال فى النحل هم الخاسرون لان ماهنا نزل فى قوم صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا وما هناك نزل فى قوم صدوا عن سبيل الله فناسب فى الاول الاخسرون وفى الثانى الخاسرون وقال تعالى وياقوم لاأسألكم عليه مالا حكاية عن نوح وقال بعد حكاية عن هود لاأسألكم عليه أجرا قال ذلك توسعة فى التعبير عن المراد بمتساويين ولأن قصة نوح وقع بعدها خزائن والمال بعدها أنسب وقال فى الاولى وياقوم بالواو وفى الثانية ياقوم بدونها لطول الكلام الواقع بين النداءين فى قصة نوح وقصره بينهما فى قصة هود فناسب ذكر الواو فى الاولى لتوصل مابعدها بما قبلها وقال تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هودا بالواو فيها وفى قصة شعيب . وبالفاء فى قصة صالح ولوط لأن العذاب فى قصة الاولين تأخر عن وقت الوعيد فناسب الاتيان بالواو وفى قصة الآخرين وقع العذاب عقب الوعيد فناسب الاتيان بالفاء الدالة على التعقيب وقال تعالى وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة وقال بعدها فى قصة موسى فى هذه لعنة اختصارا واكتفاء بما هنا وقال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بصيغة ليهلك لأنه لما ذكر قوله بظلم نفى الظلم عن نفسه بأبلغ لفظ يستعمل فى النفى لان اللام فيه لام الجحود والمضارع يفيد الاستمرار فمعناه مافعلت الظلم فيما مضى ولا أفعله فى الحال ولا فى المستقبل فكان غاية فى النفى وقاله فى القصص بدون ذكر ظلم واكتفى بذكر اسم الفاعل المفيد للحال فقط وان كان يستعمل فى الماضى

والمستقبل مجازا وقال تعالى فى سورة يوسف رأيتهم لى ساجدين ذكر الرؤية
ثانيا جوابا لسؤال مقدر من يعقوب عليه السلام كأنه قال ليوسف بعد قوله
رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كيف رأيتها ؟ سائلا عن حال رؤيتها
فقال مجيبا له رأيتهم لى ساجدين وقال تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما
وزاد فى القصص واستوى فى قصة موسى لأن يوسف أوحى اليه فى الصغر
وموسى أوحى اليه بعد أربعين سنة فقوله واستوى اشارة الى تلك الزيادة
وقال تعالى لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون كرر لعل رعاية للفواصل إذ
لو قال لعلى أرجع الى الناس فيعلموا جوابا للعل لفاتت الرعاية وقال تعالى
ولما جهزهم بجهازهم قاله هنا بالواو وبعد بالفاء لأنه ذكر هنا أول مجيئهم الى
يوسف فناسبته الواو الدالة على الاستئناف وأما بعد فإنه عند انصرافهم عنه
ذكر عطفا على لما دخلوا فناسبته الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب وقال تعالى
أفلم يسيروا فى الأرض قاله هنا وفى الحج وفى آخر غافر بالفاء وقاله فى الروم
وفاطر وأول غافر بالواو لأن مافى الثلاثة الأول تقدمه التعبير فى الانكار
بالفاء فى قوله هنا أفأمنوا أن تأتيهم غاشية وفى الحج فهى خاوية على عروشها
وفى آخر غافر فأى آيات الله تنكرون وما فى الثلاثة الأخيرة تقدمه التعبير
بالواو فى قوله فى الروم أو لم يتفكروا فى أنفسهم وفى فاطر أو لم نعمركم
وفى أول غافر وأنذرهم يوم الآزفة وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق
والذين لايدعون من دونه لايقضون بشىء وقال تعالى فى سورة الرعد إن
فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وختمها بعد بيعقلون لأن التفكر فى الشىء
سبب لتعقله والسبب مقدم على المسبب فناسب تقدم التفكر على التعقل
وقال تعالى ولله يسجد من فى السموات والأرض وقال فى الحج أن الله يسجد

له من فى السموات ومن فى الأرض وفى النحل ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض لأنه فى الاولى ذكر العلويات من الرعد والبرق والسحاب ثم الملائكة بتسبيحهم ثم الاصنام والكفار فبدأ بذكر من فى السموات لتقدم ذكرهم وأتبعهم بقوله والارض ولم يذكر (من) فيها استخفافا بالاصنام والكفار وأما فى الثانية فقد تقدم ذكر المؤمنين وسائر الاديان فقدم ذكر من فى السموات لشرفهم ثم قال ومن فى الارض لتقدم ذكر المؤمنين وأما فى الثالثة فإنه تقدم ذكر ماخلقه الله عاما فاقتضت الآية مافى السموات وما فى الارض فذكر فى كل آية ماينا سبها وقال تعالى فى سورة ابراهيم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال بعد وعلى الله فليتوكل المتوكلون لأن الإيمان سابق على التوكل وقال تعالى فى سورة الحجر وأن عليك اللعنة الى يوم الدين وقال فى ص وإن عليك لعنتى أما الاول فذكر بالتعريف ليناسب ماقبله من التعبير بالجنس فى قوله ولقد خلقنا الانسان . والجان خلقناه . فسجد الملائكة وأما ثانيا فبالإضافة ليناسب ماقبله من قوله لما خلقت بيدى . وقال تعالى ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا بزيادة اخوانا وبدونها فى غير هذه السورة لأن الاول نزل فى أصحاب النبى ﷺ والثانى نزل فى عامة المؤمنين وقال تعالى إن فى ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن فى ذلك لآية للمؤمنين : جمعت الآيات أولا باعتبار تعدد ماقص من حديث لوط وضيف ابراهيم وتعرض قوم لوط لهم وما كان من اهلاكهم وقلب المدينة على من فيها وامطار الحجارة على من غاب عنها ووحدت ثانيا باعتبار وحدة قرية قوم لوط المشار اليها بقوله وانها لبسبيل مقيم قال تعالى فى سورة النحل إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وحد الآية فى هذه السورة فى خمسة مواضع

نظرا لمدلولها . وجمعها فى موضعين لمناسبة قوله قبلهما مسخرات وقال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة وقال فى فاطر بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة : ترك لفظ ظهرها هنا احترازا عن الجمع بين الظاءين فى ظهرها وظلمهم بخلافه فى فاطر اذ لم يذكر فيهما بظلمهم وقال تعالى فى سورة الاسراء أئذا كنا عظاما ورفاتا الآية أعادها بعينها آخر السورة وليس ذلك تكرارا لأن الأولى من كلامهم فى الدنيا حين أنكروا البعث والثانية من كلام الله حين جازاهم على كفرهم وانكارهم البعث وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) قاله بالضمير هنا لقرب مرجعه وهو الرب فى قوله وربك أعلم وقال فى سبأ (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أى بالاسم الظاهر لبعد مرجع الضمير لو أتى به وقال تعالى (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر) وفى الأحقاف بلفظ بقادر وفى يس أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر لأن ماهنا خبر ان وما فى يس خبر ليس وخبرها تدخله الباء وما فى الأحقاف خبر إن وكان القياس عدم دخول الباء فيه لكنها دخلته تشبيها لها بليس فى النفى وقال تعالى (يخرون الأذقان) كرره لأن الأول وقع فى حال السجود والثانى فى حال البكاء أو الاول واقع فى قراءة القرآن أو سماعه والثانى فى غير ذلك وقال تعالى فى سورة الكهف ولئن رددت الى ربى وفى فصلت ولئن رجعت الى ربى وهما بمعنى واحد وخولف فى التعبير توسعة فى الكلام وقال تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ذكرت هنا الفاء الدالة على التعقيب لأنها هنا فى الأحياء من الكفار فإنهم ذكروا فأعرضوا عقب ماذكروا . وقال فى السجدة ثم أعرض عنها لأن ماهناك فى الأموات من

الكفار فإنهم ذكروا مرة بعد أخرى ثم أعرضوا بالموت فلم يؤمنوا
وقال تعالى (لقد جئت شيئا إمرا) بلفظ الإمر لأنه للعجب والعجب
كما يكون فى الخير يكون فى الشر وقال بعد فى قتل الغلام
بلفظ نكرا لأنه لايكون الا فى الشر وقتل النفس أعظم من خرق السفينة
ولذا قال فى خرق السفينة ألم أقل انك وفى قتل الغلام ألم أقل لك وقال تعالى
مالم تستطع بالتاء فى الاولى على الأصل وفى الثانية تسطع بحذفها تخفيفا لأنه
الفرع وجاء العكس فى قوله فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا لأن
مفعول الاول اشتمل على حرف وفعل وفاعل ومفعول فناسبه الحذف تخفيفا
بخلاف مفعول الثانى فإنه اسم واحد وهو قوله نقبا فناسبه البقاء على الاصل
وقال تعالى فأردت أن أعيبها قاله الخضر فى خرق السفينة وقال فى قتل الغلام
فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وفى اقامة جدار اليتيمين فأراد ربك أن يبلغا
أشدهما لأن الاول فى الظاهر افساد محض والثالث انعام محض وفى الثانى
افساد من حيث القتل وانعام من حيث التبديل فأسنده الى نفسه وربه كذا
قيل فى الاخير والاوجه ماقيل فيه إنه عبر عن نفسه فيه بلفظ الجمع تنبيها على
أنه من العظماء فى علوم الحكمة فلم يقدم على القتل الا لحكمة عاليه وقال تعالى
فى سورة مريم (وسلام عليه يوم ولد) قاله فى قصة يحي منكرا وقاله بعد
فى قصة عيسى والسلام على معرفا لأن الاول من الله والقليل منه كثير
والثانى من عيسى عليه السلام وقال تعالى (الا من تاب وآمن وعمل صالحا)
وقال فى الفرقان وعمل عملا صالحا لأنه تعالى أوجز هنا فى ذكر المعاصى
فأوجز فى التوبة بخلافه هناك وقال تعالى فى سورة طه (ان الساعة آتية
وفى الحج كذلك وأما فى غافر فبإثبات اللام لأنها انما تزاد لتأكيد الخبر

وتأكيده انما يحتاج اليه اذا كان المخبر به شاكا فى الخبر والمخاطبون فى غافر هم الكفار فجىء باللام بخلاف الأولين وقال تعالى فى سورة الأنبياء (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال فى الشعراء بلفظ من الرحمن ليوافق ماهنا قوله بعد قل ربى يعلم القول ويوافق مافى الشعراء قوله بعد وإن ربك لهو العزيز الرحيم وقال تعالى وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين وقاله فى الصافات بلفظ الأسفلين لأن ماهنا تقدمه أن ابراهيم كادهم وأنهم كادوه وأنه غلبهم فى الكيد فخسرت تجارتهم حيث كسر أصنامهم ولم يبلغوا من احراقه مرادهم فناسب ذكر الأخسرين وما فى الصافات تقدمه قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم فأججوا له نارا عظيمة وبنوا بنيانا عظيما ورفعوا ابراهيم اليه ورموه منه الى أسفل فرفعه الله وجعلهم فى الدنيا من الأسفلين وردهم فى العقبى أسفل السافلين فناسب ذكر الأسفلين وقال تعالى فى سورة الحج (وأنما يدعون من دونه هو الباطل) وقال فى لقمان بدون هو لموافقة كل منهما ماقبله لأن ماهنا تقدمه تأكيدات بعضها بإن وبعضها باللام وبعضها بأنما بخلافه هناك ولذا قال هنا وإن الله لهو الغنى الحميد وقال هناك ان الله هو الغنى الحميد وقال تعالى فى سورة المؤمنون (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون بالجمع وبالواو وقال فى الزخرف لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بالإفراد وحذف الواو موافقة لما قبلهما إذ ماهنا تقدمه جنات بالجمع وما بعد الواو معطوف على مقدر تقديره منها تدخرون ومنها تأكلون ومافى الزخرف تقدمه جنة بالافراد فى قوله وتلك الجنة وليس فى فاكهة الجنة الا الأكل فناسب الجمع والواو هنا والافراد وحذف الواو هناك وقال تعالى (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) قاله هنا بلفظ الله وفى فصلت بلفظ ربنا موافقة لما

قبلها إذ ماهنا تقدمه لفظ الله دون ربنا وما فى فصلت تقدمه لفظ الرب
فى رب العالمين سابقا على لفظ الله فناسب ذكر الله هنا وذكر الرب هناك
وقال تعالى (واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم) وفى سبأ بلفظ بصير مناسبة
لما قبلها اذ ماهنا تقدمه ايتاء الكتاب وجعل مريم وابنها آية والعلم بهما أنسب
من بصرهما وما هناك تقدمه قوله وألنا له الحديد والبصر بالانة الحديد أنسب
من العلم بها وقال تعالى فى سورة النور الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة قدمت المرأة هنا وأخرت فى آية حد السرقة لأن الزنا انما
يتولد من شهوة الوقاع وهى فى المرأة أقوى وأكثر . والسرقة انما تتولد
من الجسارة والقوة وهى فى الرجل أقوى وأكثر فإن قيل لم قدم الرجل
فى قوله الزانى لاينكح الا زانية أو مشركه قلت لأنها فى حكم النكاح والرجل
هو الأصل فيه لأنه الراغب والبادىء بالطلب وقال تعالى فى سورة الفرقان
(واجعلنا للمتقين اماما) لم يقل أئمة رعاية للفواصل أو المعنى واجعل كل
واحد منا اماما وقال تعالى فى سورة الشعراء قال رب السموات والأرض
وما بينهما إن كنتم موقنين وقال فيما بعد إن كنتم تعقلون لاطفهم أولا بقوله
ان كنتم موقنين فلما رأى عنادهم خاشنهم بقوله ان كنتم تعقلون وأيضا
عارض به قول فرعون إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وقال تعالى
فى قصة صالح ماأنت الا بشر مثلنا بلا واو وقال فى قصة شعيب بواو لأنه
هنا بدل مما قبله وفى الثانى معطوف على ماقبله وخصت الاولى بالبدل لأن
صالحا قلل فى الخطاب فقللوا فى الجواب وأكثر شعيب فى الخطاب فأكثروا
فى الجواب وقال تعالى فى سورة النمل ويوم ينفخ فى الصور ففزع وفى الزمر
بلفظ فصعق موافقة هنا لما بعده وهو من فزع يومئذ آمنون وفى الزمر لما

قبله وهو إنك ميت اذ معنى الصعق الموت وقال تعالى فى سورة القصص ستجدنى إن شاء الله من الصالحين وفى الصافات من الصابرين لأن ماهنا من كلام شعيب وهو المناسب للمعنى اذ المعنى ستجدنى من الصالحين فى حسن العشرة والوفاء بالعهد وهناك من كلام اسماعيل وهو المناسب للمعنى اذ المعنى ستجدنى من الصابرين على الذبح وقال تعالى فى سورة العنكبوت (وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء) واقتصر فى الشورى على فى الأرض لأن ماهنا خطاب لقوم فيهم النمرود الذى حاول الصعود الى السماء فأخبرهم بعجزهم وأنهم لايفوتون الله فى الأرض ولا فى السماء وما فى الشورى خطاب لمن لم يحاول الصعود الى السماء وقال تعالى فى سورة الروم ولتجرى الفلك بأمره وقال فى الجاثية بزيادة فيه لأن ماهنا لم يتقدمه مرجع الضمير بخلافه هناك فإنه تقدم له مرجع وهو البحر حيث قال (الله الذى سخر لكم البحر) وقال تعالى فى سورة لقمان (كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا بزيادة كأن فى أذنيه وقرا وفى الجاثية بحذفه مع أنهما نزلا فى النضر بن الحارث حيث كان يعدل عن سماع القرآن الى اللهو وسماع الغناء لأنه تعالى بالغ فى ذمه هنا فناسب زيادة ذلك بخلاف مافى الجاثية وقال تعالى فى سورة السجدة يدبر الأمر من السماء الى الأرض الآية بذكر فى يوم كان مقداره ألف سنة وفى المعارج مقداره خمسين ألف سنة لأنه يختلف طولا وقصرا على حسب أعمال الواقفين للحساب واعتقاداتهم وقال تعالى (وذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) وقال فى سبأ التى كنتم بها تكذبون ذكر الوصف والضمير هنا نظرا للمضاف وهو العذاب وأنثهما هناك نظرا للمضاف اليه وهو النار وقال تعالى فى سورة سبأ إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب وقال بعد ان فى ذلك

لآيات لكل صبار شكور بالإفراد فى الأولى والجمع فى الثانية لأن ماهنا
اشارة الى احياء الموتى فناسب الافراد وما بعد اشارة الى سبأ قبيلة تفرقت
فى البلاد فصارت فرقا فناسب الجمع وقال تعالى فى سورة فاطر مختلفا ألوانها
بتأنيث الضمير لعوده الى الثمرات وقال ثانيا مختلف ألوانها بتأنيثه أيضا
لعوده الى الجبال وقال ثالثا مختلف ألوانه بتذكيره لعوده الى بعض المفهوم
من لفظ من فى قوله (ومن الناس والدواب والانعام) وقال تعالى فى سورة
يس (انا اليكم مرسلون) بغير تأكيد باللام لأنه ابتداء اخبار بخلافه فيما بعد
فإنه باللام لأنه جواب بعد انكار وتكذيب فاحتيج الى التأكيد وقال تعالى
(ان كانت الا صيحة واحدة ذكرها مرتين لأن الاولى هى النفخة التى يموت
بها الخلق والثانية هى التى يحيا بها الخلق فلا تكرار وقال تعالى فى سورة
الصافات (بغلام حليم) وقال فى الحجر والذاريات عليم نظرا فيهما لشرف
العلم وفيما هنا لمناسبة حلم الغلام لوعده بالصبر فى جوابه لسؤال أبيه له
فى ذبحه وقال تعالى (وأبصرهم فسوف يبصرون) ثم أعاده فى قوله وأبصر
فسوف يبصرون لأن الاول فى الدنيا والثانى فى الآخرة وحذف منه المفعول
اكتفاء بذكره أولا وقال تعالى فى سورة ص (أأنزل عليه الذكر من بيننا
وفى القمر بلفظ أألقى لأن ماهنا حكاية عن كفار قريش فناسب التعبير
به لوقوعه انكارا لما قرأه عليهم النبى ﷺ . وما فى القمر حكاية عن قوم
صالح وكانت الانبياء تلقى اليهم صحفا مكتوبة فناسب التعبير بألقى وقال تعالى
فى سورة الزمر (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت
أبوابها وقال فى صفة الجنة بالواو ذكروا لذلك أجوبة منها أن الواو للحال
أى جاءوها وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم بخلاف أبواب النار فإنها انما تفتح

عند مجيئهم والسر فى ذلك أن يتعجل بأهل الجنة الفرح والسرور اذا رأوا الابواب مفتحة وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها أو إن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل وهوان فصين أهل الجنة عنه وقال تعالى فى سورة غافر (وخسر هنالك المبطلون) وختم السورة بقوله الكافرون لأن الأول متصل بقوله قضى بالحق ونقيض الحق الباطل والثانى متصل بإيمان غير نافع ونقيض الايمان الكفر وقال تعالى فى سورة الزخرف (وانا على آثارهم مهتدون وبعده بلفظ مقتدون لأن الأول وقع فى محاجتهم النبى ﷺ وادعائهم أن آباءهم كانوا مهتدين وأنهم مهتدون كآبائهم فناسب مهتدون والثانى وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء فناسب مقتدون وقال تعالى فى سورة ق وقال قرينه بالواو وقاله بعد بدونها لأن الأول خطاب الإنسان من قرينه ومتعلق به فناسب ذكر الواو والثانى استئناف خطاب من الله غير متعلق بما قبله فناسب حذفها وقال تعالى فى سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان تقدم الجواب عن ذلك وما يماثله فى شبه الطاعنين فارجع اليه ان شئت وقال تعالى فى سورة الواقعة (أفرأيتم ماتمنون) أفرأيتم ماتحرثون . أفرأيتم الماء الذى تشربون . أفرأيتم النار التى تورون بدأ بذكر خلق الانسان ثم بمالا غنى عنه وهو الحب الذى منه قوته ثم بالماء الذى يسوغه به وبه عجنه ثم بالنار التى بها نضجه وصلاحه وذكر عقب كل من الثلاثة الاولى مايفسده . فقال فى الاولى نحن قدرنا بينكم الموت وفى الثانية لو نشاء لجعلناه حطاما وفى الثالثة لو نشاء جعلناه أجاجا ولم يقل فى الرابعة مايفسدها بل قال نحن جعلناها تذكرة . يتعظون بها ومتاعا للمقوين أى للمسافرين ينتفعون بها وقال تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما ذكرت اللام

عملا بالأصل لأنها فى جواب لو وحذفت فى جعلناه أجاجا اختصارا لدلالة الأول عليه وقال تعالى فى سورة الحديد له مافى السموات والأرض بحذف ما موافقة لقوله بعد خلق السموات والأرض وله ملك السموات والأرض وقاله فى الحشر والصف والجمعة والتغابن بإثباتها عملا بالأصل وقال تعالى فى سورة المجادلة الذين يظاهرون منكم من نسائهم وقال بعد والذين يظاهرون من نسائهم لأن الأول خطاب للعرب خاصة وكان طلاقهم فى الجاهلية الظهار والثانى فى بيان أحكام الظهار للناس عامة وقال تعالى فى سورة المنافقون (ولكن المنافقين لايفقهون) وقال بعده لايعلمون لأن الأول متصل بقوله ولله خزائن السموات والأرض وفى معرفتها غموض يحتاج الى فطنة وفقه فناسب نفى الفقه عنهم والثانى متصل بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفى معرفتها غموض زائد يحتاج الى علم فناسب نفى العلم عنهم . فالمعنى لايعلمون أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه وقال تعالى فى سورة التحريم (مسلمات مؤمنات) الآية ذكر الواو فى ابكارا وحذفها فى بقية الصفات لأن أبكارا مباين للثيبات فذكر بالواو لامتناع اجتماعهما فى ذات واحدة بخلاف بقية الصفات لاتباين فيها فذكرت بالواو وقال تعالى فى سورة نوح (قال نوح رب) وقال بعد وقال نوح بذكر الواو لأن الأول استئناف والثانى معطوف عليه وقال تعالى فى سورة الانسان (ويطاف عليهم ذكره بالبناء للمفعول وقال بعد ويطوف عليهم ولدان بالبناء للفاعل لأن المقصود فى الأول مايطوف به الطائفون بقرينة قوله بآنية من فضة والمقصود فى الثانى الطائفون فذكر فى كل منها مايناسبه وقال تعالى فى النبأ (جزاء وفاقا) وقال بعد جزاء من ربك عطاء حسابا لأن الأول للكفار) فناسب ذكر وفاقا أى جزاء موافقا

لأعمالهم والثانى للمؤمنين فناسب ذكر حسابا أى كافيا وافيا لأعمالهم من
قوله حسبي أى كفانى وقال تعالى فى سورة الانشقاق وأذنت لربها وحقت
ذكره مرتين لأن الاول متصل بالسماء والثانى بالارض فلا تكرار وقال
تعالى فى سورة الانشقاق بل الذين كفروا يكذبون وقال فى البروج
فى تكذيب رعاية للفواصل وقال تعالى فى سورة الغاشية (وجوه يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة وقال بعد وجوه يومئذ ناعمة فليس بتكرار لأن الاول
فى الكفار والثانى فى المؤمنين وقال تعالى فى سورة الصمد (قل هو الله أحد
الله الصمد) كرر لفظ الله لتكون الجملة الثانية مستقلة بذاتها كالاولى هذا وقد
ختمت هذا الباب بسورة الصمد المباركة التى هى متمحصة للتوحيد رجاء أن
يختم الله لنا ولأحبابنا وللمسلمين بكلمة التوحيد ويجعلها خاتمة أقوالنا وأعمالنا
وقد أردت بذكر هذه الامثلة أن أبين الك شعاعا من نور القرآن لتعلم أنه
تنزيل من حكيم حميد وأن كل مافيه من وضع الكلمات والحروف لو غير عن
وضعه لتغير نظمه وذهب رونقه ولذا قال العلماء يجتنب إطلاق لفظ الزائد
فى القرآن فإن الزائد قد يفهم منه أنه لامعنى له وكتاب الله منزه عن ذلك
ولهذا فر بعضهم الى التعبير بدله بالتأكيد أو الصلة أو المفخم لأن فى ذكره
فصاحة وبلاغة وبدونه يكون الكلام خاليا عن الرونق البليغى وان أفاد أصل
المعنى لأن من تأمل كلام الفصحاء وعرف مواقع استعمالهم وذاق حلاوة
ألفاظهم وجد كثيرا من ذالك والقرآن نزل بلسانهم ومتعارفهم ولم أقصد
بما ذكرته من الامثلة استيفاء لأن الوقت لايتسع لذلك ولقد رأيت من تعرض
لذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافى فى كتاب سماه درة
التنزيل وهو من علماء القرن الرابع الهجرى وكذا شيخ الاسلام زكريا

الانصارى وقد تعرض المفسرون لكثير من هذا فى كتبهم فجزاهم الله أحسن الجزاء . واعلم أن ماذكر من أن الحكمة فى كذا هو كذا انما هو على حسب ماظهر وما وقفنا عليه ولا مانع من أن يتسع الفهم فتظهر حكمة أخرى فمن فتح الله عليه بغير ذلك فليأت به والله يهدينا سواء السبيل .

أمثال القرآن

قال تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وأخرج البيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال . ولقد كان النبى ﷺ كثيرا مايذكر الامثال فى كلامه وسار على نهجه العلماء والبلغاء

ولضرب الامثال فوائد كثيرة منها التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فإن الامثال تصور المعانى بصورة الاشخاص ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالمشاهد ولذا امتن الله سبحانه وتعالى علينا بها فقال وضربنا لكم الامثال . ولقد ذكر بعض الثقات أن سورة فى الانجيل تسمى سورة الامثال

وتنقسم الامثال الى قسمين ظاهر مصرح به وكامن لاذكر للمثل فيه فمن أمثلة الاول قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الآيات الى إن الله على كل شيء قدير . فضرب المنافقين بحسب حالهم مثلين مثلا ناريا ومثلا مائيا

لما فى النار من الاضاءة والماء من الحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل سبحانه الوحى الذى أنزله من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها وأخبر عن حال المنافقين وحظهم من الوحى بمنزلة من استوقد نارا لتضىء له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا فى الاسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به وخالطوا المسلمين فتزوجوا وتوارثوا واقتسموا الفىء ولكن لما لم يكن لاعمالهم مادة فى قلوبهم طفىء ذلك النور عنهم وذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فانتفاعهم انما كان فى هذه الحياة الدنيا لاغير وأما فى الآخرة فلم ينتفعوا بذلك بل هم فى الدرك الاسفل من النار ثم ذكر حالهم بالنسبة الى المثل المائى فشبههم بأصحاب صيب أى مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم اشتدت عليهم زواجر القرآن وخطابه الذى يشبه الصواعق فهم كمن أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق ولضعفه جعل أصبعيه فى أذنيه وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه ومن أمثلته أيضا قوله تعالى يأيها الناس ضرب مثل الآيات فإنه بين سبحانه فيها أن الآلهة التى يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ماهو أكبر منه ولا يقدرون على الانتصار من الذباب اذا سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه فلا هم قادرون على خلق الذباب الذى هو من أضعف الحيوان ولا على الانتصار منه فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله ولذا قال ضعف الطالب والمطلوب

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية فقاس سبحانه من حمله كتابه ليؤمن به ويعمل بما فيه ويدعو اليه ثم خالف ذلك ولم يحمله

إلا على ظهر قلب فقرأه بغير تدبر ولا فهم ولا عمل بما فيه كحمار يحمل على ظهره كتبا وهذا المثل وان كان لليهود فهو منسحب على من حمل القرآن ولم يرعه حق رعايته هذه أمثلة من المصرح به

وأما الكامنة فقال الماوردى سمعت أبا اسحق ابراهيم بن مضارب يقول سألت الحسن بن الفضل فقلت انك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد فى كتاب الله خير الأمور أوساطها ؟ قال نعم فى أربعة مواضع قوله تعالى لافارض ولا بكر عوان بين ذلك وقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية وقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا . قلت فهل تجد فى كتاب الله من جهل شيئا عاداه ؟ قال نعم فى موضعين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه . واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم قلت فهل تجد فى كتاب الله احذر شر من أحسنت اليه ؟ قال نعم وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قلت فهل تجد فى كتاب الله ليس الخبر كالعيان ؟ قال فى قوله تعالى أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قلت فهل تجد فى الحركات البركات ؟ قال فى قوله تعالى ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة قلت فهل تجد كما تدين تدان ؟ قال فى قوله تعالى ومن يعمل سوءا يجز به قلت فهل تجد لايلدغ المؤمن من جحر مرتين قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل قلت فهل تجد من أعان ظالما سلط عليه قال كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير قلت فهل تجد لاتلد الحية إلا حييه ؟ قال قال تعالى ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا قلت فهل تجد للحيطان آذان ؟ قال وفيكم سماعون لهم قلت فهل

تجد فيه الجاهل مرزوق والعالم محروم ؟ قال من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا . قلت فهل تجد فيه الحلال لايأتيك إلا قوتا والحرام لايأتيك الا جزافا ؟ قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم فهذه روضة من رياض كلام رب العالمين الجامع لكل ماتشتهيه النفوس الطاهرة ومن طلب الزيادة وصل الى ماطلب بالبحث والتنقيب فإن القرآن لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها والله أسأل أن يعلمنا شيئا من أسرار كتابه انه سميع مجيب ومن قصده لايخيب والله أعلم

فصل في آيات تتعارض مع أخرى ظاهرا

ان في القرآن الكريم آيات توهم التعارض مع أخرى وكلامه سبحانه منزه عن ذلك قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وانما يقع ذلك لبعض المبتدئين وليس به في الحقيقة ولذا قال الكرماني عند ذكر الآية المذكورة الاختلاف على وجهين اختلاف تناقض وهو مايدعو فيه أحد الشيئين الى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع على القرآن واختلاف تلازم وهو مايوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءات واختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد وقال أبو اسحق الاسفريني اذا تعارضت الآى وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخر ويكون ذلك ناسخا وان لم يعلم وكان الاجماع على العمل بإحدى الآيتين علم باجماعهم ان الناسخ ماأجمعوا على العمل بها ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوصفين وقال صاحب مراقي السعود

والجمع واجب متى ماأمكن ... الا فللأخير نسخ بينا

فمن أمثلة ذلك أن رجلا سأل ابن عباس عن قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين مع قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا فأجاب بأنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم . وسأله عن قوله تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون مع قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فأجاب بأن نفي المسألة فيما قبل النفخة الثانيـــة واثباتها فيما بعدها وسأله عن قوله تعالى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين الى طائعين مع الآية الأخرى والأرض بعد ذلك دحاها فأجاب بأنه سبحانه بدأ خلق الأرض فى يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن فى يومين . ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسى وغيرها فى يومين فتلك أربعة أيام الأرض وسأله عن وكان الله ماشأنه يقول كان الله فأجاب بأن كان وان كانت للماضى لكنها لاتستلزم الانقطاع بل المراد أنه لم يزل كذلك ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى وان خفتم ألا تعدلوا فواحدة مع قوله تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فالأولى تفيد امكان العدل والثانية تنفيه فالجواب أن الأولى فى توفية الحقوق من المبيت والكسوة والنفقة وهو ممكن والثانى فى الميل القلبى وهو ليس فى قدرة الانسان .

وقال تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء مع قوله أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فالجواب أن الأولى فى الأمر الشرعى والثانية فى الأمر التكوينى بمعنى القضاء والتقدير أو المعنى أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها فلا تعارض على كلا الوجهـــين .

وقال تعالى اتقوا الله حق تقاته مع قوله فاتقوا الله ما استطعتم فالجواب

أن الأولى محمولة على التوحيد بدليل ما بعدها ولا تموتن الا وأنتم مسلمون والثانية على الأعمال وقيل ان الثانية ناسخة للأولى وقال تعالى فبصرك اليوم حديد مع قوله خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي فالجواب أن المعنى فبصرك أى علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بصر بكذا أى علم وليس المراد رؤية العين وأمثال ذلك من الآيات كثير وفقنا الله لفهم كتابه والله أعلم .

فصل فى آيات ظاهرها مشكل

ان فى القرآن الكريم تقديما وتأخيرا فى بعض الآيات ظاهرها مشكل ولكن من عرف ذلك اتضح له السبيل وذلك ضرب من البلاغة التى نزل القرآن بها وكان ذلك جاريا على عادة العرب فى كثير من أشعارها ونثرها فمن أمثلة ذلك قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا فإن المعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة

ومن ذلك قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فإن المعنى ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما

ومنه قوله تعالى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فإن المعنى أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا ومنه قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى أى رافعك الى ومتوفيك

ومنه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فإن المعنى اذاعوا به الا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل

ولا كثير .

ومنه قوله تعالى فقالوا أرنا الله جهرة فإن المعنى فقالوا جهرة أرنا الله يعنى أن سؤالهم كان جهرة وليس المعنى أرنا الله جهرة فإنهم إذا رأوا الله فقد رأوه جهرة

ومنه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فإنه أول القصة وهو مؤخر من تقديم فإن المعنى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة

ومنه قوله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه الأصل هواه إلهه لأن من اتخذ الإله هواه غير مذموم فقدم المفعول الثانى للعناية به

وقال تعالى غرابيب سود فإن الأصل سود غرابيب لأن الغربيب الشديد السواد

ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها أى فبشرناها فضحكت

ومنه قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه أى لهم بها وعلى هذا فالهم منفى عنه وغير ذلك كثير فى الكتاب العزيز . ولذا تقدم أنه لايجوز التفسير فيه إلا لمن أحكم عدته وتلقاه من العلماء الأعلام ليكون آمنا من الزلل فإن العلم بالتعلم كما قال ﷺ والله أعلم

﴿ فصل فى مسائل متفرقة ومباحث نافعة إن شاء الله تعالى ﴾

(المسألة الأولى فى قسم القرآن)

ان الله سبحانه وتعالى أقسم فى كتابه بنفسه وبكثير من مخلوقاته لأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرا

وفى القسم أيضا زيادة الحجة عليهم فأقسم سبحانه بنفسه فى سبعة مواضع فورب السماء والأرض انه لحق . قل إى وربى انه لحق . قل بلى وربى لتبعثن فوربك لنحشرنهم والشياطين . فوربك لنسألنهم أجمعين فلا وربك لا يؤمنون فلا أقسم برب المشارق والمغارب والباقى كله بمخلوقاته كقوله تعالى والتين والزيتون . والصافات . والشمس وضحاها وغير ذلك

وقسم الله تعالى بخلقه اما أن يكون على حذف مضاف أى ورب التين وهكذا الباقى أو ان الله يقسم بما شاء من خلقه وأما نحن فلا نقسم الا بالله كما جاءت الأحاديث الدالة على هذا

ثم ان القسم تارة يذكر جوابه وهو الغالب وتارة يحذف اذا كان فى نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه فيكون حذف المقسم أبلغ وأوجز كقوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر فإن فى المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد مايدل على المقسم عليه وهو كونه حقا من عند الله تعالى غير مفترى كما يقول الكافرون ولهذا قال كثير من العلماء ان تقدير الجواب ان القرآن لحق وهذا يطرد فى كل ماشابهه كقوله تعالى ق والقرآن المجيد وقوله لاأقسم بيوم القيامه فإنه يتضمن اثبات المعاد وكقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى الآيات فإنه أقسم على انعامه على رسوله واكرامه له وذالك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وتأمل مطابقة هذا القسم فإنه أقسم بنور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه ودع محمدا ربه فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه ومن محاسنه أيضا قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون على

القول بأن الخطاب فيها لرسول الله ﷺ فإنه أراد سبحانه أن تعرف الناس مقدار النبي ﷺ عنده ولذا قال ابن عباس ماخلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال تعالى لعمرك الآية

﴿ المسألة الثانية فى فواتح السور ﴾

اعلم أن الله سبحانه وتعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لايخرج شيء من السور عنها

الأول : الثناء عليه والثناء قسمان اثبات لصفات المدح ونفى وتنزيه عن صفات النقص فالأول التحميد فى خمس سور وتبارك فى سورتين والثانى التسبيح فى سبع سور

الثانى : حرف التهجى فى تسع وعشرين سورة وهى ظاهرة غنية عن الذكر والمختار أنها من المتشابه الذى لايعلم تأويله إلا الله ولذا قال الشعبى حينما سئل عن فواتح السور ان لكل كتاب سرا وان سر هذا القرآن فواتح السور

الثالث : النداء فى عشر سور خمس بنداء الرسول ﷺ وخمس بنداء الأمة

الرابع : الجمل الخبرية نحو يسألونك عن الانفال ، براءة من الله أتى أمر الله وذلك فى ثلاث وعشرين سورة

الخامس : القسم فى خمس عشرة سورة

السادس : الشرط فى سبع سور اذا وقعت الواقعة اذا جاءك المنافقون وهكذا

السابع : الأمر فى ست سور قل أوحى الى . اقرأ وهكذا ماماثله

الثامن : الاستفهام فى ست هل أتى . عم يتساءلون وهكذا

التاسع : الدعاء فى ثلاث ويل للمطففين ويل لكل همزة لمزة . تبت يدا أبى لهب

العاشر : التعليل فى لإيلاف قريش هكذا جمع أبو شامة ثم نظم ذلك فى بيتين فقال

أثنى على نفسه سبحانه بثبـو ت الحمد والسلب لما استفتح السورا
والأمر والشرط والتعليل والقسم الد عا حروف التهجى استفهم الخبرا

﴿ المسألة الثالثة فى خواتم السور ﴾

اعلم أن ختام السور فى القرآن الكريم كالافتتاح فى أنه بلغ من الحسن أعلاه وله مناسبات بأوائل السور التى هى فيه والسورة التى بعدها وقد ألف جماعة من العلماء فى المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض وبين السور كذلك وبين آخر السورة والتى تليها فعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته . وممن أكثر فيه الامام فخر الدين فقال فى تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط وقد قالوا أيضا أول من أظهر علم المناسبة أبو بكر النيسابورى وكان غزير العلم فى الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسى اذا قرىء عليه لم جعلت هذه الآية الى جنب هذه وما الحكمة فى جعل هذه السورة بجانب الأخرى وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة . ولما كان ختام السورة آخر مايقرع الأسماع ومؤذنا للسامع بانتهاء الكلام حتى لايبقى معه للنفوس تشوف كان فى غاية الحسن ونهاية البلاغة لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد الى غير ذلك وذلك كالآيتين الأخيرتين من سورة البقرة فقد اشتملتا على الدعاء وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران وكالفرائض التى ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من احكام الموت الذى هو آخر امر كل حى ولأنها آخر ما نزل من الأحكام وكالتبجيل والتعظيم التى ختمت

به سورة المائدة وكالوعد والوعيد الذى ختمت به سورة الانعام وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به سورة الأعراف وكالحض على الجهاد وصلة الأرحام الذى ختمت به سورة الأنفال وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذى ختمت به براءة وكتسليته عليه الصلاة والسلام التى ختمت بها يونس ومثلها خاتمة هود وكوصف القرآن ومدحه الذى ختمت به يوسف وكالوعيد والرد على من كذب الرسول الذى ختمت به الرعد ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة ابراهيم هذا بلاغ للناس الآية ومثلها خاتمة الاحقاف وكذا الحجر واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وهو مفسر بالموت فإنها فى غاية البراعة وانظر الى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانظر الى براعة آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة الوفاة وكذا آخر سورة نزلت وهى سورة النصر فيها الإشعار أيضا بالوفاة كما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعلى هذا بقية السور

﴿ المسألة الرابعة وفيها فوائد متفرقة ﴾

الأولى : لم ابتدئت الفاتحة بالحمد المطلق وغيرها بالحمد المقيد بفرد من أفراد صفاته تعالى من بقية السور ؟ لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها

الثانية : إن قيل كيف جاء يسألونك أربع مرات بغير واو . يسألونك عن الأهلة . يسألونك ماذا ينفقون . يسألونك عن الشهر الحرام يسألونك عن الخمر ثم جاء ثلاث مرات بالواو ويسألونك ماذا ينفقون ويسألونك عن

اليتامى ويسألونك عن المحيض فالجواب كما قال الكرماني في العجائب إن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقا وفي الحوادث الأخر وقع في وقت واحد فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك

الثالثة : إن قيل كيف جاء ويسألونك عن الجبال فقل وعادة القرآن مجيء قل في الجواب بلا فاء أجيب بأن التقدير لو سئلت عنها فقل . فإن قيل كيف جاء واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بقل فالجواب حذفت الإشارة الى أن العبد في حال الدعاء في أشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه

﴿ المسألة الخامسة في أول مانزل من القرآن وآخره ﴾

اختلف في أول مانزل من القرآن على أقوال :

أحدها وهو أصحها (اقرأ باسم ربك) يدل على ذلك مارواه الشيخان وغيرهما في حديث بدء الخلق وفيه أن الحق جاءه وهو في غار حراء فضمه اليه مرارا وفي الثالثة قال له اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق الى علم الانسان مالم يعلم

ثانيها يأيها المدثر لما رواه الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل ؟ قال يأيها المدثر قلت أو اقرأ باسم ربك قال أحدثكم ماحدثنا به رسول الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إنى جاورت بحراء فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى ثم نظرت الى السماء فإذا هو (يعنى جبريل) فأخذتنى رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثرونى فأنزل الله (يأيها المدثر قم فأنذر) الى آخر الآيات أجاب القائلون بالأول عن هذا الحديث بأجوبة

منها أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة فبين أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة اقرأ فإن أول ما نزل منها صدرها . يدل على ذلك حديث فترة الوحي الذي رواه الشيخان وفيه يقول فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . فإنه يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها اقرأ باسم ربك ومنها أن جابرا استخرج ذلك باجتهاده فيقدم عليه ما روته عائشة وهناك أجوبة أخرى هذان أحسنها

ثالثها : سورة الفاتحة واستدلوا لذلك بحديث أخرجه البيهقي في الدلائل وغيره وفيه ذهابه الى ورقة وأنه عليه الصلاة والسلام قال في قصصه (اذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يامحمد يامحمد فأنطلق هاربا في الأفق) فقال لاتفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع مايقول ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يامحمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين الحديث وهذا الحديث مرسل ورجاله ثقات وقال البيهقي إن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد مانزلت عليه اقرأ والمدثر

وأما آخر القرآن نزولا فقد اختلف فيه أيضا فقيل يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الى آخر السورة . وآخر سورة نزلت براءة كما رواه الشيخان عن البراء بن عازب وقيل آية الربا لما رواه البخاري عن ابن عباس وقيل (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) الآية لما رواه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس وقيل غير ذلك والجواب عن هذه الأقوال كما قال القاضي أبو بكر في الانتصار ، هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع الى النبي ﷺ وكل قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن وقال البيهقي يجمع بين هذه الاختلافات إن صحت بأن كل واحد أجاب بما عنده . فإن قيل إذا

كان من الخلاف فى آخر مانزل آية الربا والدين والكلالة فكيف يكون مع قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فإن ظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها فجوابه كما قال ابن جرير الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإقرارهم بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون لايخالطهم المشركون ثم أيده بما أخرجه من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال كان المشركون والمسلمون يحجون جميعا فلما نزلت براءة نفى المشركون عن البيت وحج المسلمون لايشاركهم فى البيت الحرام أحد من المشركين فكان ذلك من تمام النعمة وأتممت عليكم نعمتى وهناك أقوال أخرى اقتصرنا على هذه لأنها أشهر الأقوال والله اعلم

﴿ المسألة السادسة فى معرفة السبع الطوال والمئين والمثانى والمفصل ﴾

روى الامام احمد وغيره من حديث واثلة بن الأسقع ان رسول الله ﷺ قال أعطيت مكان التوراة السبع الطوال واعطيت مكان الزبور المئين واعطيت مكان الانجيل المثانى وفضلت بالمفصل

أول السبع الطوال سورة البقرة وآخرها براءة كذا قال جماعة لكن اخرج الحاكم والنسائى وغيرهما عن ابن عباس قال السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف قال الراوى وذكر السابعة فنسيتها وفى رواية صحيحة إنها يونس

والمئون ماوليها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها والمثانى ماولى المئين سميت بذلك لأنها ثنتها أى كانت بعدها وقال الفراء هى السورة التى آيها أقل من مائة آية لأنها تثنى أكثر ما يثنى الطوال

والمثون وقيل غير ذلك والمفصل ماولى المثانى من قصار السور سمى بذلك لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة وقيل غير ذلك وآخره سورة الناس بلا نزاع واختلف فى أوله على أقوال كثيرة أصحها الحجرات كما قال النووى

فائدة : المفصل طوال وأوساط وقصار فطواله الى عم وأوساطه منها الى الضحى وقصاره منها الى آخر القرآن هذا أشهر ماقيل فيه

﴿ المسألة السابعة ﴾

(فى معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج)

قال الامام أبو الخير بن الجزرى فى أول كتابه النشر ماملخصه : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لايجوز ردها ولا يحل انكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل القرآن بها ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم . هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف وهو مذهب السلف الذى لايعرف عن أحد منهم خلافه . ثم زاد ذلك بيانا فقال . قولنا فى الضابط ولو بوجه نريد وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لايضر مثله اذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح اذ هو الأصل الأعظم وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو ولم يعتبر انكارهم كإسكان بارئكم وخفض الأرحام وغير ذلك ثم قال ونعنى بموافقة

أحد المصاحف ماكان ثابتا فى بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر قالوا اتخذ الله ولدا فى البقرة بغير واو فإنه ثابت فى المصحف الشامى وكقراءة ابن كثير تجرى من تحتها الأنهار فى آخر براءة بزيادة من فإنه ثابت فى المصحف المكى وغير ذلك فإن لم يكن فى شىء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفتها الرسم المجمع عليه وقولنا ولو احتمالا نعنى به ماوافقه ولو تقديرا كملك يوم الدين فإنه كتب فى الجميع بلا ألف فقراءة الحذف توافقه تحقيقا وقراءة الألف توافقه تقديرا لحذفها فى الخط اختصارا كما كتب ملك الملك ثم قال وقولنا وصح أسنادها نعنى به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله وهكذا حتى ينتهى وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم . ولذا قال أبو شامة شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن السبع كلها متواتر أى كل فرد فرد فيما روى عنهم قالوا والقطع بأنه من عند الله واجب ونحن بهذا نقول ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق واتفقت عليه الفرق من غير نكير له فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر فى بعضها وقد أشار إلى هذا فى طيبته بقوله

فكل ماوافق وجه النحو	وكان الرسم احتمالا يحوى
وصح اسنادا هو القرآن	فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن اثبت	شذوذه لو انه فى السبعة

وأما الآحاد فهو ماصح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور كقراءة متكئين على رفارف خضر وعباقر حسان وقراءة فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرات أعين وكقراءة لقد جاءكم رسول

من أنفسكم بفتح الفاء وكقراءة فروح وريحان أى بضم الراء فى روح روى ذلك الحاكم فى مستدركه بسند صحيح

وأما الشاذ فهو مالم يصح سنده كقراءة ملك يوم الدين بصيغة الماضى ونصب يوم وكقراءة إياك يعبد ببنائه للمفعول

وأما الموضوع فكقراءات الخزاعى وهناك قراءة تشبه المدرج من الحديث وهو مازيد فى القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت من أم وكقراءة ابن عباس ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج وكقراءة ابن الزبير ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم وكقراءة الحسن وان منكم إلا واردها الورود الدخول وهذا النوع يقصدون به التفسير لا القراءة ولذا قال ابن الجزرى وربما كانوا يدخلون التفسير فى القراءات إيضاحا وبيانا لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى ﷺ قرآنا فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه وأما من يقول إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد افترى عليهم إثما عظيما

فائدة : اختلف فى العمل بالقراءة الشاذة فنقل إمام الحرمين فى البرهان عن ظاهر مذهب الشافعى أنه لا يجوز وتبعه أبو نصر القشيرى وجزم به ابن الحاجب لانه نقله على أنه قرآن ولم يثبت

وذكر القاضيان ابو الطيب والحسين والرويانى والرافعى العمل بها تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد وصححه ابن السبكى فى جمع الجوامع وشرح المختصر وقد احتج اصحاب الشافعى على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود وعليه ابو حنيفة ايضا واحتج على وجوب التتابع فى صوم كفارة اليمين بقراءة

متشابهات ولم يحتج بها أصحاب الشافعي لثبوت نسخها والله اعلم

﴿ المسألة الثامنة في البسملة ﴾

اختلف العلماء في البسملة فمذهب الشافعي انها آية من أول الفاتحة بلا خلاف وكذلك هي آية كاملة من اول كل سورة غير براءة على الصحيح وبهذا قال خلائق لا يحصون من السلف منهم ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وطاوس وعطاء ومكحول وابن المنذر وغيرهم ووافق الشافعي في كونها من الفاتحة احمد واسحق وابو عبيدة وجماعة من اهل الكوفة ومكة واكثر اهل العراق بل وكثير من الصحابة

وقال مالك والأوزاعي وابو حنيفة وداود ليست البسملة من اوائل السور كلها قرآنا لا في الفاتحة ولا في غيرها وقال احمد هي آية من أول الفاتحة وليست بقرآن في أوائل السور وعنه رواية أنها ليست من الفاتحة أيضا وقال أبو بكر الرازي من الحنفية وغيره منهم هي آية بين كل سورتين غير الأنفال وبراءة وليست من السور بل هي قرآن كسورة قصيرة وهذا الخلاف في غير البسملة التي في سورة النمل وأما هي فقرآن بالاجماع فمن جحد منها حرفا كفر .

أما دليل من قال أنها ليست من الفاتحة ولا من غيرها فما يأتي . إن القرآن لا يثبت بالظن بل بالتواتر وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين إلى آخر الحديث ولم يذكر البسملة رواه مسلم

وبما رواه مسلم أيضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبأحاديث آخر

لم تذكر فيها البسملة قالوا ولأنها لو كانت قرآنا لكفر جاحدها والجميع على أنه لا يكفر

وأما من قال بأنها آية فاستدل بما جاء فى الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك منها ماجاء أنه ﷺ عد الفاتحة سبع آيات وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها رواه البخارى فى تاريخه

وبما جاء عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها رواه الدارقطنى وقال رجاله كلهم ثقات

وبما جاء عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ عد البسملة آية من الفاتحة رواه ابن خزيمة فى صحيحه

ومنها لغير الفاتحة مارواه مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ماأضحكك يارسول الله ؟ قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر السورة الحديث ومنها غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى رواها كثير من المحدثين منها ماهو على شرط الشيخين ومنها ماهو دون ذلك وقال أبو نصر المؤدب اتفق قراء الكوفة وفقهاء المدينة على أنها آية منها

كل ماتقدم يفيد بمجموعه أنها فى معنى المتواتر وأكبر من هذا إثباتها فى مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف مع منعهم بأن يكتب فى المصحف ماليس منه كأسماء السور وآمين والأعشار . فلو لم تكن قرآنا لما استجازوا اثباتها بخطه من غير تمييز لأن ذلك يحمل على اعتقادها

قرآنا فيكونون مغررين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ماليس بقرآن قرآنا وهذا ما لايجوز اعتقاده فى الصحابه وكيف يتوهم أنهم أثبتوا مائةوثلاث عشرة آية ليست من القرآن وهذا اقوى ادلة الشافعى كما قاله النووى فإن قيل لعلها أثبتت للفصل بين السور فجوابه من اوجه احدها ان هذا فيه تغرير لايجوز ارتكابه لمجرد الفصل والثانى أنه لو كان للفصل لكتبت بين الانفال وبراءة ولما حسن كتابتها فى أول الفاتحة والثالث أن الفصل كان ممكنا بتراجم السور كما حصل بين الأنفال وبراءة فإن قيل لعلها كتبت للتبرك بذكر الله فجوابه من هذه الأوجه الثلاثة ومن وجه رابع أنه لوكتبت للتبرك لا كتفى بها فى أول المصحف أو لكتبت فى أول براءة ولما كتبت فى أوائل السور التى فى أولها ذكر الله كالفاتحه والأنعام وغيرهما

وأما الجواب عن حديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى فمن أوجه أحدها أن البسملة إنما لم تذكر لاندراجها فى الآيتين بعدها وثانيها لعله قاله قبل نزول البسملة فإن النبي ﷺ كان ينزل عليه الآية فيقول ضعوها فى سورة كذا ومنها غير ذلك

وأما قول المنافين لها لو كانت قرآنا لكفر جاحدها فجوابه أن يقلب عليهم فيقال لو لم تكن قرآنا لكفر مثبتها

وأما الجواب عن الحديث الذى رواه مسلم عن عائشة أن النبى ﷺ كان يفتتح الصلاه بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين فإن المراد قراءة السورة الملقبة بالحمد لله رب العالمين . فإن قيل هذا خلاف الظاهر فالجواب تعيين ذلك جمعا بين الأدلة

وقولهم لو كانت قرآنا لكفر جاحدها والجميع على أنه لايكفر غير مسلم

فقد قال ابن الرفعة حكى العمرانى أن صاحب الفروع قال بتكفير جاحدها وتفسيق تاركها والله أعلم

﴿ المسألة التاسعة فى خواص القرآن ﴾

قال الله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين والصحيح أن من هنا لبيان الجنس لا للتبعيض وقال تعالى يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور . فالقرآن هو الشفاء من كل الأمراض القلبية والبدنية الدنيوية والأخروية وانما يكون شفاء لمن وضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم فإنه حينئذ لم يقاومه الداء أبدا وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذى لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ومن لم يكفه فلا كفاه الله وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بالشفاءين العسل والقرآن رواه ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود وأخرج أيضا من حديث على خير الدواء القرآن ولقد جاء عن النبى ﷺ الاستشفاء بالقرآن فى مواطن كثيرة

فمنها ماجاء عن أبى سعيد الخدرى أنهم لما كانوا فى سفر ونزلوا قريبا من حى من العرب ولدغ سيد ذلك الحى فرقاه بعضهم بالفاتحة وهو يتفل على المرض فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به قلبه وهو حديث طويل فى الصحيحين ومنها ماجاء عن أبى بن كعب قال كنت عند النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال يانبى الله أن لى أخا وبه وجع قال وما وجعه قال به لمم قال فأتنى به فوضعه بين يديه فعوذه النبى ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين وإلهكم إله واحد وآية الكرسى وثلاث

آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران شهد الله أنه لا إله الا هو وآية من الأعراف ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض وآخر سورة المؤمنين فتعالى الله الملك الحق وآية من سورة الجن وأنه تعالى جد ربنا وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله احد والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشك قط رواه عبد الله بن الامام احمد فى زوائد المسند بسند حسن ومنها ماأخرجه البخارى عن أبى هريرة فى قصة الصدقة ان الجنى قال له اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبى ﷺ اما إنه صدقك وهو كذوب ومنها ماأخرجه البخارى فى الدعوات عن ابن عباس اذا استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية فى أذنيها أفغير دين الله يبغون وله أسلم الآية ومنها مارواه ابن السنى عن فاطمة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ لما دنا ولادتها أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسى وان ربكم الله الآية ويعوذاها بالمعوذتين ومنها مارواه الترمذى والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص دعوة ذى النون اذ دعا بها وهو فى بطن الحوت لاإله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط الا استجاب الله له وأخرج ابن السنى والبيهقى وأبو عبيدة عن ابن مسعود أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق فقال رسول الله ﷺ ماقرأت فى أذنيه قال أفحسبتم انما خلقناكم عبثا الى آخر السورة فقال لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال ومنها غير ذلك وهذا قليل من كثير ولذا قال بعض العلماء الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحانى اذا كان على لسان الأبرار من الخلق

حصل الشفاء بإذن الله تعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجثمانى وقال الربيع سألت الشافعى عن الرقية فقال لا بأس بها أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله تعالى .

فائدة : قال النووى فى شرح المهذب لو كتب القرآن فى اناء ثم غسله وسقاه المريض فقال الحسن البصرى ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعى لا بأس به وكرهه النخعى ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به . فقد قال القاضى حسين والبغوى وغيرهما لو كتب قرآنا على حلو أو طعام فلا بأس بأكله اهـ والله أعلم .

﴿ فصل فى فروع فقهيه تتعلق بالمصحف ﴾

يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وايضاحها ويكره كتابته فى الشىء الصغير فقد جاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بقلم دقيق فكره ذلك وضربه وقال عظموا كتاب الله تعالى وكان اذا رأى مصحفا عظيما سر به

فرع : اختلف فى بيع المصحف وشرائه وحاصل مذاهب السلف ثلاثة الأول الكراهة فقد أخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف عن عبد الله ابن شقيق قال كان اصحاب رسول الله ﷺ يشددون فى بيع المصاحف وقال النخعى المصحف لا يباع ولا يورث . والثانى الجواز فقد جاء أن سعيد بن جبير سئل عن بيع المصاحف فقال لا بأس إنما يأخذون أجور أيديهم وسئل ابن الحنفية ايضا فقال انما نبيع الورق . والثالث كراهة البيع دون الشراء وممن قال به مجاهد وهو اصح الأوجه فى مذهب الشافعى كما صححه فى شرح المهذب ونقله فى زوائد الروضة عن نص الشافعى قال الرافعى وقد قيل ان الثمن

متوجه الى الدفن لأن كلام الله لايباع وقيل انه بدل من اجرة النسخ

فرع : قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى القواعد القيام للمصحف بدعة لم تعهد فى الصدر الأول والصواب ماقاله النووى من استحباب ذلك لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به

فرع : يستحب تقبيل المصحف لأن عكرمة بن ابى جهل كان يقبله وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود ذكره بعضهم وعن احمد ثلاث روايات الجواز والاستحباب والتوقف

فرع : يستحب تطييب المصحف وجعله على كرسى ويحرم توسده لأن فيه إذلالا وامتهانا قال الزركشى وكذا مد الرجل اليه

فرع : يجوز تحليته بالفضة اكراما له على الصحيح أخرج البيهق عن الوليد بن مسلم قال سألت مالكا عن تفضيض المصاحف فأخرج الينا مصحفا فقال حدثنى أبى عن جدى أنهم جمعوا القرآن فى عهد عثمان وأنهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه وأما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل

فرع : اذا بلى المصحف لايجوز وضع ورقه فى شق أو غيره لأنه قد يسقط ويوطأ ولا يجوز تمزيقه بعضها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم وفى ذلك ازدراء بالمكتوب كذا قال الحليمى

قال وله غسلها بالماء وان أحرقها بالنار فلا بأس أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراءات منسوخة ولم ينكر عليه وذكر غيره أن الاحراق أولى من الغسل لأن الغسالة قد تقع على الأرض وجزم القاضى حسين فى تعليقه بامتناع الاحراق لأنه خلاف الاحترام والنووى بالكراهة وفى بعض كتب الحنفية يحفر له فى الأرض ويدفن وفيه وقفة لتعرضه

للوطء بالأقدام والذى يترجح لنا من هذه الأقوال الاحراق بالنار لأنه لايقصد بذلك الا التكريم وأما ماعلل به القاضى حسين فى تعليقه فغير مسلم لأنه لايتصور من مسلم يفعل ذلك الا ويريد الاحترام وكفى بفعل عثمان وغيره الصحابة حجة على أرجحية هذا

فرع : يكره أن يقال مصيحف بالتصغير وكذا مسيجد لأن ما كان لله فهو عظيم .

فائدة : روى ابن ماجه وغيره عن أنس مرفوعا سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو فى قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفا .

وقد جمع السيوطى مايبقى نفعه بعد الموت من الاحاديث ونظمها فقال

اذا مات ابن آدم ليس يجرى ... عليه من خلال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجرى
وراثة مصحف ورباط ثغر ... وحفر البئر أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى ... اليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم ... فخذها من أحاديث بحصر

(فصل فى آداب قراءة القرآن)

يجب على القارىء اخلاص النية فى القراءة لأنها أساس قبول الاعمال وأن يستحضر فى نفسه أنه يناجى الله تعالى فإنه يعلم السر وأخفى وينبغى إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك وغيره فإنه مستحب فى كل حال

ويتأكد عند القراءة . فإن كان فمه نجسا كره أن يقرأ قبل غسله وهل يحرم فيه قولان ويستحب أن يقرأ وهو على طهارة فإن قرأ محدثا جاز بإجماع المسلمين قال امام الحرمين ولا يقال ارتكب مكروها بل هو تارك للأفضل فإن لم يجد الماء تيمم وأما الجنب والحائض فيحرم عليهما قراءة القرآن سواء كان آية أو أقل منها ويجوز لهما اجراء القرآن على قلبهما من غير تلفظ به والنظر فى المصحف من غير مس له وأما غير القرآن من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة على النبى ﷺ وغير ذلك فإنه يجوز لهما كما يجوز أن يقولا عند المصيبة إنا لله وانا اليه راجعون إذا لم يقصدا القرآن وكذا عند الركوب سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وعند الدعاء ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فإن قصد القرآن عصى وان قصد الذكر أو لم يقصد شيئا لم يأثم ويستحب أن تكون القراءة فى مكان نظيف ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة فى المسجد لكونه جامعا للنظافة وشرف البقعة ومحصلا لفضيلة الاعتكاف قال ابو ميسرة لا يذكر الله إلا فى مكان طيب

وأما القراءة فى الطريق فالمختار أنها جائزة غير مكروهة إذا لم يلته صاحبها فإن التهى كرهت كما كره النبى ﷺ للناعس القراءة مخافة من الغلط وروى أبو داود عن أبى الدرداء أنه كان يقرأ فى الطريق وكرهها مالك فإنه قال حينما سئل عن ذلك ما أعلم القراءة تكون فى الطريق

ويستحب للقارىء أن يستقبل القبلة فقد جاء فى الحديث خير المجالس ما استقبل به القبلة ويجلس بسكينة ووقار مطرقا رأسه . ولو قرأ قائما أو مضطجعا أو فى فراشه أو على غير ذلك من الأحوال جاز وأدلة هذا من

الكتاب والسنة كثيرة . فإذا أراد الشروع فى القراءة استعاذ فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا قال الجمهور من العلماء لقوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم والمعنى اذا أردت قراءته وهو مستحب وليس بواجب لكل قارىء سواء كان فى الصلاة أو فى غيرها ويتعوذ فى كل ركعة على الصحيح وينبغى أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى أول كل سورة سوى براءة فإن أكثر العلماء قالوا انها آية كما تقدم ذلك مستوفى فى بحث البسملة فإذا شرع فى القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة فهو المقصود المطلوب قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته والأحاديث فيه كثيرة وأقاويل السلف فيه مشهورة وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة ومات جماعات منهم حال القراءة وقرأ بعضهم فى صلاة الفجر حتى وصل الى قوله تعالى فإذا نقر فى الناقور الآية خر مغشيا عليه وقال الشيخ ابراهيم الخواص دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وأنشدوا فى هذا

دواء قلبك خمس عند قسوته … فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره … كذا خشوعك باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه … وان تجالس أهل الخير والخبر

وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قام بآية يرددها حتى أصبح والآية «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» رواه النسائى وابن ماجه ودرج على هذا كثير من الصحابة والسلف الصالح

وهذا التدبر والترديد يحملان على البكاء فإنه مطلوب فى حال القراءة قال ﷺ اقرؤا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وقد بكى عمر فى الصلاة حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف وكذلك بكى ابن عباس وكثير من السلف قدم ناس من اليمن على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فجعلوا يقرءون القرآن ويبكون فقال أبو بكر هكذا كنا . قال الامام الغزالى البكاء مستحب مع القراءة وعندها وطريقه فى تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى ذلك فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب وينبغى أن يرتل قراءته قال الله تعالى لنبيه ورتل القرآن ترتيلا . وثبت عن أم سلمه رضى الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح

وأما الاسراع بالقراءة ويسمى بالهذرمة فمنهى عنه فقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رجلا قال له انى أقرأ المفصل فى ركعة واحدة فقال له عبد الله بن مسعود هذا كهذ الشعر إن أقواما يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع رواه البخارى ومسلم وهذا لفظ مسلم فى احدى رواياته ويسن الترتيل حتى للعجمى الذى لايفهم معناه لأن ذلك أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا فى القلب . ويستحب اذا مر بآية رحمة أن يسأل الله من فضله وبآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب وهكذا فى كل حال بما يناسبها فقد ثبت هذا من فعله ﷺ كما رواه مسلم ويستحب هذا لكل قارىء سواء كان فى الصلاة أو خارجها

ويستحب ذلك فى صلاة الامام والمنفرد والمأموم لأنه دعاء فاستووا فيه كالتأمين عقب الفاتحة وهذا مذهب الشافعى وجماهير العلماء وقال أبو حنيفة لايستحب ذلك بل يكره فى الصلاة والصواب قول الجماهير لما قدمناه

ومما يتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور ربما يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين فمن ذلك اجتناب الضحك والحديث فى خلال القراءة إلا كلاما يضطر اليه والعبث باليد وغيرها فإنه يناجى ربه سبحانه وتعالى ومن ذلك النظر الى مايلهى وأقبح من هذا كله النظر الى مالا يجوز النظر اليه كالأمرد الحسن والمرأة لأن النظر الى الأمرد الحسن من غير حاجة حرام مطلقا نص عليه الشافعى وعلى الحاضرين مجلس القراءة اذا رأوا شيئا من هذه المنكرات أن ينهوا عنه على حسب الامكان باليد لمن قدر وباللسان لمن عجز عن اليد وإلا فلينكر بقلبه ونجوز قراءة القرآن بالقراءات السبع المجمع عليها فى الصلاة وخارجها والاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ثم البقرة وهكذا سواء قرأ فى الصلاة أو فى غيرها ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغى أن يحافظ عليها الا فيما ورد الشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ فى الأولى سورة السجدة وفى الثانية هل أتى على الانسان وصلاة العيد فى الأولى ق وفى الثانية اقتربت الساعة وهكذا ما ورد وبين فى محله . وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف فقد صح أن ابن مسعود قيل له إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا فقال ان ذلك منكوس القلب وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف الى أوله فحسن ليس من هذا الباب فإن ذلك قراءة متفاصلة فى أيام متعددة مع مافيه من تسهيل الحفظ عليهم

وقراءة القرآن فى المصحف أفضل منها عن ظهر قلب لأن النظر فى المصحف عبادة فتجتمع القراءة والنظر فإن كثيرا من الصحابة كانوا يقرءون من المصحف قال الإمام النووى ولم أر فيه خلافا ولو قيل انه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة فى المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره فى حالتى القراءة فى المصحف وعن ظهر قلب ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ فى المصحف لكان هذا قولا حسنا والظاهر ان كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل فهذه فوائد نفيسة اقتطفتهم من التبيان للامام النووى رضى الله تعالى عنه وارضاه

﴿ فصل فى مسائل غريبة تدعو الحاجة اليها ﴾

منها انه اذا كان يقرأ فعرض له ريح فينبغى ان يمسك عن القراءة حتى يتكامل خروجها ثم يعود الى القراءة . ومنها انه اذا تثاءب امسك عن القراءة حتى ينقضى التثاؤب ثم يقرأ . ومنها انه اذا قرأ قول الله تعالى وقالت اليهود عزير بن الله الآية . وقالت اليهود يد الله مغلولة . وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ونحو ذلك من الآيات ينبغى أن يخفض بها صوته هكذا كان ابراهيم النخعى يفعل ومنها اذا كان يقرأ ماشيا فمر على قوم يستحب أن يقطع القراءة ويسلم عليهم ثم يرجع الى القراءة ولو أعاد التعوذ كان حسنا . ولو كان يقرأ جالسا فمر عليه غيره فقد قال الإمام أبو الحسن الواحدى الأولى ترك السلام على القارىء لاشتغاله بالتلاوة فإن سلم عليه انسان كفاه الرد بالإشارة قال فإن أراد الرد باللفظ رده ثم استأنف الاستعاذة وعاود التلاوة وهذا الذى قاله ضعيف والظاهر وجوب الرد باللفظ وأما اذا عطس فى حال القراءة فإنه يستحب أن يقول الحمد لله وكذا لو كان فى الصلاة . ولو عطس غيره

وهو يقرأ فى غير الصلاة وقال الحمد لله يستحب للقارىء أن يشمته فيقول يرحمك الله ولو سمع المؤذن قطع القراءة وأجابه بمتابعته فى ألفاظ الأذان والإقامة ثم يعود الى قراءته وأما اذا طلبت منه حاجة فى حال القراءة وأمكنه جواب السائل بالاشارة المفهمة وعلم أنه لاينكسر قلبه ولا يحصل له شىء من الأذى للأنس الذى بينهما ونحوه فالأولى أن يجيبه بالاشارة ولا يقطع القراءة فإن قطعها جاز

وتكره القراءة فى أحوال مخصوصة جاء الشرع بالنهى عنها منها حالة الركوع والسجود والتشهد وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام ومنها القراءة بما زاد على الفاتحة للمأموم فى الصلاة الجهرية اذا سمع قراءة الإمام ومنها حالة القعود على الخلاء ومنها حالة النعاس وكذا اذا استعجم عليه القرآن وكذا حالة الخطبة لمن يسمعه ولا تكره لمن لم يسمعها بل تستحب هذا هو المختار الصحيح ولا تكره فى الطواف كما هو مذهب الشافعى وحكى عن مالك كراهتها فيه والله أعلم

(فصل فى آداب الناس كلهم مع القرآن)

روى مسلم عن تميم الدارى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال العلماء النصيحة لكتاب الله تعالى هى الايمان بأنه كلام الله وتنزيله لايقدر الخلق على الاتيان بمثله وتعظيمه وتلاوته حق التلاوة وتحسينها والخشوع عندها والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتناء بمواعظه والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه

ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء اليه وغير ذلك . وقد أجمع المؤمنون على وجوب تعظيم القرآن وأن من جحد منه حرفا مما أجمع عليه أو زاد حرفا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر ويحرم تفسيره بغير علم كما تقدم مستوفى فى محله

ويبغى لمن أراد السؤال عن تقديم آية على آية فى المصحف أو مناسبة هذه الآية أو نحو ذلك أن يقول ما الحكمة فى كذا ، ويكره ان يقول نسيت آية كذا بل يقول انسيتها او اسقطتها فقد جاء فى الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال بئسما لأحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى وفى الصحيحين ايضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى ﷺ سمع رجلا يقرأ فقال رحمه الله فقد ذكرنى آية كنت أسقطتها وفى رواية كنت أنسيتها وأما ماورد من النهى عن أسقطتها فخلاف ماثبت فى الحديث الصحيح فالاعتماد عليه وهو جواز أسقطتها وعدم الكراهة

ويجوز أن يقول سورة البقرة سورة آل عمران وهكذا ولا كراهة فى ذلك وكره بعض المتقدمين هذا فقال السورة التى يذكر فيها البقرة وهكذا والصواب الأول ودليله ماثبت من قول النبى ﷺ سورة كذا . وجاء هذا عن الصحابة والسلف أيضا . ولا يكره أن يقال هذه قراءة أبى عمرو أو قراءة نافع أو حمزة أو غيرهم هذا هو المختار

ولا يمنع الكافر من سماع القرآن لقول الله تعالى : إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ويمنع من مس المصحف وهل يجوز تعليمه القرآن قال أصحاب الشافعى إن كان لايرجى اسلامه لم يجز تعليمه وان رجى اسلامه . فوجهان أصحهما يجوز والثانى لايجوز كما لايجوز بيع المصحف له وان رجى اسلامه وأما اذا رأيناه يتعلم فهل يمنع فيه وجهان

ويكره نقش الحيطان والثياب بالقرآن وبأسماء الله تعالى وأما كتابة الحروز من القرآن فقال مالك لابأس اذا كان فى قصبة أو جلد وخرز عليه وقال بعض الشافعية اذا كتب معه غيره فليس بحرام ولكن الأولى تركه ويصان بما قاله الامام مالك . وأما النفث مع القرآن للرقية فالمختار أنه غير مكروه بل هو سنة فقد جاء أنه ﷺ اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد والمعوذتين ثم مسح بهما مااستطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات كما رواه البخارى ومسلم . قال أهل اللغة النفث نفخ لطيف بلا ريق

ويجب صيانة المصحف واحترامه فلو ألقاه فى القاذورة والعياذ بالله تعالى بل وعلى الأرض قصدا بحالة مزرية كفر ويحرم توسده بل توسد آحاد كتب العلم ويجب وضعه فى موضع مناسب لتعظيمه على شيء نظيف وكلما بالغ فى ذلك كان آية ايمانه فقد صح أن عكرمة بن أبي جهل رضى الله تعالى عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول كتاب ربى كتاب ربى ويحرم أن يسافر بالمصحف الى أرض العدو إذا خاف وقوعه فى ايديهم لما جاء فى الصحيحين ان رسول الله ﷺ نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو ويحرم بيع المصحف للذمى فإن باعه ففى صحة البيع قولان للشافعى اصحهما لايصح ويؤمر فى الحال بإزالته عنه : ويمنع الصبى الذى لايميز والمجنون من مس المصحف خوفا من انتهاك حرمته وهذا المنع واجب على الولى وغيره

(مس المصحف وحمله)

يحرم على المحدث مس المصحف وحمله سواء حمله بعلاقة او بغيرها وسواء مس نفس الكتابة او الحواشى او الجلد : ولو كتب القرآن فى لوح

فحكمه حكم المصحف سواء قل المكتوب أو كثر : وحاصل اقوال العلماء في ذلك ودليل كل ماذكره النووى فى المجموع قال : فرع فى مذاهب العلماء فى مس المصحف وحمله مذهبنا تحريمهما وبه قال ابو حنيفة ومالك واحمد وجهور العلماء وعن الحكم وحماد (هو الحكم بن عتبة وحماد بن ابى سليمان شيخ ابى حنيفة) وداود يجوز مسه وحمله وروى عن الحكم وحماد جواز مسه بظهر الكف دون بطنه واحتجوا بأن النبى ﷺ كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث يمسه وأصحابه ولأن الصبيان يحملون الألواح محدثين بلا انكار ولأنه اذا لم تحرم القراءة فالمس أولى وقاسوا حمله على حمله فى متاع واحتج اصحابنا بقول الله تعالى انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين فوصفه بالتنزيل و هذا ظاهر فى المصحف الذى عندنا فإن قالوا المراد اللوح المحفوظ لايمسه إلا الملائكة المطهرون ولهذا قال يمسه بضم السين على الخبر ولو كان المصحف لقال يمسه بفتح السين على النهى فالجواب ان قوله تعالى تنزيل ظاهر فى ارادة المصحف فلا يحمل على غيره إلا بدليل صحيح صريح وأما رفع السين فهو نهى بلفظ الخبر كقوله « لاتضار والدة بولدها » على قــــراءة من رفع وقوله ﷺ لايبيع أحدكم على بيع أخيه بإثبات الياء ونظائره كثيرة مشهورة وهو معروف فى العربية فإن قالوا لو أريد ماقلتم لقال لايمسه إلا المتطهرون فالجواب أنه يقال فى المتوضىء مطهر ومتطهر واستدل أصحابنا بالحديث المذكور وبأنه قول على وسعد بن أبى وقاص وابن عمر رضى الله عنهم ولم يعرف لهم مخالف فى الصحابة والجواب عن قصة هرقل أن ذلك الكتاب كان فيه آية ولا يسمى مصحفا وأبيح حمل الصبيان الألواح للضرورة وأبيحت

القراءة للحاجة وعسر الوضوء لها كل وقت وحمله فى المتاع لأنه غير مقصود وبالله التوفيق اهـ . أما الحديث الذى أشار اليه النووى فيما تقدم آنفا فهو قوله ﷺ لايمس القرآن الا طاهر رواه ابن حبان فى صحيحه وقال الحاكم اسناده على شرط الصحيح ورده الظاهر يه لأنه من طريق عمرو بن حزم واختلف الناس فى وجوب العمل بأحاديثه ولكن العلماء على وجوب العمل بها اذا روتها الثقات

ويحرم مس الصندوق والخريطة التى فيهما المصحف لأنهما منسوبان اليه والعلاقة كالخريطة إن قصد بذلك حمل المصحف وإن لم يقصده بل قصد حمل الصندوق أو الخريطة أو قصد مسهما فلا صححه النووى . ولو لف كمه على يده وقلب الأوراق بها حرم قطع به الجمهور لأن الكم متصل به وله حكم اجزائه كما فى السجود على ذلك واذا مس المحدث أو الجنب أو الحائض أو حمل كتابا من كتب الفقه أو غيره من العلوم وفيه آيات من القرآن أو ثوبا مطرزا بالقرآن أو دراهم أو دنانير منقوشة به أو حمل متاعا فى جملته مصحف أو لمس الجدار أو الحلوى أو الخبز المنقوش به فالمذهب الصحيح جواز هذا كله لأنه ليس بمصحف وفيه وجه أنه حرام . وأما كتب تفسير القرآن فإن كان القرآن فيها أكثر من غيره حرم مسها وحملها وان كان غيره أكثر كما هو الغالب ففيها ثلاثة أوجه أصحها لايحرم والثانى يحرم والثالث ان كان القرآن متميزا بغلظ أو حمرة أو غيرها حرم وإن لم يتميز لم يحرم ويحرم المس إذا استويا

وأما كتب حديث رسول الله ﷺ فإن لم يكن فيها آيات من القرآن لم يحرم مسها والأولى ألا تمس إلا على طهارة وان كان فيها آيات من القرآن لم يحرم على

المذهب وفيه وجه أنه يحرم

ومن لم يجد ماء فتيمم حيث يجوز له التيمم مس المصحف وأما من لم يجد ماء ولا ترابا فلا يجوز له مسه فلو كان معه مصحف ولم يجد من يودعه عنده وعجز عن الوضوء تيمم أما اذا خاف على المصحف من حرق أوغرق أو وقوع فى نجاسة أو حصوله فى يد كافر فإنه يأخذه ولو كان محدثا للضرورة والأخذ والحالة هذه واجب قاله النووى فى شرح المهذب والتحقيق والله أعلم

﴿ فصل فى سجود التلاوة ﴾

اختلف العلماء فى سجود التلاوة هل هو مستحب أو واجب فقال ابو حنيفة هو واجب واحتج بقوله تعالى فما لهم لايؤمنون واذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون وقال الجمهور هو مستحب محتجين بما جاء عن عمر ابن الخطاب أنه قرأ على المنبر يوم الجمعة سورة النحل حتى اذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس حتى اذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال يأيها الناس انما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه ولم يسجد عمر رواه البخارى وكان ذلك بجمع من الصحابة ولم يخالفه أحد

وأما الجواب عن الآية التى احتج بها أبو حنيفة فظاهر لأن المراد ذمهم على ترك السجود تكذيبا كما قال الله تعالى بعده « بل الذين كفروا يكذبون » وثبت فى الصحيحين عن زيد بن ثابت أنه قرأ على النبى ﷺ سورة والنجم فلم يسجد وثبت فى الصحيحين أيضا أنه ﷺ سجد فى النجم فدل على أنه ليس بواجب والا لأمر زيدا بالسجود وأما عدد السجدات ومحالها فالمختار الذى عليه الشافعى والجماهير أنها أربع عشرة سجدة فى الأعراف والرعد

والنحل والاسراء ومريم وفى الحج سجدتان والفرقان والنمل والم تنزيل وفصلت والنجم والانشقاق واقرأ باسم ربك وأما سجدة ص فسجدة شكر لاتلاوة فهى مستحبة وليست من عزائم السجود وقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ سجد فيها هذا مذهب الشافعى ومن نحا نحوه وقال ابو حنيفة هى اربع عشرة ايضا لكن اسقط الثانية من الحج واثبت سجدة ص وجعلها من العزائم وعن احمد روايتان احداهما كالشافعى والثانية خمس عشرة زاد ص وعن مالك روايتان احداهما كالشافعى واشهرهما احدى عشرة اسقط النجم والانشقاق واقرأ وهو قول قديم للشافعى والصحيح ماقدمناه والأحاديث الصحيحة تدل عليه

وأما محالها فسجدة الأعراف فى آخرها والرعد عقب قوله عز وجل بالغدو والآصال والنحل ويفعلون مايؤمرون والاسراء ويزيدهم خشوعا ومريم خروا سجدا وبكيا والأولى من سجدتى الحج إن الله يفعل مايشاء والثانية وافعلوا الخير لعلكم تفلحون والفرقان وزادهم نفورا والنمل رب العرش العظيم والم تنزيل وهم لايستكبرون وفصلت لايسأمون والنجم فى آخرها وإذا السماء انشقت . . لايسجدون واقرأ فى آخرها ولا خلاف يعتد به فى شيء من مواضعها إلا التى فى فصلت فإن العلماء اختلفوا فيها فذهب الشافعى وأصحابه الى ماذكرناه أنها عقب يسأمون وممن ذهب الى هذا ابو حنيفة واحمد وذهب آخرون الى أنها عقب قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وممن ذهب الى هذا الامام مالك والليث بن سعد وهو وجه لبعض اصحاب الشافعى

واما حكم سجود التلاوة فكصلاة النافلة فى اشتراط الطهارة من الحدث والنجاسة وفى استقبال القبلة وستر العورة فتحرم على من ببدنه أو ثوبه نجاسة غير معفو عنها وعلى المحدث الا اذا تيمم حيث يجوز له التيمم وتحرم الى غير القبلة الا فى السفر حيث تجوز النافلة الى غير القبلة وهذا كله متفق عليه واذا قرأ سجدة ص فمن قال انها من عزائم السجود قال يسجد سواء قرأ فى الصلاة او خارجها كسائر السجدات واما الشافعى وغيره ممن قال ليست من العزائم فقالوا اذا قرأها خارج الصلاة استحب له السجود لأن النبى ﷺ سجد فيها كما قدمناه وان قرأها فى الصلاة لم يسجد فإن سجد وهو جاهل أو ناسى لم تبطل صلاته ولكن يسجد للسهو وان كان عالما فالصحيح انها تبطل صلاته لأنه زاد فى الصلاة ماليس منها . ولو سجد إمامه فى ص لكونه يعتقدها من العزائم والمأموم لايعتقدها فلا يتابعه بل يفارقه أو ينتظره قائما واذا انتظره هل يسجد للسهو فيه وجهان أظهرهما أنه لايسجد

والسجود سنة للقارىء سواء كان فى الصلاة أو خارجها ويسن أيضا للمستمع والسامع ولكن قال الشافعى لاأؤكده فى حق السامع كما أؤكده فى حق المستمع هذا هو الصحيح وسواء سجد القارىء أم لا . هذا ماعليه الشافعى وبه قال أبو حنيفة خلافا لصاحب البيان من أصحاب الشافعى فإنه قال لا يسجد المستمع لقراءة من فى الصلاة وخلافا للصيد لانى من أصحاب الشافعى أيضا فإنه قال لايسن السجود الا أن يسجد القارىء ويبغى أن يسجد عقب آية السجدة فإن أخر ولم يطل الفصل سجد وان طال فقد فات السجود فلا يقضى على المذهب الصحيح المشهور وان كان القارىء أو المستمع محدثا عند تلاوة السجدة فإن تطهر عن قرب سجد وان تأخرت طهارته حتى طال الفصل فالصحيح

أنه لا يسجد واذا قرأ السجدات كلها أو سجدات منها فى مجلس واحد سجد لكل سجدة فى موضعها بلا خلاف فإن كرر الآية الواحدة فى مجالس سجد لكل مرة بلا خلاف فإن كررها فى المجلس الواحد نظر فإن لم يسجد للمرة الأولى كفاه سجدة واحدة عن الجميع وان سجد للأولى ففيه ثلاثة أوجه أصحها يسجد لكل مرة والثانى يكفيه سجدة الأولى عن الجميع وهو مذهب أبى حنيفة والثالث ان طال الفصل سجد وإلا فتكفيه الأولى

لا تكره قراءة أى آية سجدة للامام عند الشافعى سواء كانت الصلاة سرية أو جهرية ويسجد اذا قرأها قال هو محمول على ما اذا لم يقصد بقراءته السجود فإن قصد بها السجود بطلت صلاته وحاصل ذلك أن يقال يشترط لسجود التلاوة سبعة شروط خمسة فى المصلى وغيره واثنان فى المصلى الأول الا تكون القراءة محرمة لذاتها كقراءة الجنب المسلم وكالقراءة بغير العربية فلا يشرع السجود لذلك الثانى الا تكون مكروهة لذاتها كقراءة مصل فى غير القيام فلا يسجد بخلاف قراءة المرأة برفع صوتها بحضرة الرجال الأجانب لأن حرمتها لعارض خوف الفتنة لا لذاتها فيسجد لقراءتها الثالث ان تكون القراءة مقصودة بأن يكون القارىء مميزا فلا يسجد لقراءة السكران والساهى والنائم والدره وهى المسماة فى مصر بالببغاء ولا عند سماع الاسطوانة بخلاف من فى المذياع فيسجد لأنها من قارىء الرابع أن تكون جميع آية السجدة من قارىء واحد الخامس أن تكون فى غير صلاة الجنازة : وأما الشرطان اللذان فى المصلى فالأول ألا يقصد بقراءته السجود فى غير صبح الجمعة بـ الم تنزيل فتبطل صلاته بذلك إن كان عالما بالتحريم والثانى إن كان المصلى مأموما يشترط فى حقه ألا يسجد الا لسجود إمامه وما ذكر من أن القصد فى صبح

يوم الجمعة بـ الم تنزيل لا يبطل هو ما مشى عليه الرملى من الشافعية فصبح الجمعة بغير الم تنزيل كغيره فى التفصيل المذكور واما ابن حجر من علماء الشافعية أيضا فقد قال متى قـــرأ بقصـــد السجود فقط بطلت الصلاة بمجرد شروعه فى السجود وان كان فى صبح الجمعة بـ الم تنزيل وأما غير المصلى فلا يضر فى حقه قراءته بقصد السجود على المعتمد فى مذهب الشافعى خلافا للشوبرى .

وأما صفة السجود فإن كان خارج الصلاة نوى سجود التلاوة وكبر للاحرام ورفع يديه حذو منكبيه ثم يكبر تكبيرة أخرى للسجود ولا يرفع فيها اليد وهذه التكبيرة الثانية مستحبة وأما التكبيرة الأولى ففيها ثلاثة أوجه لأصحاب الشافعى أظهرها أنها ركن لا يصح السجود الابها . الثانى أنها مستحبة والثالث ليست مستحبة . ثم اذا سجد فينبغى أن يراعى آداب السجود فى الهيئة والتسبيح كما يفعل فى الصلاة ويزيد فى السجود بعد التسبيح اللهم اكتب لى بها عندك اجرا واجعلها لى عندك ذخرا وضع عنى بها وزرا واقبلها منى كما قبلتها من عبدك داود ﷺ وهذا الدعاء خاص بهذا السجود واختار الشافعى أن يقول سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويستحب أن يجمع بين هذه الأذكار وان اقتصر على بعضها حصل أصل التسبيح وان لم يسبح بشيء حصل السجود . ثم اذا رفع رأسه كبر وهل يفتقر الى السلام فيه قولان منصوصان للشافعى أصحهما أنه يفتقر لافتقاره الى الاحرام فقد روى ابن أبى داود بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود أنه كان إذا قرأ السجدة سجد ثم سلم . وأما السجود فى الصلاة فلا يكبر فيه للاحرام ويستحب أن يكبر للسجود ولا يرفع يديه ويكبر للرفع من السجود هذا هو الصحيح

المشهور الذى قاله الجمهور ثم اذا رفع من السجود قام ولا يجلس للاستراحة بلا خلاف بخلاف سجود الصلاة فإنه يستحب جلسة للاستراحة عقب السجدة الثانية من الركعة الأولى فى كل الصلوات ومن الثالثة فى الرباعيات جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة فى البخارى وغيره . ثم اذا رفع من سجدة التلاوة فلا بد من الانتصاب قائما والأفضل أن يقرأ شيئا ثم يركع فإن انتصب ثم ركع من غير قراءة جاز والله اعلم

﴿ فصل فى مسائل تتعلق بالختم ﴾

تقدم أنه يستحب أن يختم فى أول النهار وآخره فيكون فى ركعتى سنة الفجر أو ركعتى سنة المغرب وأما من يختم خارج الصلاة فيستحب أن يكون فى أول النهار أو أول الليل كما تقدم ويستحب صيام يوم الختم إلا أن يصادف يوما نهى الشرع عن صيامه جاء هذا عن كثير من السلف الصالح ويستحب حضور مجلس الختم فقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ أمر الحيض بالخروج يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين وكان ابن عباس يتحرى ذلك ودرج على هذا كثير من السلف الصالح لأن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن ويستحب أن يدعو لنفسه والمسلمين بما فيه صلاحهم فإن الدعاء مستجاب وقتئذ وينبغى أن يلح فى الدعاء فإن الله يحب الملحين بالدعاء وأن يستحضر قلبه ولا يتكلف سجعا وأن يوقن بالاجابة قال ﷺ ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة رواه الترمذى والحاكم وقال مستقيم الاسناد وألا يستبطىء الإجابة فقد قال ﷺ يستجاب لأحدكم مالم يعجل بقول دعوت ربى فلم يستجب لى رواه البخارى من حديث أبى هريرة ويستحب أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه ويثنى بالصلاة على رسول الله ﷺ ثم يدعو رغبة

ورهبة ويتوسل اليه بأسمائه وصفاته وان تدم دعاء من الأدعية التى اخبر عنها النبي ﷺ ان فيها اسم الله الأعظم كان مرجو الاجابة فمنها مافى السنن عن عبد الله بن بريدة عن ابيه ان رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لاإله الا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سأل الله بالاسم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب وفى لفظ لقد سألت الله باسمه الأعظم ومنها دعوة ذى النون كما جاء فى الصحيح الى آخر ماجاء فى هذا الباب من آداب الدعاء والمأثور عن النبي ﷺ والله أعلم

﴿ فائدة لحفظ القرآن والعلم ﴾

أخرج الترمذى فى سننه فى باب دعاء الحفظ والحاكم والبيهق فى الدعوات عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه على ابن أبى طالب فقال بأبى أنت وامى تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه فقال له رسول الله ﷺ ياأبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ماتعلمت فى صدرك قال أجل يارسول الله فعلمنى قال اذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم من ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال أخى يعقوب لبنيه « سوف استغفر لكم ربى » يقول حتى تأتى ليلة الجمعة فإن لم تستطع فقم فى وسطها فإن لم تستطع فقم فى أولها فصل أربع ركعات تقرأ فى الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك الملك فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله

وأحسن الثناء على الله وصل على وأحسن وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ثم قل فى آخر ذلك اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ماأبقيتنى وارحمنى أن أتكلف مالا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لاترام أسألك ياالله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تكرم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لاترام أسألك ياالله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى وأن تطلق به لسانى وأن تفرج به عن قلبى وأن تشرح به صدرى وأن تستعمل به بدنى فإنه لايعيننى على الحق غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياأبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب بإذن الله والذى بعثنى بالحق ماأخطأ مؤمنا قط قال ابن عباس فوالله مالبث على الا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس فقال يارسول الله إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن فإذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الاحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم فيها حرفا (أى لم أترك) فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن قال الترمذى حديث حسن غريب لانعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم وقد علمت أن غير الترمذى رواه وقد أقره السيوطى فى اللمعة فى خصائص الجمعة وأورده الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب وأثنى على طرقه وهى

فائدة حسنة تجنى ثمرتها إن شاء الله تعالى إذا عملتها بإخلاص وإيمان وتقوى من الله تعالى والله أعلم

﴿ فصل فى المنثورات والملح ﴾

إن من تأمل فى القرآن الكريم وتنوع مخاطباته وجدها تحوى فى طياتها نكات بلاغية ومحاسن كلامية ولقد تأملها المحققون فوجدوها فى تنوعها تقرب من الثلاثين نوعا فتارة يخاطب الجمع بلفظ الواحد نحو يأيها الانسان ماغرك بربك الكريم وتارة يخاطب الواحد بلفظ الجمع نحو يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فهو خطاب له ﷺ وحده اذ لانبى معه أو بعده ومثله وان عاقبتم فعاقبوا الآية بدليل قوله واصبر وما صبرك الا بالله وتارة يخاطب الواحد بلفظ الاثنين نحو ألقيا فى جهنم على القول بأنه خطاب لمالك خازن النار وقيل لخزنة النار والزبانية فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين وقيل للملكين الموكلين به فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فيكون على الأصل وتارة يخاطب الاثنين بلفظ الواحد كقوله فمن ربكما ياموسى . أى وياهرون ووجهه كما قال صاحب الكشاف هو أن هرون لما كان أفصح من موسى عدل فرعون عن خطابه حذرا من لسانه وقال غيره أفرده بالذكر لإدلاله عليه بالتربية وتارة يخاطب الاثنين بلفظ الجمع كقوله أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وتارة يخاطب العين والمراد به الغير نحو يأيها النبى اتق الله الخطاب له والمراد أمته ومثله فإن كنت فى شك فإن المراد بالخطاب التعريض بالكفار وتارة يخاطب العام الذى لم يقصد به مخاطب معين نحو ألم تر أن الله يسجدله . ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وتارة يخاطب الشخص ثم يعدل الى غيره نحو فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله . خوطب به النبى ﷺ ثم

قال للكفار فاعلوا وتارة يخاطب الجمادات خطاب من يعقل نحو فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها وتارة يخاطب للتهييج نحو وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وتارة يخاطب للاستعطاف نحو قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وتارة يخاطب للتعجيز نحو فأتوا بسورة من مثله وتارة يخاطب المعدوم ويصح ذلك تبعا لموجود نحو يابنى آدم فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان والكل من بعده وتارة يخاطب العام ويريد العموم كقوله الله الذى خلقكم وتارة يخاطب الخاص ويريد به الخصوص كقوله أكفرتم بعد ايمانكم وتارة يخاطب العام ويريد به الخصوص كقوله يأيها الناس اتقوا ربكم لم يدخل فيه الأطفال والمجانين . وتارة يخاطب الخاص ويريد به العموم كقوله يأيها النبى اذا طلقتم النساء افتتح الخطاب بالنبى والمراد مباشر من يملك الطلاق وتارة يخاطب الجنس كقوله يأيها الناس وتارة يخاطب النوع نحو يابنى اسرائيل وتارة يخاطب العين كخطاب الأنبياء يا آدم اسكن يانوح اهبط وهكذا ولم يقع الخطاب ياأمحمد بل يأيها النبى يأيها الرسول تعظيما له وتشريفا وتعليما للمسلمين ألا ينادوه باسمه ولذا قال بعض المادحين

ودعا الإله الانبياء بإسمهم ودعاك وحدك بالرسول وبالنبى

ومنها خطاب الذم نحو يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم ومنها خطاب الإهانة نحو اخسؤوا فيها ولا تكلمون ومنها التهكم نحو ذق انك أنت العزيز الكريم ومنها خطاب المدح نحو يأيها الذين آمنوا فهذه طائفة من تنوعات مخاطبات القرآن الكريم .

ومن محاسنه وبدائعه مااشتمل عليه من الايجاز والاطناب فإنهما من أعظم انواع البلاغة بل قال بعض العلماء البلاغة هى الايجاز والإطناب وقال

صاحب الكشاف كما انه يجب على البليغ فى مظان الاجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل ان يفصل ويشبع والفرق بينهما ان الايجاز هو التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والاطناب بلفظ ازيد واما المساواة فلا تكاد توجد خصوصا فى القرآن

فمن امثلة الايجاز قول الله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذا القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) فإنها اشتملت على كثير من الأوامر والنواهى ولهذا قال ابن مسعود ما فى القرآن آية اجمع للخير والشر من هذه الآية وعن الحسن انه قرأها يوما ثم وقف فقال إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله فى آية واحدة فوالله ماترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئا ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئا إلا جمعه

ومن امثلته ايضا قل هو الله احد السورة فإنه نهاية التنزيه وقد تضمنت الرد على نحو اربعين فرقة كما أفرد ذلك بالتصنيف بعض العلماء

ومن امثلته قوله تعالى (اخرج منها ماءها ومرعاها) دل بهاتين الكلمتين على جميع ماأخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لأن النار من العيدان والملح من الماء

ومن امثلته أيضا قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة فإن الانسان متى علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا الى ألا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان ارتفاع القتل حياة لهم . وقد فضلت هذه الجملة على اوجز ما كان عند العرب فى هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل بعشرين وجها أو اكثر بينها العلماء . وهذا قليل من كثير

فى كتاب الله تعالى

ومن أمثلة الاطناب تكرير القصص كقصة آدم وموسى وغيرهما من الأنبياء وفى تكرير القصص فوائد كثيرة

منها أن فى كل موضع زيادة شىء لم يذكر فى الذى قبله أو ابدال كلمة بأخرى لنكتة وهذه عادة البلغاء

ومنها أن فى ابراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالايخفى من الفصاحة

ومنها أنه سبحانه وتعالى نزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله ثم أوضح الأمر فى عجزهم بأن كرر ذكر القصة فى مواضع اعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بأى نظم جاءوا أو بأى عبارة عبروا

ومنها أنه لما تحداهم قال فأتوا بسورة من مثله فلو ذكرت القصة فى موضع واحد واكتفى بها لقال العربى ايتونا أنتم بسورة من مثله فأنزلها سبحانه وتعالى فى تعداد السور دفعا لحجتهم من كل وجه . ومنها غير ذلك

فإن قيل ما الحكمة فى عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقا واحدا فى موضع واحد دون غيرها من القصص فالجواب أن قصص الانبياء انما كررت لأن المقصود بها بيان اهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية الى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ فكلما كذبوا انزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك وبهذا الجواب يكون الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة اصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح

ومن امثلة الاطناب (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل

وميكال) خص جبريل وميكائيل بالذكر رداً على اليهود في دعوى عداوته وضم اليه ميكائيل لأنه ملك الرزق الذى هو حياة الاجسام كما ان جبريل ملك الوحى الذى هو حياة القلوب ومثلها والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة فإن اقامتها من جملة التمسك بالكتاب وهذا النوع من باب عطف الخاص على العام

ومن انواعه عطف العام على الخاص مثاله إن صلاتى ونسكى فإن النسك العبادة . آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم فإن السبع المثانى من القرآن العظيم وفائدته التعميم ومن انواعه الايضاح بعد الإبهام مثاله (فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة) اعيد ذكر العشرة لرفع توهم ان الواو فى وسبعة بمعنى او فتكون الثلاثة داخلة فيها ونظيره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة) فإنه رافع لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة وفائدة الوعد بثلاثين أولا ثم بعشر ليتجدد له أقرب انقضاء المواعدة ويكون فيه متأهبا مجتمع الرأى حاضر الذهن لأنه لو وعد بالأربعين . أولا كانت متساوية فلما فصلت استشعرت النفس قرب التمام وتجدد بذلك عزم لم يكن وهذا النوع يعبر عنه بالايضاح بعد الابهام

ومن أنواعه الصفة وترد لأسباب أحدها التخصيص فى النكرة نحو فتحرير رقبة مؤمنة . الثانى التوضيح فى المعرفة نحو فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى . الثالث المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى نحو هو الله الخالق البارىء المصور . الرابع الذم نحو فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . الخامس التأكيد لرفع الإبهام نحو لاتتخذوا إلهين اثنين فإن إلهين للتثنية فاثنين بعده صفة

مؤكدة للنهى عن الاشراك ومثله ولا طائر يطير بجناحيه ونظيره ويقولون بألسنتهم

قاعدة . الصفة العامة لا تأتى بعد الخاصة لا يقال رجل فصيح متكلم بل متكلم فصيح ولا يرد على هذا فى اسماعيل عليه السلام وكان رسولا نبيا لانه حال لا صفه أى مرسلا فى حال نبوته وقد تقدم أمثلة لهذا

فائدة : قطع النعوت فى مقام المدح والذم أبلغ من اجرائها مع الكلام لأن المعانى عند الاختلاف تتنوع وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا مثاله فى المدح . والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة . ولكن البر من آمن بالله الى قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين ومثاله فى الذم وامرأته حمالة الحطب

ومن أنواع الاطناب أيضا البدل مثاله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين . صراط العزيز الحميد الله . قتل أصحاب الاخدود النار . يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن

ومن أنواعه عطف البيان ومن أمثلته فيه آيات بينات مقام ابراهيم من شجرة مباركة زيتونة . والقصد منه كالصفة الايضاح وقد يأتى لمجرد المدح كقوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام عطف بيان للمدح لا للإيضاح

ومن أنواعه عطف أحد المترادفين على الآخر والقصد منه التأكيد مثاله انما أشكو بثى وحزنى الى الله . فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا فلا يخاف ظلما ولا هضما

ومن أنواعه أيضا التفسير وهو أن يكون فى الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره مثاله إن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه

الخير منوعا فقوله اذا مسه تفسير للهلوع ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فخلقه وما بعده تفسير للمثل . لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون فتلقون تفسير لاتخاذهم ومتى كانت الجملة تفسيرا لم يحسن الوقف على ماقبلها دونها لأن تفسير الشيء لاحق به ومتمم له

ومن أنواعه وضع الظاهر موضع المضمر وله فوائد منها زيادة التقرير نحو قل هو الله أحد الله الصمد والأصل هو الصمد ومنها قصد التعظيم نحو اتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم . وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومنها قصد الإهانة والتحقير أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون . إن الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ومنها قصد العموم نحو وما ابرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء لم يقل انها لئلا يفهم تخصيص ذلك بنفسه على القول بأنها من كلام يوسف ومنها الاشارة الى عدم دخول الجملة في حكم الأولى نحو فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل فإن ويمح الله استئناف ليس بداخل فى حكم الشرط

ومن الاطناب الاعتراض وهو الاتيان بجملة أو أكثر لامحل لها من الاعراب في أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة نحو لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك . ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون فقوله سبحانه اعتراض ومنها غير ذلك وهذا قليل من كثير من أنواع الاطناب فصلها العلماء تفصيلا وقد ذكرنا قليلا منها تشويقا للنفس التى تريد أن ترقى الى ذروة الكمال بمعرفة أسرار الكتاب العزيز فإن من جد وجد ونال ماطلب ومن أخلد الى الراحة لم يعرف ماللكتاب العزيز من فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فيكون كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين

ومن محاسن القرآن الكريم ما اشتمل عليه من أسماء الله الحسنى التى زادته بهاء ونورا فهى زينة لكلام الله ولذة للقارئين والسامعين ألا ترى إلى قول الله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين فإن أفادة المعنى كانت تؤدى بذكر الضمير بعد الاسم الأول وكذلك قوله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ولكن شتان بين ذكر الأسماء الشريفة والضمائر فإن فى ذكر الأسماء من حلاوة الأسلوب وبلاغة اللفظ ما يشعر به من له فهم وذكاء .

ولقد تتبع بعض المحققين الأسماء الظاهرة الصريحة التى أتى بها القرآن ولو بطريق اللزوم مثال ذلك قوله تعالى ومن أصدق من الله حديثا فهذا يفيد قطعا أن الله صادق ومثله ومن أوفى بعهده من الله فإنه يفيد أنه وفى بعهده ولا أحد أوفى منه وكقوله ومن أحسن من الله حكما فإنه يفيد أنه حسن الحكم ولا أحد أحسن منه وجرى على هذا فوجدها نحو خمسة آلاف وعشرة أسماء ماعدا البسملة التى فى أوائل السور وعددها ثلاثمائة وتسعة وثلاثون اسما ومجموع ذلك خمسة آلاف وثلاثمائة وتسعة وأربعون اسما وذلك بالمكرر . من ذلك اسم الجلالة وهو الله نحو ألفين وستمائة وثمانية وسبعين مرة كما ذكر اسم الرب نحو ثمانمائة وثمانين مرة وهذان الاسمان الشريفان أكثر الأسماء ذكرا فى القرآن

فإن قلت كيف هذا وقد ورد فى صحيحى البخارى ومسلم أحاديث صريحة فى أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وفى رواية من حفظها فالجواب أن العدد لا مفهوم له كما هو مقرر ومعلوم فكون الله سبحانه له هذا العدد من الأسماء لا ينافى أن له من الأسماء ما لا يحصيه إلا هو سبحانه فيكون معنى الحديث ان من اسماء الله تسعة وتسعين اسما اختصت بأن من أحصاها دخل الجنة قال النووى فى شرح مسلم اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك اهـ .

(الفرق بين القرآن والحديث القدسى والحديث النبوى)

مما لا شك فيه أن كل ما جاء به النبى ﷺ موحى به من ربه عز وجل فلا فرق بين القرآن والحديث من هذه الناحية وإنما جاء الفرق من نواحى أخرى فالقرآن منزل على النبى ﷺ بلفظه ومعناه بواسطة جبريل عليه السلام ومنقول الينا بالتواتر جيلا عن جيل ومتعبد بتلاوته وهو المعجز الذى وقع التحدى به وأما الحديث القدسى ويسمى الحديث الربانى فهو الذى أخبر الله نبيه بمعناه الهاما أو مناما أو بواسطة جبريل عليه السلام فأخبر النبى ﷺ امته بألفاظ من عنده ولذا قال منلا على القارى الحديث القدسى ما يرويه صدر الرواة وبدر الثقات عليه أفضل الصلاة وأكمل التحيات عن الله تبارك وتعالى تارة بواسطة جبرائيل عليه السلام وتارة بالوحى والإلهام والمنام

مفوضا اليه التعبير بأى عبارة شاء من أنواع الكلام ا هـ . فالمنظور فيه المعنى دون اللفظ ولا يشترط فيه التواتر ولا يتعبد بتلاوته وتجوز روايته بالمعنى ويجوز مسه للجنب ولا تكفى تلاوته فى الصلاة عن القراءة بخلاف القرآن فإنه المتعبد بتلاوته ولاتجوز روايته بالمعنى ولايجوز للجنب مسه وهو المطلوب للقراءة فى الصلاة وأما الحديث النبوى فهو المروى على النبى ﷺ من كلامه والـكل كما علمت من عند رب العالمين وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى والله أعلم

(تفسير آيات من كتاب الله تعالى)

ذكر بعض المفسرين فيما أتلوه عليك من الآيات إن شاء الله تعالى وجوها بعيدة عن الصواب لا تتفق وعصمة الانبياء مصدرها أهل الكتاب الذين حرفوا كتبهم وزاغوا كل الزيغ ونسبوا الى الانبياء جرائم لو صحت نسبتها الى آحاد الناس لكان ساقطا عند الله والناس أجمعين وقد تأمل رجال من المحققين هذه القصص فعرفوا مصدرها وبعدها عن الصواب فنبهوا على بطلانها وفساد معناها وتولوها بالبحث الصحيح فأدمغوها شأن الحق مع الباطل وانى ذاكر لك ماقاله هؤلاء الاعلام لتستضىء بنورهم وتهتدى بهديهم مبتدئا بقصة هاروت وماروت وقبل الشروع فيها نذكر مقدمة لها مساس بما نحن بصدده لتكون لما نذكره كالأصل للبنيان فنقول وبالله التوفيق

(عصمة الملائكة والأنبياء)

قال تعالى فى صفة الملائكة يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون وقال تعالى بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال تعالى جاعل الملائكة رسلا

فهذه أدلة واضحة تدل على عصمة الملائكة وأنهم جميعا كما وصفهم الله فى هذه الآيات وهذا ماعليه أكثر المسلمين وذهبت طائفة الى أن هذا لخصوص المرسلين منهم والمقربين محتجين بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير فى قصة هاروت وماروت وغيرها وسنبين ذلك إن شاء الله تعالى لتعلم أن الصواب عصمة جميعهم وتنزيه جنابهم الرفيع عن جميع مايحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل قدرهم

وأما الأنبياء فالمختار أنه لم يصدر منهم ذنب لا كبير ولا صغير لوجوه منها أنه لو صدر منهم ذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة وذلك غير جائز ومنها أن بتقدير اقدامه على الفسق وجب ألا يكون مقبول الشهادة لكنه مقبول الشهادة وإلا كان أقل حالا من عدول الأمة . ومنها أن بتقدير إقدامه على المعصية يجب زجره عنها فلم يكن ايذاؤه محرما لكنه محرم قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية . ومنها أن محمدا ﷺ لو أتى بالمعصية لوجب علينا الاقتداء به فيها لقوله تعالى (فاتبعون) فيفضى الى الجمع بين الحرمة والوجوب وهو محال واذا ثبت هذا فى حق محمد ثبت أيضا فى سائر الانبياء . ومنها أنا نعلم أنه لا شىء أقبح من نبى رفع الله درجته وأئمنه على وحيه وجعله خليفة فى عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ترجيحا للذته ومنها غير ذلك . وأما من أجاز عليهم الكبائر كالحشويه أو الصغائر على جهة العمد كأكثر المعتزلة فقد استدلوا بأشياء ظنوها دليلا ولكنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فاعرف ما للملائكة ربك الذين أثنى عليهم فى كتابه وما لأنبيائه الذين اصطفاهم وائتمنهم على سر وحيه وجعلهم خلائف فى الارض يبلغون أحكامه الى خلقه فلا عليك إن رأيت

مايعارض ماذكرناه لك من عصمتهم وعلو درجتهم أن تضرب به عرض الحائط فإن كثيرا ممن ذكروا القصص الإسرائيلية غفلوا عن ذلك الأصل فأثبتوها فى مؤلفاتهم فإن الكمال لله وحده

(قصة هاروت وماروت)

(١) قال تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون الآيات) يعدد الله فى هذه الآيات الكريمات قبائح اليهود فيقول سبحانه ولما جاءهم محمد ﷺ مصدق لما معهم من التوراة لأنه مدحها وقرر أنها كتاب الله فكان مقتضى ذلك أن يتبعوه ويعملوا بشريعته ولكنهم نبذوها وراء ظهورهم وبالأخص ماكان فيها من صفته عليه الصلاة والسلام ومن الأحكام التى لاتتفق مع أغراضهم الفاسدة كأنهم جاهلون بها مع أنهم عالمون بها فالنبذ كناية عن عدم العمل بما فيها والا فإنهم يعظمونها الى الآن . تركوا مافيه سعادتهم واتبعوا ما كانت تتلوه شياطين الانس والجن فى عهد ملك سليمان وزمنه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ذلك اكاذيب يلقونها الى الكهنة وقد دونوها فى كتب يقرءونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام وقالوا ان الجن تعلم الغيب وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم فقال تعالى تكذيبا لهم وتنزيها لساحته عن السحر (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ويعلمونهم أيضا (ماأنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) علمان للملكين انزلا لتعليم السحر تمييزا بينه وبين المعجزة لأن السحرة كثرت فى ذلك الزمان وابتدعت أبوابا غريبة من السحر حتى التبس الحق بالباطل فأنزل الله هذين

الملكين لذلك وكان يبذلان النصيحة لمن يتعلم منهما فيقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر أى محنة يتميز بها المطيع من العاصى فهذا الذى نصفه لك من السحر وإن كان القصد منه أن يظهر به الفرق بين السحر والمعجزة ولكنه يمكنك أن تتوصل به الى المقاصد الفاسدة فإياك بعد وقوفك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه . ثم إن الناس استعملوه فى الأغراض الفاسدة وايقاع الفرقة بين المرء وزوجه وهذا معنى قوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله) ثم ان الله سبحانه وتعالى أطلق على السحر كفرا فقال وما كفر سليمان ليدل على أنه كفر اذا استحله أو احتيج فيه الى تقدم اعتقاد مكفر هذا مذهب الشافعى وعند احمد يكفر مطلقا وفى الآية وجوه أخرى تركنا ذكرها روما للاختصار . وأما مايذكره القصاصون من نسبة المعصية الى الملكين وأنهما شربا الخمر وقتلا وراودا المرأة التى تسمى بالزهرة وأنها أبت وتعلمت منهما ما كان يصعدان به الى السماء فصعدت ومسخها الله نجما فكذب واضح ولم يكن لتلك القصة طريق صحيح وان ذكر طرقها ابن حجر وتبعه السيوطى قال القاضى عياض فى الشفاء إن هذه الأخبار (يريد قصة هاروت وماروت) لم يرو فيها شىء لاسقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو بشىء يؤخذ بقياس وهذا مانعتقده وندين الله عليه والله أعلم .

(٢) تفسير قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الآيات اعلم أن هذه الآية الكريمة ذكروا لها عدة وجوه منها مافيه طعن فى عقيدة آدم عليه السلام ومنها ماسلم من ذلك وانى سأذكر لك خلاصة

ماقيل فيها فأقول وبالله التوفيق قال تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) الخطاب عام لكل واحد كأنه قال خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه فى الانسانية ليسكن اليها فلما تغشاها أى جامع الزوج زوجه (حملت حملا خفيفا فمرت به) ذهبت وجاءت لخفته (فلما أثقلت أى صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها (دعوا الله ربهما) أى دعا الزوج والزوجة ربهما مقسمين (لئن آتينا صالحا) أى ولدا سويا لاعيب فيه (لنكونن من الشاكرين) لآلائك (فلما آتاهما صالحا) كما طلبا (جعلا له شركاء فيما آتاهما) وذلك بنسبة الولد الى الطبائع كما هو رأى الطبيعيين وتارة الى الكواكب كما هو قول المنجمين وتارة الى الأصنام كما هو قول عبدة الأوثان ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه عن الشرك فقال (فتعالى الله عما يشركون) هذا ماقاله القفال وارتضاه فخر الدين الرازى وقال هذا جواب فى غاية الصحة والسداد

والرأى الثانى فى الآية أن الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ وهم آل قصى وعلى هذا يكون المعنى هو الذى خلقكم معشر قريش من نفس واحدة هى نفس قصى وجعل منها زوجها أى نفسا عربية قرشية ليسكن اليها ويكون معنى فلما آتاهما الآية فلما أجابهما فيما طلبا جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد اللات فتعالى الله عما يشركون وانما جمع الضمير لأن المراد هما وأعقابهما .

والثالث هو الذى خلقكم أيها الناس من نفس واحدة هى نفس آدم عليه السلام وجعل منها زوجها أى خلق حواء من هذه النفس من ضلع منها

أو المعنى جعل زوجها من جنسها لقوله تعالى وجعل لكم من أنفسكم أزواجا فلما جامع آدم حواء حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا سويا لنكونن من الشاكرين نحن وأولادنا على نعمتك فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء أى جعل أولادهما شركاء له فيما آتاهما أى فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف وأمثال ذلك . قال تعالى منزها نفسه بنفسه فتعالى الله عما يشركون وهذا متعين اذا جعلت الكلام مع آدم عليه السلام لأن الأنبياء معصومون عن مطلق المعاصى فضلا عن الشرك الذى هو أكبر الكبائر والحديث الذى يروى فى ذلك أعله بعض المحدثين وحكم بنكارته وهو ماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لايعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره

والعجب أن ابن جرير أيد هذا الحديث وقوى هذا الرأى فى تفسيره ولكن التحقيق ماعلمت فإن العصمة لمن عصمه الله تعالى والله أعلم

٣ - ﴿ تفسير قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآيات ﴾

اعلم أنهم ذكروا فى هم يوسف عليه السلام أشياء لاتتفق مع ذلك الرسول الكريم الذى أثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز لذا لزم أن نبين ذلك ناقلين ماذكره المحققون فنقول قال تعالى (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى خادعته من المراودة وهى المحاولة والمخادعة وذلك لما كان عليه من الحسن والجمال الفائق فإنه أعطى شطر الحسن كما جاء فى الحديث (وغلقت الأبواب) لأن هذا العمل لايؤتى به إلا فى المواضع المستورة وقالت (هيت لك) اسم فعل بمعنى هلم وتعال فغضب الصديق عند ذلك

وقال (معاذ الله) أى أتحصن بالله مما تدعين اليه وهو اجتناب منه على أتم الوجوه اشارة إلى أن مادعته اليه منكر يجب أن يستعاذ بالله للخلاص منه ثم أراد عليه السلام أن يذكرها ببعض الأسباب التى توجب الامتناع لعلها تمتنع عما أرادته فقال (انه ربى أحسن مثواى) أى الله سبحانه وتعالى مربينى بنعمه أحسن مثواى) فأنجانى من الجب وعطف على سيدى وغير ذلك من نعمه الكثيرة فالضمير فى انه راجع الى الله سبحانه وتعالى ويصح عوده العزيز ولكن الأحسن ماسمعت (انه لايفلح الظالمون) الخائنون الذين يقابلون الحسنة بالسيئة ولما رأت أنه مصمم على الامتناع دنت منه وأرادت أن تقهره على الفعل فقال تعالى (ولقد همت به) أى قصدت مخالطته قهرا فلما رأى ذلك منها خاف على نفسه (وهم بها) هما مناسبا لمقامه الطاهر قيل هم بزجرها ووعظها وقيل بضربها ودفعها (لولا أن رأى برهان ربه) لنفذ ماأراد من ضربها والبرهان الذى رآه هو خشيته من السوء المترتب على ضربها من ظهور الحادثة وهو يريد منهما مع التستر عليها لأن الأنبياء مأمورون أن يدفعوا بالتى هى أحسن (كذلك) اريناه هذا البرهان (لنصرف عنه السوء) وهو ضربها (والفحشاء) وهو فعل ماطلبته انه من عبادنا المخلصين .

ويحتمل ان يكون الهم الصادر منه الميل الغريزى لا القصد الاختيارى وذلك مما لايدخل تحت التكليف بل من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الميل هو الخليق بالمدح كما هو معلوم ويكون البرهان ماأوتيه من العلم بما لله من العظمة والبطش بمن يخالف امره ويرتكب نهيه فكان هذا حاضرا بعين قلبه كأنه نصب عينيه مع كونه فى غاية الاستعداد لذلك لما آتاه الله من القوة

مع كونه فى سن الشباب

ويحتمل ان تكون الآية دالة على الا هم صدر منه اصلا وذلك انهم قالوا إن لولا حرف امتناع لوجود أى يمتنع وجود جوابها لوجود شرطها مثال ذلك لولا زيد لهلك عمرو فإن المعنى امتنع هلاك عمرو لوجود زيد فلم يكن هلاك أصلا وعلى هذا يكون المعنى وهم بها لولا أن رأى برهان ربه لهم بها لكنه رأى برهان ربه فلم يهم بها وهذا التركيب جار فى أساليب كلام العرب بمعنى أنه يجب أن يكون المقدر بعد كل شرط من معنى مادل عليه ماقبله ونظيره قول الله تعالى ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها أى لأبدت به بقى على هذا أن يقال لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لولا أن رأى برهان ربه فائدة فالجواب أن فيه اكبر فائدة لأنه بين أن ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته فى النساء وعدم قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل وقد جرى على ماذكرناه أولا كثير من المحققين فبهذا نعلم أن مايقال من الآراء اللازمة لنسبة المعصية الى ذلك الرسول الكريم خطأ واضح وجرم كبير وكيف هذا وكل من له تعلق بهذه الواقعة قد أعلن ببراءة يوسف عليه السلام والذين لهم تعلق بها امرأة العزيز وزوجها والنسوة والشهود وابليس وقد شهد ببراءته رب العالمين أيضا أما المرأة فقالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين وأما زوجها فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم الآية وأما النسوة فقلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء وأما الشهود فقال تعالى وشهد شاهد من أهلها الآية وأما ابليس فقد أقر بطهارته فإنه قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فأقر بأنه لايمكنه اغواء المخلصين

ويوسف من المخلصين لقوله تعالى إنه من عبادنا المخلصين وأما شهادة الله له فقوله سبحانه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فمن نسب اليه الهم ان كانوا من اتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته اللهم الا ان يقولوا كنا فى اول الأمر تلامذة لابليس الا انا زدنا وفجرنا عليه فى السفاهة كما قال الجزورى

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى
بى الأمر حتى صار ابليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أحسن بعده
طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

فثبت جليا ان يوسف برىء مما يقوله الجاهلون والله اعلم

٤ ــ تفسير قوله تعالى « ولقد عهدنا الى آدم من قبل » الآيات
وفيها بيان معصية آدم عليه السلام

قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم الآيات اخذ الله العهد على آدم عليه السلام بطريق الوحى ألا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا العهد وتركوا الايمان وهم الذين ذكرهم الله فى قوله لعلهم يتقون (فنسى) ذلك العهد واكل من الشجرة ولم نجد له عزما على المعصية وهذا النوع من النسيان موضوع عن المسلمين وليس بموضوع عن الانبياء لعظم قدرهم ويقرب منه قوله تعالى (يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فإن الكمل من عباد الله ليسوا كغيرهم واما قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فهى فى الصورة لاغير بدليل قوله تعالى فنسى ولم نجد له عــزما والناسى

لا يؤاخذ كما علمت وهبوطه الى الأرض وخروجه من الجنة انما كان للاصطفاء والاجتباء لأنه هبط الى الأرض للخلافة التي جعلها الله له في سابق مشيئته تصديقا لقوله تعالى إنى جاعل فى الأرض خليفه وليس فى القرآن مايدل على أن ذلك الاخراج كان على سبيل التنكيل والاستخفاف بل فيه أنه اخرج من الجنة عند اقدامه على هذا الفعل او لأجل اقدامه عليه وذلك لا يدل على الطرد والغضب وكيف والله تعالى انما خلق آدم ليكون خليفة فى الأرض كما فى قوله تعالى (انى جاعل فى الأرض خليفة) وهذا هو المقصود الأصلى من خلق آدم فكيف يقال بعد هذا ان هبوطه كان عقوبة وطردا زد على ذلك أنه لو كان عاصيا حقيقة كما ذكره بعضهم تمشيا مع ظاهر العصيان لوجب الحكم عليه بأنه كان مستحقا للنار لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم وبأنه كان ملعونا لقوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين ولما كانت له العصمة وذلك كله مما لا يقول به ذو فهم ودين بقى أن يقال إن كان الأمر كما ذكر من أنه أكل ناسيا فكيف يتفق مع قوله تعالى (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين) فإنه يدل على أنه ما نسى وأيضا لو كان ناسيا لما عوتب على ذلك الفعل فالجواب أنا لا نسلم أن آدم وحواء قبلا من ابليس ذلك الكلام ولا صدقاه فيه لأن آدم كان عالما بتمرد ابليس عن السجود وكونه مبغضا له وحاسدا له على ما آتاه الله من النعم فكيف يجوز من العاقل أن يقبل قول عدوه وليس فى الآية أنهما أقدما على ذلك الفعل عند ذلك الكلام أو بعده ويدل على أن آدم كان عالما بعداوته قوله تعالى (إن هذا عدو لك ولزوجك) الآية وأما العتاب فإنه جاء على ترك التحفظ من أسباب النسيان لما علمت أن

النسيان ليس بموضوع عن الانبياء لعلو مقامهم وجليل قدرهم وقد ارتضى هذا الرأى كثير من المحققين

وهناك رأى آخر وهو أنه عليه السلام أقدم على الاكل منها بسبب اجتهاد اخطأ فيه فإنه ظن أن الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بالاشارة الاشارة الى النوع لا إلى شجرة معينة نظير هذا مارواه ابوداود وغيره انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور امتى حل لإناثها فإن المراد نوع الحرير والذهب لاخصوص ماكان بيده الشريفة ولقائل ان يقول ان المجتهد اذا اخطأ لايؤاخذ فالجواب انه عوتب على ذلك تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده . بهذا قد اتضح لك معنى عصيان آدم وأنه كان صوريا لأنه نسى أو اجتهد كما توضح لك ومثل ذلك قوله تعالى ان لم تغفر لنا وترحمنا لأن الكمل يؤاخذون على مالايؤاخذ به غيرهم ولذا قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين على أن العصيان يأتى بمعنى مخالفة الأمر سواء كان واجبا أو مندوبا فإنك تقول امرته فعصانى اذا كان أمر تحتيم وأمرته بشرب الدواء فعصانى وإذا كان كذلك لم يمتنع اطلاق اسم العصيان على آدم بل هو كما قال بعض العلماء إن من نفى عنه العصيان كفر ومن جمله كالعصيان فسق لمنافاته لما تقدم لك . وأما قوله تعالى (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فالمراد شقاء الدنيا فى طلب الرزق وغيره ولو أراد شقاء الآخرة مادخل الجنة بعد ذلك والله اعلم

٥ ـ تفسير قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا اذا تمنى » الآيات ـ وفيها قصة الغرانيق

ان هذه الآية الكريمة جاءت فى مقام التسلية له عليه الصلاة والسلام

لمخالفة بعض القوم له كما يدل على ذلك ما قبلها من الآيات التى أولها وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح الى الآية التى معنا (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى) اسلام قومه وهدايتهم (ألقى الشيطان فى) سبيل (أمنيته) لأجل أن يضلهم ويعطل عليه ماتمناه لهم (فينسخ الله مايلقى الشيطان) أى يزيل من قلوب المؤمنين مايلقى الشيطان من الوسوسة والضلال (ثم يحكم الله آياته) أى يحقق لنبيه أمنيته فى بعض قومه بإيمانهم واستقامتهم على الشرع (والله عليم) بأحوال خلقه المستحقين لنعمة الايمان (حكيم) فى حرمان الكافرين من تلك النعمة وقد جعل الله ذلك اختبارا للعباد ليميز الخبيث من الطيب ولذا قال تعالى (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم فهى تدبر عن الحق عنادا وظلما (وإن الظالمين) لأنفسهم بمتابعة الشيطان والهوى (لفى ضلال بعيد) عن الخير لحرمانهم من السعادة الأبدية (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه) أى القرآن (الحق) المنزل (من ربك فيؤمنوا به) اتباعا للحق (فتخبت له قلوبهم) تطمئن وذلك باتباعهم أوامره واجتنابهم مانهى عنه (وإن الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) موصل الى سعادة الدارين هذا هو الحق فى هذه الآية وأما مايقال إن تمنى بمعنى قرأ وان الرسول قرأ عليهم سورة النجم ومدح آلهتهم فيها فقال (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى (جمع غرنوق كفردوس وهى فى الأصل الذكور من طير الماء ويراد بها الأصنام شبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع) فسجد المسلمون والمشركون اعظاما لذلك وفرحا فردود ولا أصل له لانقلا ولاعقلا أما النقل فقد قال القاضى عياض فى الشفا

مما روى فى هذا لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم وأما العقل فغير جائز أن يمدح ويذم فى آن واحد بجمع من أصحابه وأعدائه لأنه قال بعد ذكر الأصنام ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ولو جاز ذلك لاتخذه الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام ولكن لم يسمع عن أحـــد منهم أنه قال مالك ذممت آلهتنا بعد أن مدحتها وأيضا لو جاز ذلك لكان القرآن الذى هو أساس ديننا محتملا لأن يكون من كلام الشيطان مما أجرى على لسان رسول الله ﷺ وحاشا أن أن يقول به عاقل . وقال الامام فخر الدين الرازى أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول .

أما القرآن فبوجوه أحدها قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ثانيا قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ثالثا قوله وما ينطق عن الهوى

واما السنه فنها ماروى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هى من وضع الزنادقة وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخارى فى صحيحه انه ﷺ قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والكفار والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق

واما المعقول فمن أوجه احدها ان من جوز على النبى ﷺ تعظيما للأوثان فقد كفر ثانيها لو كان الالقاء على الرسول ثم الإزالة عنه لكانت عصمته من اول الأمر اولى وهو الذى يجب اعتقاده فى كل شيء ثالثها وهو اقوى الأوجه انا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه ثم قال وقدعرفنا

ان هذه القصة موضوعة وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة وقال الخطيب وهذا هو الذى يطمئن اليه القلب وإن اطنب ابن حجر العسقلانى فى صحته . فهذا هو الحق فى هذه الآية الشريفة . بقى ان يقال أى داع حمل الصحابة الذين هاجروا الى الحبشة إلى العودة بعد ثلاثة أشهر من مقامهم هناك مع مبالغة النجاشى فى اكرامهم والاحتفاظ بهم إلا صحة حديث الغرانيق وأن الخلاف زال من بين النبى وقريش حتى تركوا ما كانوا يفعلونه من إذاية النبى وأصحابه فالجواب أنه لا صلة بين الغرانيق وبين عود مهاجرى الحبشة أصلا وإنما كان عودهم لما يأتى

قد علموا بإسلام عمر بن الخطاب بعد هجرتهم بقليل وعمر معلوم أمره من قبل فلما رأت قريش اسلامه وعلمت أن الأمر ربما يصل بهم الى حرب أهلية لا يعرف مداها كفوا عن الأذى حتى يدبروا خطة حكيمة لحسم ذلك الأمر ولقد اهتدوا الى خطة قرروها ورأوا أنها الناجعة الحاسمة تلك هى ما كتبوه فى الصحيفة التى علقوها فى جوف الكعبة وقرروا فيها ألا يناكحوا بنى هاشم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم كما أجمعوا فيما بينهم أن يقتلوا محمدا ان استطاعوا . هذا ما حمل قريشا على ترك الأذى وحمل مهاجرى الحبشة على الرجوع الى مكة حينما سمعوا بذلك

وهناك سبب آخر أيضا لرجوعهم وذلك أن الحبشة شبت بها ثورة على النجاشى ألقى اليه أن المسلمين لهم يد فى هذه الثورة مع أنهم كانوا يطلبون من الله نصرته والحقيقة أن ذلك محض وشاية بهم وما كانوا ليشاركوا فى هذه الثورة وهم أجانب ودينهم يأبى أن يقابلوا المعروف بالاساءة هذا وذلك مما دعا المهاجرين الى العودة لمكة ولكنهم ما لبثوا أن رأوا قريشا عادت بأضعاف

من الأذى فعادوا وعاد معهم عدد من أهل مكة لعلمهم بكرم النجاشي وأنه لم يلق بالا لما قيل فيهم لذا رأوا الرجوع الى الحبشة خيرا من مقامهم بمكة والله أعلم

٦ - تفسير قوله تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة » الآيات
وفيها قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش

قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) ماجاز ولاصح لمؤمن ولا مؤمنة (اذا قضى الله ورسوله أمرا) من الأمور كنكاح زينب بنت جحش سواء كان ذلك الأمر مما ترضاه نفوسهم أو مما تأباه فليس لهم أن يتلقوا الأوامر على التخيير بل الواجب أن تنشرح نفوسهم ويسلموا تسليما وذكر اسم الله للتعظيم واشارة الى أن قضاء الرسول هو قضاء الله لكونه ماينطق عن الهوى فليس للمؤمنين والمؤمنات (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الاختيار من أمرهم بل الواجب عليهم أخذ جميع الأوامر بالقبول (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) سبب هذه الآية أن النبي ﷺ خطب زينب بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب لمولاه زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبناه فتأفف اهلها من ذلك لعلو نسبها فإن العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم للموالي ويعتقدون الاكفاء لبناتهم سواهم فلما كرهت السيدة وأهلها زواجها لزيد أنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية فلما سمعوا بما نزل لم يروا بدا من القبول فلما تزوجها ودخل بها ترفعت عليه بما لم يتحمله زيد فشكا ذلك الى النبي ﷺ وقد كان أوحى الله الى نبيه أن زيدا سيطلقها ويتزوج بها رسول الله ﷺ لحكم ستعرفها إن شاء الله تعالى (واذ تقول) أيها الرسول الكريم (للذى أنعم الله عليه) بالنعم الكثيرة التى منها الايمان

واتباعه لك وهو زيد بن حارثة (وأنعمت عليه) بالعتق وتعليم الدين والتبنى له حينما اشتكى اليك من زوجه زينب وأنه يريد طلاقها لترفعها عليه تقول له (أمسك عليك زوجك) لاتفارقها (واتق الله) فى أمرها واصبر عليها قال له ذلك من باب الأمر بالمعروف ولكن الاولى من هذا أن يرخص له فى فراقها لأن الله أخبره أنها ستكون من أزواجه (وتخفى فى نفسك ماالله مبديه) مظهره فى عالم الشهادة وهو زواجك بها وهذا عتاب على خلاف الأولى وزواجها به هو الذى أظهره الله تعالى (وتخشى الناس) أن يقولوا إن النبى تزوج بامرأة من تبناه وكانت زوجة المتبنى عندهم كزوجة ولد الصلب فى التحريم فالرسول قدر حالهم وكلامهم حينما يتزوج بها فإبطال هذه العادة لم يكن أمرا هينا فلهذا أمر الله رسوله أن يقوم بذلك الأمر الشاق بنفسه ليكون قدوة لغيره فإنه إن لم يفعله هو لايستطيع أحد سواه أن يجرأ على ذلك فالعتاب إنما جاء على تقدير كلام الناس وخوضهم فى ذلك فقال (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) أن تراعى جانبه كما هو اللائق بمقامك الكريم فلا تلتفت الى الخلق ولا تخف ماأوحيناه اليك فى هذه المسألة حياء منهم أو خوفا عليهم فإنما جعلناه لحكم سامية وأسرار عالية (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة وطلقها (زوجناكها) ثم بين من حكمة ذلك بقوله (لكى لايكون على المؤمنين حرج) ضيق (فى أزواج أدعيائهم) الذين ليسوا بأبنائهم حقيقة (اذا قضوا منهن وطرا) غرضا وطلقوهن وانقضت عدتهن ولا يخفى مافى هذا من عناية الله لنبيه حيث بين له حكمة التشريع ليذهب عنه روع العتاب وكان من حكمة ذلك أيضا التوسعة على الأمة فإنه لايستنكف أحد حينئذ مهما كان عظيما أن يتزوج بمطلقة وإن كان زوجها بالنسبة له حقيرا وكان

من حكمته أيضا مكافأة السيدة زينب بجميل الجزاء لامتثالها أمر الله ورسوله في زواج زيد فكانت زوجة لسيد الخلق أجمعين وكان من حكمته أيضا حفظ شرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى الى غير ذلك من الحكم الباهرة التي لا يعلمها إلا الله تعالى (وكان امر الله مفعولا) حاصلا لامحالة وقد بين الله للأمة مايشفي صدورها من الظنون الباطلة ويخطر ببالها مما لايتفق مع مقدار ذلك الرسول الكريم فقال (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) ليس عليه لوم في فعل ماأباح الله له وامر له به كزواجه بزينب (سنة الله في الذين خلوا من قبل) في الأنبياء السابقين وهي نفي الحرج عنهم فيما احل لهم (وكان امر الله) الذي اراده (قدرا مقدورا) نافذا على وفق ارادته

بهذا يتضح بطلان مانسب الى رسول الله ﷺ من انه ذهب لزيارة زيد فرأى زينب فوقع حبها في قلبه وفي قلب زيد فراقها فقال للنبي اريد فراقها فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ويفسرون عتاب الله بقوله « وتخفي في نفسك ما الله مبديه» بأن الذي اخفاه حب زينب إلى آخر ماقالوا من الاقوال الشنيعة التي لادليل عليها من كتاب او سنة بل الآية تصرح بعكس ماذكروا فإنها تفيد كما علمت ان النبي ﷺ اكره على هذا الزواج ولو كان له رغبة فيه لسارع اليه ابتداء ولما قال لزيد امسك عليك زوجك وكيف يقال انه احبها ورغب في زواجها وهو الذي زوجها لزيد وقد زالت نضارتها وكيف يصح هذا ولو حدث مثله من اقل الناس لعيب عليه والعربي يتمدح بأنه يغض طرفه عن امرأة جاره بقوله

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

فكيف بمن اجتمعت كلمة العقلاء على انه احسن الناس خلقا وابعدهم

عن الدنايا واشدهم ذكاء وفراسة حتى مدحه الله بقوله وإنك لعلى خلق عظيم هذا هو الحق فى هذه الآية فاحرص عليه فإنه نفيس والله اعلم

٧ ـ تفسير قوله تعالى « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب » الآيات
وفيها قصة سيدنا داود عليه السلام

قال تعالى « وهل أتاك » يامحمد « نبأ » تحاكم « الخصم » والغرض من الاستفهام التشويق لما يذكر بعده والخصم مصدر يطلق على الواحد والجمع (إذ تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب قيل هو المسجد . نزل على داود ملكان لينبهاه على أكمل حالة فى الحكم بين الناس كما ستعرف . يؤيد أنهما ملكان قوله اذ تسوروا المحراب إذ يبعد كل البعد أن ينزل عليه شخصان من الآدميين من ذلك المكان وهو صاحب الحرس والخدم كما قال تعالى وشددنا ملكه وأيضا لايجرؤ على هذا الكلام أحد من الآدميين (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) لأنهم دخلوا عليه فى غير يوم القضاء لأنه كان يظهر للحكم أياما ويختلى للعبادة أياما وأيضا نزلوا عليه من فوق والحرس حوله فلما رأوا فزعه (قالوا لاتخف) نحن (خصمان بغى بعضنا على بعض) وجئناك نطلب الفصل عندك (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط لاتمل فى حكمك كما هى عادتك فى العدل (واهدنا الى سواء الصراط) وأرشدنا الى وسط طريق الحق بزجر الباغى عما سلكه من طريق الجور (إن هذا أخى) المراد أخوة الدين لاالنسب (له تسع وتسعون نعجة) هى الأنثى من الغنم (ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها) ملكنى اياها (وعزنى) شدد وألح على (فى الخطاب) ولا كذب فى قولهم لأنه من باب التعريض وقد جاء

لمصلحة . فأصدر داود عليه السلام حكمه ولم يسمع دعوى الآخر اكتفاء بسكوته وعدم معارضته ولكن الأولى أن يستفسره ويسمع دعواه فعاتبه الله على ذلك وهذا كالمتعين لأن القرآن لم يذكر دعوى الرجل الآخر بل أصدر داود حكمه وهو قوله (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) فنظر أحد الملكين الآخر نظر تعجب ففطن داود وذلك قوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) بهذه المسألة واختبرناه فى الحكم بين الناس (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) رجع الى الله بالتوبة وطلب المغفرة (فغفرنا له ذلك) الذنب وهو حكمه بدون سؤال الخصم الآخر وهو وإن لم يكن ذنبا ولكن بالنسبة لعلو مقامه سماه الله ذنبا لأن الكمل مطالبون بأن يلتزموا أكمل الحالات كما تقدم لك مستوفى فى قصة آدم عليه السلام وقد جرى على هذا كثير من العلماء

وهناك رأى آخر ذكره فخر الدين الرازى وقال فيه هو رأى أكثر أهل الحق قال ماممناه ان جماعة تسوروا قصر داود قاصدين قتله والاضرار بأهله فى وقت ظنوا أنه غافل فلما رآهم داود فزع منهم لما تقرر فى العرف أنه لا يتسور احد دار غيره بغير امره الا لسوء يريده فلما رأوا داود مستيقظا انتقض عليهم التدبير فاقترح بعضهم خصومة لا أصل لها زاعما أنهم قصدوه لأجلها دون ماتوهمه فقال خصمان الآيات فقال داود لقد ظلمك الآية لكنه لم يعمل على ظاهر الحال ولم ينتقم منهم بل صار مستغفرا لهم وطالبا من الله تعالى العفو عنهم وأيد أن الاستغفار لهم لاله لأن الآية لم تقل إنه اذنب ولا أنه استغفر لنفسه فإن المستغفر قد يستغفر لنفسه تارة ولغيره اخرى كما فى وصف الملائكة بأنهم يستغفرون للذين آمنوا وعلى هذا يكون

معنى (فغفرنا له ذلك) غفرنا لاجل حرمة داود وقبلنا شفاعته في التجاوز عنهم ثم قال فهذا الذى قلناه ما ينطبق عليه الكتاب العزيز فلا يحتاج فيه الى المجاز الى آخر ماقال

وذكرت أقوال اخرى فى الآية هذان احسنهما فقد علمت من هذا أن ماينسب إلى داود عليه السلام بأنه أحب امرأة أوريا أحد أصحابه وقدمه مرارا للحرب حتى قتل وتزوج بامرأته فهى أم سليمان وفسروا الآية على هذا النحو وأن النعاج هى النساء إلى آخر ماقالوا فهو باطل مردود وأصل مصدر هذه واشباهها الاسرائيليات التى رواها عامة اهل الكتاب القاطنين ببلاد الحجاز فهى خلاصة مفترياتهم واكاذيبهم

وقال الامام فخر الدين فى ابطالها حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا . وقال فى موضع آخر إن الله أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة مانقلوه من القصة وكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلام لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم ولذا قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء

وأما ماجاء من الالفاظ الدالة على حصول الذنب منه فى الآية وهو قوله تعالى « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك » فليس فى شىء منها دلالة على ذلك فقد تقدم لك مرارا أن مقام النبوة

أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف وأسناها فإن ماذكر هو الظاهر من الآية والمتعين لعصمة ذلك الرسول الكريم وسياق ماقبلها وما بعدها يعين هذا وفى هذا كفاية لمن تأمل وتبصر والله اعلم

٨ ـ تفسير قوله تعالى « ووهبنا لداود سليمان » الآيات

قال تعالى « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب » رجاع الى الله تعالى فى كل أحواله « إذ عرض عليه بالعشى » هو ما بعد الظهر « الصافنات » الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت الرابعة على طرف الحافر « الجياد » السراع جمع جواد لأنه يجود بالركض . وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية فإذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة واذا جرت كانت على جانب من السرعة وقيل الجياد الطوال الأعناق من الجيد وهو طول العنق وهو كناية عن طولها « فقال انى احببت حب الخير » أى المال والمراد به هنا الخيل « عن ذكر ربى» اى عن حب ربى لها فلم احبها لذاتها وانما أحببتها لأن الله مدحها وأحبها لأنها وصلة الى حرب الأعداء ونصر دينه . ثم أمر عليه السلام بإجرائها « حتى توارت بالحجاب » غابت عن بصره فلما غابت رق شغف بها لأنها محبوبة لله تعالى قال « ردوها على فطفق » شرع بعد أن حضرت « مسحا بالسوق والأعناق » يمسح سوقها واعناقها بيده ليتبين له صلاحها للغزو وليخرج منها ما به عيب فإنه كان خبيرا بذلك . ويحتمل أن يكون كما قال بعضهم أمر بمسح سوقها وأعناقها والمسح بمعنى الوسم أى أمر بوسمها فى سوقها وأعناقها لتعرف أنها خيل محبوسة فى سبيل الله لتتميز عن باقى خيله فيكون قد وهبها للغزو بعد أن كانت ملكا له

بهذا تعلم ان مايقال ان سليمان فاتته صلاة العصر واشتغل بعرض الخيل

عنها فشرع فى تقطيع سوقها وأعناقها لأنها شغلته عن الصلاة ويفسرون حتى توارت أى الشمس فما لاأصل له ولا دليل عليه وكيف يليق برسول كريم اتلاف هذا المال واتلافه حرام فى كل الشرائع وأى ذنب للخيل حتى ينزل بها ما فعل وأى دليل يدل على أن الضمير فى توارت للشمس وممن ذهب إلى هذا الإمام فخر الدين فإنه قال بعد كلام بل التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما أنه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنى لاأحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور. الأول تشريفا لها لكونها من أعظم الأعوان فى دفع العدو والثانى أنه أراد أن يظهر أنه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى أنه يباشر الأمور بنفسه والثالث أنه كان اعلم بأحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولايلزمنا شىء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة الى آخر ماقال . ولقد ابطل رجوع الضمير فى توارت وردوها الى الشمس وفرض احتمالات اربعة

الأول أن يرجع الضمير فيها الى الصافنات كأنه قال حتى توارت الصافنات بالحجاب ردوا الصافنات الى . الثانى ان يعود الى الشمس كأنه قال

حتى توارت الشمس بالحجاب ردوا الشمس قيل إنه اشتغل بالخيل حتى فاتته صلاة العصر فسأل الله أن يرد الشمس وهذا بعيد لأن قوله ردوها خطاب للجمع والأنبياء لايخاطبون الله بمثل هذا الثالث أن يعود الأول إلى الشمس والثانى الى الصافنات وهذا أبعد مما قبله لأنهما ضميران وردا فى موضع واحد فتفريقهما لابالدليل غير جائز. الرابع أن يعود الأول الى الصافنات والثانى الى الشمس وهذا مما لم يذهب اليه أحد. كما أبطل ماقيل إن المسح فيها بمعنى أنه قطع سوقها وأعناقها بالسيف. فقال لو كان المسح بالسوق والأعناق هو القطع لكان القائل اذا قال مسحت رأس فلان ويده فهم منه أنه قطعها ولكان معنى فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم القطع بل لو قيل مسح رأسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق وأما اذا لم يذكر السيف فإنه لايفهم منه الضرب والقطع البتة مع أن قوله مسح عنقه بالسيف لايفيد القطع إلا على سبيل المجاز فكيف إذا ترك ذكر السيف ثم قال وقد ظهر والحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهورا لايرتاب عاقل فيه

٩ - (بيان فتنة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا الآيات ذكر جماعة من المولعين بالأخبار أشياء فى فتنة سيدنا سليمان عليه السلام تتضمن تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه مما تمجه الأسماع ولا يتفق مع الذوق السليم وقد عصم الله الأنبياء من مثل هذا

والذى ذهب اليه المحققون أن سبب فتنته ماأخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى

فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق ولد وايم الله الذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وفى رواية لأطوفن بمائة امرأة فقال له الملك ان شاء الله فلم يقل ونسى فهذه فتنة سليمان عليه السلام وهذا هو الحق فيها (وألقينا على كرسيه جسدا) هو الشق الذى أتت به امرأته وضعته القابلة على كرسيه ليراه (ثم أناب) رجع الى ربه فتضرع اليه أن يتجاوز عنه فيما صدر منه من نسيانه قول ان شاء الله فهو ذنب بالنسبة له كما تقدم مرارا (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب) وانما طلب هذا الملك ليكون معجزة له وخصوصية فإن معجزة كل نبي يجب أن تليق بأحوال أهل زمانه ولما كانت منافسة أهل زمانه بالمال والجاه طلب مملكة فائقة على كل الممالك لتكون معجزة له كما خص بعض الأنبياء بأشياء تتناسب مع أزمانهم فقد جاء فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع صلاتى فأمكننى الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى فرددته خاسئا هذا أحسن ماقيل فى فتنة سيدنا سليمان عليه السلام وأما مايروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الأوثان فى بيت سليمان فمن أباطيل اليهود وقد ظهر ذلك والحمد لله والله أعلم

١٠ — تفسير قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » الآيات

اعلم أن النبى ﷺ مرسل الى الناس كافة وحريص على ايمان الأمة كما

فى الآيات الكثيرة التى نزلت تسلية له ألا يحزن على كفر من كفر فاجتمع
عنده ذات يوم جماعة من رؤساء قريش واعرائهم وكان عليه الصلاة والسلام
يذكرهم ويدعوهم الى الاسلام رجاء هدايتهم وأن يسلم باسلامهم خلق كثير
فبينما هو كذلك مع القوم اذ جاءه عمرو بن قيس بن أم مكتوم وكان أعمى
فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لايعلم بتشاغل النبى
بالقوم فكره ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه لأن الامر الذى
يريده ابن أم مكتوم ميسور فى وقت آخر ولكن تذكير القوم ربما لايتيسر
بعد ويترتب على ايمانهم فائدة كبيرة ونصر للدين فرأى عليه الصلاة والسلام
أن اشتغاله بالقوم أهم ولكن لما كان فى علم الله ألا يؤمنوا وان التذكير
لاينفعهم وانه عليه الصلاة والسلام كان عليه ألا يهتم بهم هذا الاهتمام ويترك
الاعمى لانه فعل ماوجب عليه ان عليك الا البلاغ عاتبه ربه على ترك الاولى
فقال (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) وضمير عبس يعود الى النبى ﷺ
(وما يدريك) اى اى شىء يجعلك داريا بحال الاعمى (لعله يزكى) يتطهر
من دنس الجهل بما يسمع منك من العلم (او يذكر) يتعظ (فتنفعه الذكرى)
المعنى كان الاولى لك ان تلتفت الى من ترجى تزكيته وانتفاعه لتحليه بالايمان
(اما من استغنى) بالمال والجاه (فأنت له تصدى) تتعرض وتهتم بشأنه
ليؤمن ويؤيد به الدين « وما عليك ألا يزكى » وليس عليك بأس فى ألا
يزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم « واما
من جاءك يسعى » مسرعا راغبا فيما عندك « وهو يخشى الله » ويخافه « فأنت
عنه تلهى » تتشاغل « كلا » اى لا تعد الى مثل هذا فكان ﷺ اذا راى ابن
ام مكتوم يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى

والذى حملنى على تفسيرها مارأيته من احـــد العلماء ذكر تفسيرا لها لاتتحمله ألفاظها يريد بهذا أن يبرىء النبى ﷺ من اعراضه بأن جعل عبس وتولى من كلام الكفار وقدر قبلها يقولون عبس وتولى وسلك طريقا بعيدا عن ألفاظ القرآن ولكن لاغضاضة على رسول الله ﷺ فى هذا فإنه تارك الأفضل للقصد الذى علمته والله اعلم

١١ - تفسير قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد »

ذكر الله سبحانه فى هذه الآية ثلاث فرق من الكفار المتقدمين الطغاة الجبارين وهى عاد وثمود وفرعون وقومه على سبيل الاجمال وقد فصلت فى سور أخرى والمقصود من ذكر الله تعالى حكايتهم زجر الكفار عن الاقامة على ماأقاموا عليه من الكفر وكان سبب هلاكهم ودمارهم وتقوية عزم المؤمنين على الثبات على الإيمان وتسلية رسول الله ﷺ عما يصيبه من أذى قومه قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم) الخطاب فى الظاهر للنبى ﷺ لكنه عام الكل من علم ذلك فالمراد بالرؤية العلم لأن ذلك لم يره الرسول أو غيره ممن كان فى عصره بل كانت أخبارهم منقولة بالتواتر أما عاد وثمود فقد كانا فى بلاد العرب وأما فرعون فقد كانوا يسمعونه من أهل الكتاب وبلاد فرعون أيضا متصلة بأرض العرب وخبر التواتر يفيد العلم الضرورى والعلم الضرورى جار مجرى الرؤية فى القوة والبعد عن الشبهة فلذا قال سبحانه ألم تر بمعنى ألم تعلم . اما عاد ارم فهو اسم للقبيلة التى أرسل الله تعالى لهم هودا عليه الصلاة والسلام سموا باسم جدهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام

ابن نوح عليه السلام فعلى هذا يكون إرم عطف بيان لعاد وكما يقال لهم عاد إرم يقال لهم عاد أو عاد الأولى وأما عاد الآخرى فهى غيرهم ويقال لهم ثمود وقد أرسل الله لهم نبيه صالحا عليه السلام (ذات العماد) ذات الطول فهو كناية عن طول أجسامهم على تشبيه قدودهم بالأعمدة والعرب يقولون فلان طويل العماد يريدون بذلك أنه طويل القامة (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) لم يخلق الله مثل عاد فى البلاد فى عظم الجثة وشدة القوة ولذا قالوا من أشد منا قوة ولو كان هناك من يضارعهم فى القوة لذكرهم الله تعالى ورد عليهم ولكنه بين سبحانه وتعالى أنه هو الأشد منهم قوة

وهناك رأى آخر وهو أن عاد إرم اسم لبلدتهم فيكون التقدير على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) أهل ارم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كما فى واسأل القرية أى أهل القرية ويقوى هذا الرأى قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة (ذات العماد) أى ذات أبنية مرفوعة على العمد وكانوا يعالجون الأعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور قال تعالى فى وصفهم أتبنون بكل ريع آية أى علامة وبناء رفيعا (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) فى احكام بنائها واتقان صنعتها وقد كانوا يظنون أنهم يتحصنون بها من الموت ولكنها لم تغن عنهم من الموت شيئا هذا هو الحق فى تفسير هذه الآية الكريمة وأما ماذكره بعض المفسرين فى هذه الآية ان ارم ذات العماد مدينة بناها شداد بن عاد حينما سمع بوصف الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والأنهار ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من

السماء فهلكوا ويذكرون أن عبد الله بن قلابة الأنصارى خرج فى طلب إبل له فوقع عليها وحمل ماقدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاويه فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر أشقر قصير على حاجبه خال يخرج فى طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل . . فكذب واضح وخرافة يتجافى عنها كتاب رب العالمين وقد ذكر كثير من العلماء المحققين أنها قصة باطلة كما ذكرها غيرهم وأشار اليها بصيغة التمريض ولكن الحق ماعلمته من بطلانها فلقد ذكر القرآن الكريم عن هلاك عاد أن الله أرسل الريح العاتية فسخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما حتى اقتلعت رءوسهم من أجسامهم وكانوا كما قال الله تعالى فيهم فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية كما اخبر سبحانه وتعالى عن ريحهم بأنها تدمر كل شىء بأمر ربها فلم يبق الا مافيه عظة من آثار الهلاك والتدمير كما قال تعالى عن السابقين الهالكين (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد

فكيف بعد هذا يتصور عاقل بقاء هذه المدينة بحسنها وجمالها كما يقولون وهى جديرة بأن تدمر أولا لأنها مكان ذلك الجبار العاتى الذى جعله الله تعالى مع الجبابرة عبرة للمعتبرين والله اعلم

١٢ - بيان معنى الوزر فى قوله تعالى

« ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك »

قال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك) أى قر بأنا فعلنا ذلك فهو استفهام تقرير ومعنى الشرح التوسعة فيكون المعنى ألم نفتح لك

قلبك ونوسعه بالإيمان والنبوة والعلوم والمعارف والاسرار ما أفضناه عليك (ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك) حططنا عنك وزرك والمراد بالوزر الحمل الثقيل والمعنى خففنا عنك ثقل الرسالة التى ما كنت تتحملها فإنها أمر شاق لولا أننا أقدرناك على ذلك . يدل على أن الوزر هو الحمل الثقيل قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) أى أثقالها وخير مافسرته بالوارد والسوره وان كانت مكية ولكن لما وعده الله بذلك فى مكه قوى قلبه وزالت كربته . أو هو كناية عن عصمة النبى ﷺ من الذنوب فمعنى وضعنا عنك وزرك عصمناك من الأوزار التى من شأنها أن تقصم الظهور فلم يصدر منك ذنب لاقبل النبوة ولا بعدها وقد ذكر هذا الوجه أبو حيان وهو امام من أئمة اللغة . ويحتمل أن يكون المراد من الوزر الذى وضعه الله عنه ما كان يجده ﷺ من الصعوبات التى كان يضعها المشركون فى سبيل الدعوة وهذا الأمر كان حملا ثقيلا على عاتق النبى ﷺ فقد كان يحزنه كثيرا حتى قال له ربه فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وحاشا أن يفسر الوزر بالذنب فإنه معصوم من الذنوب وهو سيد الأولين والآخرين فلم يعرف له ذنب لاقبل النبوة ولا بعدها لاصغير ولا كبير بل كان المثل الأعلى فى الكمالات والانسان الذى جمع ماتفرق فى الأنبياء قبله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وأما قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيحتمل ان يكون هو الفترات واللحظات التى كانت تمر عليه بلا ذكر لله تعالى ذكر هذا الامام النووى ناقلا له عن القاضى عياض عند ذكر الحديث وهو مارواه مسلم من

حديث الأغر المزنى عن رسول الله ﷺ قال انه ليغان على قلبى وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة فقد نقل النووى عن القاضى أن المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذى كان شأنه ﷺ الدوام عليه فإذا فتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وذكر وجوها غير ذلك وهذا أحسنها.

ومن نوع هذا التأويل ماقاله أبو سهل محمد بن سليمان الشافعى كما ذكره البيهقى عن شيخه الحاكم صاحب المستدرك قال قوله ليغان على قلبى له تأويلات أحدها يختص به أهل الإشارة وهو حملهم اياه على غشية السكرة التى هى الصحو فى الحقيقة ومعنى الاستغفار عقبها على التحسر للكشف عنها. وأهل الظاهر يحملونها على الخطرات العارضة للقلب والطلبات الواردة عليه الشاغلة له بهذه الغشية الملابسة وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلى سمعت هذا الحديث فأشكل على معناه فرأيت النبى ﷺ وهو يقول لى يامبارك ذاك غين أنوار لاغين أغيار ذكره السيوطى فى تأييد الحقيقة العلية

وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر فإنها لاتدل على وقوع ذنب بل الغرض بيان رفعة قدره ﷺ وأن الذنوب على فرض وقوعها منه فإنها لاتؤثر عليه ولا تبعده عن الله تعالى تلمس هذا من قوله تعالى (وما تأخر) فإن المتأخر لم يقع حتى يغفر . وذلك منتهى القرب والرضى من الله عز وجل وذلك كما يقول الأمير لأحد رعاياه المخلصين إن ذنوبك مغفورة وهو لم يكن قد وقع منه ذنب مطلقا هذا هو المتعين فى هذه الآيات وأمثالها وأما مايذكر من أن الذنب بالمعنى المتعارف فيبطله عصمة الأنبياء المتفق عليها وعدم وقوع ذنب منه ﷺ ولو كانت لذكره أعداؤه بدل أن يقولوا باطلا إنه ساحر شاعر وهكذا بل كانوا فيما بينهم يعترفون

له بالأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة فقد جاء أن رجلا قال لأبي جهل ياأبا الحكم ليس هاهنا أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا خبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال والله ماكذب محمد قط والفضل ماشهدت به الأعداء

هذا هو الحق ان شاء الله تعالى والله أعلم

١٣ - (تفسير سورة الفلق والكلام على حديث السحر)

قال تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق » الفلق الصبح وهو قول الأكثرين ورواية عن ابن عباس والمعنى قل يامحمد أتحصن برب الصبح وإنما خصه بالذكر لأن القادر على دفع هذه الظلمة عن العالم قادر على أن يدفع عن المستعيذ مايخافه ويخشاه وقيل خصه بالذكر لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه هموم المهمومين ونجاب فيه دعوات السائلين وقيل غير ذلك « ومن شر غاسق اذا وقب » الغاسق هو القمر يؤيده مارواه الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان رسول الله ﷺ نظر الى القمر فقال ياعائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب . ومعنى وقب غاب لأن بغيابه يكثر الشر فتنتشر الشياطين ويتمكن الآدمي من عدوه فيصول عليه فيأخذ ماله أو يهتك عرضه أو يريق دمه فإن المستعيذ يستعيذ بالله من كل شر يقع في ليل أو نهار (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حتى يرقين عليها وجمع للمؤنث لأن المراد النفوس أو الجماعات السواحر والنفث هو النفخ الخفيف بلا ريق (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه والحسد

هو تمنى زوال نعمة الغير وهو من الكبائر كما أن السحر كذلك كما جاء في الأحاديث الصحيحة الكثيرة

مما تقدم من السورة وما جاء من الأحاديث تعلم أن السحر له أصل وحقيقة وأن الحسد كذلك ومن الناس من أنكر السحر وحديثه والحسد وهذا هو الذى حملنى على تفسير هذه السورة الشريفة . لذا أذكر ماقاله المحققون من العلماء فأقول روى البخارى ومسلم عن عائشة أن النبى ﷺ سحر حتى كان يخيل اليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه وفى رواية للبخارى أنه كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن

قال القاضى عياض فى الشفاء بعد ذكر الحديثين وكلام فاعلم وفقنى الله واياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها الى التشكيك فى الشرع وقد نزه الله الشرع والنبى عما يدخل فى أمره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لاينكر ولا يقدح فى نبوته وأما ماورد أنه كان يخيل اليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس فى هذا مايدخل عليه داخلة فى شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح فى صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا . وانما هذا فيما يجوز طروه عليه فى أمر دنياه التى لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة الآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل اليه من أمورها مالا حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه أنه يأتى أهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان هذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت فى خبر منها أنه نقل عنه فى ذلك قول بخلاف ماكان أخبر أنه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر

وتخييلات . وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة على هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع إلى آخر ما قال في هذا الموضوع فجزاه الله عن النبي ﷺ خير الجزاء

وأما الحسد فقد علمت أنه ثابت بالآيات والأحاديث الكثيرة فمنها آيتنا هذه ومنها لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ومنها ما رواه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال (العين حق) وزاد مسلم ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وثبت في البخاري وغيره أنه عليه الصلاة والسلام كان يعوذ الحسن والحسين بهؤلاء الكلمات أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه ويقول كان ابراهيم يعوذ بهن ابنيه اسماعيل واسحق فقد علمت أن الحسد حق وثابت ولا عبرة بانكار المنكرين فإنهم لم يعبأوا بمصادمة هذه النصوص الصحيحة الصريحة لأنهم لم يفهموا أي اتصال بين الحاسد والمحسود حتى يضره ونقول لهم أي مانع يمنع من أن يكون في الناس ذو طبيعة في نفسه ذات سم فإذا نظر شيئا بعينه وأعجبه وتوجه بنفسه اليه انفصل من عينه في الهواء مادة إذا وصلت الى المرئي ضرت به وأي مانع يمنع من انفصال مادة من العين عند الانفعالات النفسية كما تنفصل منها الدموع عند ذلك وقد قال بعض المتكلمين على خواص الحيوانات إن من الأفاعي ما ينظر الى الانسان فيموت بنظره وما يصوت فيموت السامع بصوته واذا صح هذا فليس ما معنى بأغرب منه خصوصا وقد أثبته الشرع الشريف

وهاهى الاختراعات الحديثة لم تدع للشاك فى ذلك مجالا فها هو المذياع نسمعه من أقصى البلاد وأبعدها ولم يكن هنـــاك اتصال مرئى ومثل ذلك الطائرة تتلقى الأخبار والأوامر من غواصــــة فى قاع البحر وأمثال ذلك فى عصرنا كثير . وفى هذا كفاية لمن يريد التبصرة فى الأمر وأما المجادل فلا تنفعه الأدلة الكثيرة وليس غرضنا فى هذا الكتاب الرد على المنكرين بل الغرض احقاق الحق لذاته والله أعلم

الاستواء على العرش

ان الله سبحانه وتعالى ذكر فى القرآن الكريم استوى على العرش فى ستة مواضع . الاول فى سورة الأعراف « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » . الثانى فى سورة يونس (إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) . الثالث فى سورة طه (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلا الرحمن على العرش استوى) . الرابع فى سورة الفرقان (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن) الخامس فى سورة السجدة (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) . السادس فى سورة الحديد (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) وهى من الآيات المتشابهات وقد اجمع سلف الامة وخلفها على تأويل المتشابهات غير أن السلف يؤولون تأويلا اجماليا فيصرفون النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى والخلف يعينون المراد من ذلك النص لان القاعدة إذا وجد دليلان احدهما

عقلي والآخر نقلي وتعارضا يرد النقلي الى العقلي لأن الدليل العقلي دلالته قطعية لأنه لايحتمل خلاف مدلوله بخلاف النقلي فإنه يحتمل المراد ويحتمل غيره كما هو شأن الألفاظ . اذا علمت هذا فاعلم أن من فهم من النص ظاهره الذي يتعارض مع العقلي ولم يرده كما ذكرنا فقد أساء وأخطأ سواء السبيل فمن ذلك ماقيل في الاستواء على العرش معناه الجلوس والاستقرار كما تجد ذلك منصوصا عليه في كلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم فلقد جاء في حادي الأرواح لابن القيم في الباب الثامن مانصه : وأما العرش فلا يبيد ولا يهلك لأنه سقف الجنة والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد . وقال بعده بقليل وان الله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه . وقال بعده بقليل وهو على العرش فوق السماء السابعة الى غير ذلك من الألفاظ التي تمجها أفواه المؤمنين وتمقتها قلوب الموحدين . وللشريف المقدسي في كتابه حل الرموز قصيدة طويلة في التنزيه منها

من ظن جهلا بأن العرش يحمله	قد افترى واجترى ظلما وعدوانا
العرش والفرش والكرسي صنعته	وقد براهن احكاما واتقانا
العرش يطلب من قد عز مطلبه	ولم يزل في طلاب الله ولهانا

إلى أن قال

هذا اعتقادي فإن قصرت في عمل	فأسأل الله توفيقا وغفرانا

وما تقدم عن ابن القيم وغيره دعاني أن أذكر كلمة في الاستواء لعل الله أن ينفع بها أحد رجلين رجل اغتر بكلامهم فيرجع الى الصواب وآخر على الحق ثابتا فيزداد ايمانا على ايمان ويشكر الله على نعمة التوفيق فأقول

الاستواء فى لغة العرب يأتى لجملة معانى منهـا الاستمام كما قال تعالى ولما بلغ أشده واستوى أى استتم شبابه ومنهـا القصد الى الشيء كما فى قـوله تعالى ثم استوى الى السماء أى قصد خلقها ومنها الاستقرار كقوله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك أى استقررت ومنها الاعتدال كما جاء عن العربى أنه قال استوى ظالم العشيرة والمظلوم أى اعتـدل ومنها الاستيلاء كـقول العربى قد استوى بشر على العراق ومنها غير ذلك

فإذا علمت مافى الاستواء لغة فاعلم أن ماورد فى القرآن من قوله تعـالى استوى على العرش لأهل السنة فيه المذهبان المتقـدمان مذهب السلف وهو تفويض المعنى المراد لله تعالى مع القطع بأن الظاهر للعوام من الاستقـرار ونحوه غير مراد . ومذهب الخلف وهو تعيـين المعنى المراد مما يحتمله اللفظ بمقتضى اللغة العربية التى نزل بها القرآن منْ غير قطع بتعيين هـذا المعنى إذا تعددت المعانى اللائقة بالجناب الأقدس تعالى وقدذكر المؤولون فى هذه الآيات تأويلات كـثيرة تتفق مع الدليل العقلى نذكر منها مايأتى

الأول : وهو من أحسن التأويلات وهو ماذكره أبو طاهر القـزوينى قال: اعلم أن الله تعالى خلقنامن الأرض فى الارض وخلق فوقنا الهواءوخلق من فوق الهواء السموات السبع طبقا فوق طبق وخلق فوق السموات الـكرسى وخلق فوق الـكرسى العرش العظيم الذى هو اعظم المخلوقات ولم يبلغنـا فى كـتاب ولا فى سنة أن الله خلق فوق العـرش شيئا وما جاء من ذكر السرادقات والشرافات والأنوارعلى تقدير صحته هو من جملة العرش وتوابعه فمعنى قوله جل جلاله على العرش استوى استتم خلقه بالعرش فلم يخلق خارج العرش شيئا وجميع ماخلق ويخلق دنيا وأخرى لايخرج عن دائرة العرش لأنه

حاو لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزن فى مقدوراته ذرة فأنى يكون مستقرا وأولى مايفسر القرآن بالقرآن قال تعالى فلما بلغ أشده واستوى أى استتم شبابه وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) أى استتم ذلك الزرع وقوى فعلى هذا التقدير يكون فاعل استوى ضميرا عائدا على المصدر المفهوم من لفظ خلق وعلى بمعنى الباء فى قوله على العرش استوى فيكون المعنى استتم واستكمل الخلق بالعرش فلم يخلق شيئا فوق العرش وبرجوع الضمير لمصدر خلق يندفع كل اشكال ورجوع الضمير للمصدر المفهوم من الفعل السابق شائع فى كلام العرب وارد فى كتاب الله تعالى وفى أشعار العرب قال تعالى على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى هو أى العدل المفهوم من اعدلوا وإتيان على بمعنى الباء وارد فى كتاب الله تعالى قال تعالى حقيق على ألا أقول على الله الا الحق فقوله على هنا أى بى وقد قرىء فى بعض القراءات حقيق بى قال أبو طاهر إيضاح ذلك هو أن الله تعالى ماذكر الاستواء على العرش فى جميع القرآن إلا بعد ذكر خلق السموات والأرض وذلك فى ستة مواضع وبعد أن ذكرها قال والمعنى فى هذه الآيات كلها سائغ على ماذكر من كون ضمير استوى راجع إلى الخلق المفهوم من الفعل السابق وعلى بمعنى الباء إلا ماجاء فى سورة طه من قوله الرحمن على العرش استوى وفى سورة الفرقان على العرش الرحمن والجواب عن ذلك أن مافى سورة طه الرحمن تفسير وايضاح لقوله بمن فهو خبر مبتدأ محذوف أى هذا الخالق هو الرحمن ثم قال على العرش استوى أى استتم خلقه بالعرش كما قررنا ووقع استوى فى آخر الآية لأن مقاطع هذه السورة على الالف المقصورة وأما مافى سورة الفرقان فهو من باب السبك على حد الذى جاء

زيد فالذي في الآية مبتدأ وخبره الرحمن وقوله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام صلة الذي وقوله ثم استوى على العرش اعتراض في الكلام ومعناه قررناه أي استتم واستكمل خلقه بالعرش . انتهى هذا التأويل الحسن وهو سائغ عربية ونحوية مخرج من كل شبهة واردة في الآية وقد أشار الى ذلك التأويل في فتح الباري فقال وقيل معنى الاستواء التمام والفراغ من فعل الشيء ومنه قوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى الى آخر ماقال . ولا يرد على هذا أن العرش من أول المخلوقات لأنه قال فيما يتعلق بالعرش لا نفس العرش فمعناه استوى أي كل الخلق منتهيا الى العرش إذ لاشيء فوقه كما مر

الثاني : استوى عليه بكل شيء فليس شيء أقرب اليه من شيء ذكره جعفر بن نصير

الثالث : مارواه البخاري عن مجاهد أنه قال استوى علا على العرش فعلو الله تعالى عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته أي ليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال أحد ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه فهو العلي بالإطلاق

الرابع : الاستواء بمعنى الاستيلاء بالقهر والغلبة أو بمعنى استواء التدبير كما يستوي الملك من البشر على مملكته

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

فلم يرد باستواء بشر استواء قعود على جميع العراق وانما أراد القهر والغلبة والتدبير وانما خص العرش بالذكر في معرض القهر والغلبة لأنه أعظم مخلوقات الله تعالى واذا كان مقهورا مغلوبا لله تعالى كان غيره من المخلوقات التي هي دونه عظمة أولى بذلك قال ابن بطال هذا التأويل المعتزلة وهو فاسد

لأنه تعالى لم يزل قاهرا غالبا مستوليا وقوله ثم استوى يقتضى افتتاح هذا الوصف بعد ان لم يكن وهذا منتف عن الله تعالى ويجاب عن ذلك بوجوه منها ماقاله فى فتح البارى : ان الانفصال عن ذلك بالتمسك بقوله تعالى وكان الله عليما حكيما فإن أهل العلم بالتفسير قالوا معناه لم يزل كذلك وكذلك هنا فمعناه لم يزل قاهرا غالبا ومنها أن من أسمائه تعالى القهار والقاهر قال تعالى وهو القاهر فوق عباده وقال الواحد القهار والقهار من أوزان المبالغة ولم يلزم من ذلك أن له تعالى مغالبا قد قهره فكذلك استواؤه بالقهر والغلبة لايلزم منه ذلك . قال بعض المحققين وهذا التأويل وإن كان للمعتزلة هو أحسن التأويلات عندى ويجب المصير اليه ولا علينا اذا وافقت المعتزلة الصواب فالمطلوب الحق مع أى كان

الخامس : ماذكره العلامة الأمير فى حاشية عبد السلام فإنه قال فى آخر حكم ابن عطاء الله (يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته كما صارت العوالم غيبا فى عرشه) قال : فكأنه يشير الى أن معنى الآية الرحمن استوى برحمانيته على عرشه بمعنى أن العرش وإن كان أكبر المخلوقات وكلها مغيبة فيه هو صغير بالنسبة لرحمة الله تعالى ومغيب فيها كما تغيب العوالم فيه قال تعالى (ورحمتى وسعت كل شيء) وهناك تأويلات أخرى اكتفينا بما ذكرناه روما للاختصار وما ذكر من التأويلات وإن كانت ترتاح لها النفوس وتنشرح لها الصدور ولكن رأى السلف وهو تفويض معنى الاستواء لله عز وجل أسلم وعلى هذا جاء التفويض عن كثير منهم فمن ذلك ماجاء عن مالك حينما سئل عن هذه الآية (الرحمن على العرش استوى) أطلق رأسه مليا ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان

به واجب والسؤال عنه بدعه وما أظنك إلا ضالا فأمر به فأخرج وسأل بعض المعتزلة بعض أهل السنة عن هذه الآية فأجابه بقوله اذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينيه فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين أو كيف وهو مقدس عن ذلك ثم جعل يقول

قل لمن يفهم عنى ماأقول ... قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... قصرت والله أعناق الفحول
أنت لاتعرف إياك ولا ... تدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفات ركبت ... فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها ... لا ولا تدرى متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم اذا ... غلب النوم فقل لى ياجهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجرى منك أو كيف تبول
فإذا كانت طواياك التى ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدرى من على العرش استوى ... لاتقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يرى ... فلعمرى ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لافوق له ... وهو فى كل النواحى لايزول
جل ذاتا وصفات وسما ... وتعالى قدره عما تقول

وأما مايقال من الآراء الباطلة والأقوال الفاسدة من أن الاستواء بمعنى الاستقرار فلا يلتفت اليها لأنها محض توهمات زعموها أدلة وليست بها كما بينه كثير من المحققين فمن أدلتهم الآيات التى معنا وقد عرفت أقوال العلماء فيها ومن أدلتهم قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب) والجواب أن صعود الكلم الطيب اليه كناية عن قبوله ورضاه به لأن الكلم عرض لايعقل صعوده ومنها قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) والجواب أن عروجهم الى مكان يتقرب اليه فيه . ومنها قوله تعالى (أأمنتم من فى السماء) والجواب من فى السماء أمره وسلطانه . ومنها قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) والجواب أنه فوق عباده بالقدرة والغلبة. ومنها حديث ان الله ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة والجواب أن نزوله محمول على نزول رحمته ورأفته أو نزول ملك بأمره تعالى وخص الليل بالذكر لأن رحمات الله تتزايد فيه . ومنها حديث الجارية التى قال لها النبى ﷺ أين الله فأشارت الى السماء فقال لها من أنا فقالت أنت رسول الله فقال لسيدها أعتقها فإنها مؤمنة قالوا ان أين يسأل بها عن المكان ولم ينكر عليها النبى ﷺ الاشارة الى السماء والجواب أنها تريد بهذه الاشارة خالق السماء فعرف أنها ليست ممن يعبد الأوثان لاسيما وقد جاء فى بعض الروايات بأنها خرساء . ومنها غير ذلك مما جاء عنهم تمشيا مع ظواهر النصوص وعدم ردها الى ماقضى به الدليل العقلى الذى لايحتمل خلاف مدلوله كما هو طريق العلماء وهذا ماأوقعهم فى الضلال وجعلهم يسيرون فى واد وأكثر الأمة فى واد آخر ولقد صدق من قال مبينا حالهم

قالوا الظواهر أصل لايجوز لنا عنها العدول الى رأى ولا نظر
بينوا عن الخلق لستم منهمو أبدا ماللأنام ومعلوف من البقر

والمشفق عليهم يعظهم بقول القائل

لايعرف الله إلا الله فاتئدوا والدين دينان إيمان واشراك
وللعقول حدود لاتجاوزها والعجز عن درك الإدراك ادراك

هذا ومن اراد تفصيل الكلام على المتشابهات من الأحاديث والآيات تفصيلا يشفى العليل ويروى صدى المتعطش الظمآن فعليه بما كتبه فخر الدين الرازى المسمى بأساس التقديس غير مافى كتابه التفسير الكبير من الكلام على ذلك عند ذكر الآيات المتشابهات وكذا ما كتبه الإمام الحافظ البيهقى فى كتابه المسمى بالأسماء والصفات ومن احسن المؤلفات فى هذا فرقان القرآن وكتاب البراهين الساطعة كلاهما تأليف عالم عصرنا ووحيد دهرنا خاتمة العلماء العاملين الداعين الى الله بالله الشيخ سلامه العزامى اطال الله حياته وجعله منارا للعلم واهله وكذا كتاب اتحاف الكائنات تأليف العلامة الكبير المرحوم الشيخ محمود خطاب وكذا كتاب استحالة المعية بالذات للمحدث الكبير المرحوم الشيخ محمد الخضر الشنقيطى

فهذه المؤلفات المذكورة تجد فيها الكلام مفصلا تفصيلا معتمدا على الأدلة الساطعة والبراهين المقنعة لمن أراد الله إنجاءه واسعاده كما أنك تجد فى كتاب البراهين الساطعة وفى اتحاف الكائنات عقيدة أهل السنة التى هى زبده علم التوحيد كما سبقهما الى ذلك الامام الغزالى فى الاحياء وقد أثبتها بنصها وصريح لفظها فى كتابى القول المفيد فى علم التوحيد وحق العقيدة المذكورة أن تسمى أيضا بعقيدة النجاة والسعادة والوصول للحسنى وزيادة وحبا فيما يزيدك حرصا على عقيدة أهل السنة أذكر لك ماقاله الامام السبكى فى الطبقات والزبيدى فى شرح الاحياء فى شأن العقيدة المذكورة فأقول : روى ابن عساكر

عن الإمام عامر بن نجا الساوى أنه رأى سنه خمسمائة وخمس وأربعين وهو بحرم مكة بين النوم واليقظة رسول الله ﷺ فى حلقة من الناس وأصحاب المذاهب يدخلون عليه واحدا واحدا يقرءون ويصححون عليه مذاهبهم واعتقادهم وفى يد كل واحد منهم كتاب مجلد فدخل عليه الشافعى ثم أبو حنيفه ثم بقية أصحاب المذاهب فسلموا عليه فرد عليهم ورحب بهم وكل من يقرأ يقعد بجانب الآخر فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفى يده كراريس غير مجلده فيها ذكر عقائدهم الباطلة وهم أن يدخل الحلقة ويقرأها على رسول الله ﷺ فخرج واحد ممن كان مع رسول الله ﷺ اليه وزجره وأخذ الكراريس من يده ورمى بها الى خارج الحلقة وطرده وأهانه قال الساوى فلما رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقى أحد يقرأ عليه شيئا تقدمت قليلا وكان فى يدى كتاب مجلد فناديت وقلت يارسول الله هذا الكتاب معتقدى ومعتقد أهل السنة لو أذنت لى حتى أقرأه عليك فقال رسول الله ﷺ وايش ذاك . قلت يارسول الله هو قواعد العقائد الذى صنفه الغزالى فأذن لى فى القراءة فقعدت وقرأتها الى قوله وأنه تعالى بعث النبى الأمى القرشى محمدا ﷺ برسالته الى كافة العرب والعجم والانس والجن فلما بلغت الى هذا رأيت البشاشة والبشرى فى وجهه ﷺ اذ انتهيت الى نعته وصفته فالتفت الى وقال أين الغزالى فإذا بالغزالى كأنه واقف على الحلقة بين يديه فقال هأنذا يارسول الله وتقدم وسلم على رسول الله ﷺ فرد عليه الجواب وناوله يده العزيزة والغزالى يقبلها يضع خده عليها تبركا به وبيده المباركة ثم قعد قال فما رأيت رسول الله ﷺ أكثر استبشارا بقراءة أحد مثل ما كان بقراءتى عليه قواعد العقائد ثم انتبهت انتهى باختصار

فإن قلت ماحكم من يقول بالاستواء على العرش

قلت ان كان يريد بذلك أنه سبحانه وتعالى جسم جالس على العرش مماس له فلا خلاف فى كفره وممن يقول بذلك اليهود والكرامية (فرقة تنتسب الى محمد بن كرام) وان اراد أنه سبحانه وتعالى فى جهة فوق وانه ليس كالأجسام فهذا ضال فاسق فى عقيدته والصحيح أنه لايحكم بكفره لما عنده من شبه الدليل مع اعتقاده التنزيه لأن تكفير أهل القبلة لايصار اليه إلا اذا لم يكن لهم دليل ولاشبهة فنعوذ بالله من الحور بعد الكور والضلال بعد الهدى (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)

فإن قلت أيضا ان القرآن منه المحكم ومنه المتشابه كما هو صريح (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) الآية فهلا نزل كله محكما لأنه نزل بإرشاد العباد وهدايتهم وذلك انما يكون بالمحكم لا بالمتشابه وجوابه من وجوه

منها اختبار عباده ليتميز المؤمن من المنافق فأما المؤمن فيثبت على الحق ويقف عند المتشابه ويرد علمه الى الله تعالى فيعظم ثوابه . وأما المنافق فيتزلزل ويرتاب فيه ويزيغ عن الحق فيستحق بذلك غضب الله وعقابه وهذا هو المشار اليه بالآية المذكورة

ومنها الزيادة فى الاعجاز عن الإتيان بمثله فإن المحكم وإن فهموا معناه إلا أنهم عجزوا عن الاتيان بلفظ مثل ألفاظه والمتشابه عجزوا عن فهم معناه كما عجزوا عن الاتيان بمثله

ومنها أن يشتغل أهل الفكر والنظر برد المتشابه الى المحكم فيتسع فكرهم ويهتموا بالبحث عن معانيه فيثابون على تعبهم ولو نزل كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولضعفت الفكر وخمدت الخواطر ولكن مع الغموض تتقد الفكرة ويجتهد فى اخراج المعانى

ومنها أن القرآن نزل بلغة العرب . وكلامهم فيه المجاز والكناية والتلميح وغيرها من المستحسنات البلاغية التى تكسو الكلام روعة وجلالا فأنزل الله القرآن على نحو كلامهم ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله لو أرادوا معارضته بأى ضرب شاءوا ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا ومنها غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى

هذا وإنى ابتهل الى الله القريب المجيب أن يظلنى فى ظل عرشه يوم لاظل الا ظله وأن ينفعنى بذلك الكتاب يوم لاينفع فيه الا فضله وكرمه وأن يحيى به ذكرى ويفسح به فى قبرى حينما ينقطع مقالى ويقول لسان حالى

أصبحت جارك فى الثرى ياسيدى   مسترهنا بجميع ما كسبت يدى
اخوانى الموتى وغايتى البلى   والقبر بيتى والجنادل موسدى

كما أسأله سبحانه أن يجعل فى الختام والمطلب من الفأل مايشرح صدرى ويقوى رجائى فإن العرش نهاية الجنة وسقفها والاستواء على العرش آخر مباحثى وختامها . ولم يبق بعد ذلك الا حسن الختام .

نصيحتى الى قراء القرآن الكريم

إن الله سبحانه وتعالى أنعم عليكم بنعمة هى أكبر النعم وأعلاها وأثمنها وأغلاها تلك هى نعمة حفظ كتاب الله الكريم التى بها الى الله تتقربون وبنورها من ظلمات الجهالة تخرجون فأنتم أسعد الناس فى الدنيا والآخرة حملكم أساس دينه وأدرج النبوة بين جنبيكم الا أنه لايوحى اليكم وشرفكم بالمعجزة الخالدة لرسوله مامضت الأيام وتطاولت السنون فبكم يتجدد الدين ويصل الى من بعدكم كتاب رب العالمين

وقد قدمت كتابى لتكونوا أول عامل به لأنكم أهل القرآن ولأن بحثه بغيتكم ومطلوبكم فهو موصلكم إن شاء الله الى الصراط المستقيم

وبما ان الله سبحانه وتعالى امر المؤمنين ان يكونوا متواصين متناصحين ولعيوب بعضهم مذكرين فإنى أذكر أمورا ربما يتساهل فيها كثير من القراء فتنحط درجتهم وتسقط منزلتهم عند الله ويحرمون من الثواب الذى أعده الله لعباده القارئين

فمنها اخراج القراءة عن القواعد التى قعدتها العلماء المسماة فى اصطلاحهم بعلم التجويد فإنهم ضبطوا قراءة رسول الله ﷺ وأصحابه وجعلوا لها هذه القواعد التى من سار عليها كانت قراءته مرجوة القبول وكان ممن يستحق رضوان الله وثوابه . ومن حاد عنها واتبع هواه فإنه ينطبق عليه الوعيد الشديد الذى جاء عن رسول الله ﷺ فيكون من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قال رسول الله ﷺ يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم

وعملكم مع أعمالهم يقرءون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية رواه البخارى ومسلم وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فإنه سيجىء بعدى قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لايجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الايمان وقال ﷺ يكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقه رواه أبو نعيم والحاكم

ومنها اخراج القراءة مخرج الغناء فلا يفرق السامع بين المغنى والقارىء فيخرج الصوت من الخيشوم والأنف ويتكلف فى أحرف القرآن تكلفا يفوق صنع المخنثين فيرفع صوته تارة ويخفضه أخرى ويرققه مرة ويفخمه أخرى ويحرك حاجبيه وأهداب عينيه ويهز أعطافه ويميل على خاصرته من الحركات المقوتة والأصوات المتكلفة يفعل هذا لايريد به إلا ادخال السرور على من سمعه ليعلو ذكره ويشتهر أمره ليصل الى العرض الفانى والمتعة القليلة الزائله فهو ممن هاجر لدنيا يصيبها فهجرته الى ماهاجر اليه قال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب)

ومنها قراءة القرآن بحضرة من يشرب الدخان فإن فى شربه منافاة لما أمرنا به من تعظيم شعائر الدين قال تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وقد بينا فى فصل شرب الدخان فى مجالس القرآن حرمته

ومنها قراءة القرآن لاللثواب والتقرب الى الله وانما الغرض الحصول

على الدرهم والدينار ولذا نراهم أولا على الأجـــر يتفقون واذا نقص عما يريدون يغضبون ولا يقبلون . فهم يجعلون القرآن تجارة مـن التجارات الدنيوية وقد جعله الله تعالى تجارة أخروية لن تبور

ومنها أن يلتقط الآى من كل سورة فيحذف ماشاء له هواه ويقرأ بما زينه له شيطانه وفى ذلك ابتداع فى الدين وتضييع لبلاغة وبهجة كلام رب العالمين فإن الآية الواحدة بما قبلها وبعدها ارتباطا يفوت بفوات موضعه بل الحرف الواحد بجانب الآخر لو غير عن مكانه لذهب رونق الكلام وحسنه فلقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه مر بأبى بكر وهو يخافت ومر بعمر وهو يجهر ومر ببلال وهو يقرأ من هـذه السورة ومن هـذه فقال لأبى بكر إنى مررت بك وأنت تخافت فقال إنى أسمع من أناجى قال ارفع شيئا وقال لعمر مررت بك وأنت تجهر قال أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان قال اخفض شيئا وقال لبلال مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة وهذه السورة فقال أخلط الطيب بالطيب فقال اقرأ السورة على وجهها أورده القرطبي فى التذكار . وإنما يفعل ذلك لأن حسن صوته انما يكون بما اختاره من الآيات أولأن الآيات التى يحذفها فيها وعيد وتخويف لايليق أن يسمعه للحاضرين وما درى أن آيات الوعيد ربما أثرت الخوف من الله فى قلوب الحاضرين فانتفعوا بها وعملوا بمقتضاها . وتارة يقرأ عند قدوم عظيم ادخلوها بسلام آمنين أوعند جلوس قوم للتعزية ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا . وتارة يمر بآية السجدة فيتركها ويغير نظم القراءة فيها منه أن مافعله هو الصواب لعدم التمكن من سجود التلاوة ولو علم لأتى بها وكان هو المطلوب للقراءة ولا شيء على الحاضرين فإن من الأئمة من يسقطها لعدم التمكن ومنهم من يوسع

فى أمرها بالقضاء عند التمكن ولكن جهلهم بالدين جعلهم يفعلون ذلك فالمطلوب القراءة على نظم القرآن جهرا وقراءته لها سرا بغير السماع على الحاضرين وأمثال ذلك مما ابتدعوه وأخرجوا به القرآن عما جاء به بفهمهم السقيم وأغراضهم الباطلة الفاسدة

فياخاصة عباد الله اقصدوا الله والدار الآخرة تسعدوا فى الدارين اقصدوا بالقرآن أن ينتفع بكم السامع فيكف عن غيه أو يزداد فى الهدى فتكونوا قد دللتم على الخير والدال على الخير كفاعله . كونوا كملة فى انفسكم شعاركم الدين تعرفون بسيماكم فأخص الناس فى الخلق وخيرهم من اذا رؤوا ذكر الله . كونوا كما قال امام القراء وصاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفرطون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون . ابتعدوا عن مواطن الشبه وعن صحبة الفاسقين فإن من وقف موقف التهم اتهم ولا أجر له والقرين يعرف بقرينه .

هذه نصيحتى أهديها لكم لأنكم اخوانى وأبناء جلدتى وقد قدمت لكم فى كتابى هذا مافيه الكفاية فتأملوا مافيه تسعدوا . والله أسأل أن يهدينا جميعا سواء السبيل والله أعلم

خاتمة

اعلم أيها الأخ أن العلماء قديما وحديثا ماتركوا بابا من العلم إلا وطرقوه ولا مسألة من المسائل إلا وتكلموا عليها فلا تمر بمسألة دينية إلا وتجد فيها من الأقوال مالا تحيط به كثرة الا أن الأقوال تختلف لظروف وملابسات فمنها قول وافق الصواب ومنها ماقاربه أو بعد عنه إما لقصور فى فهم قائله أو لهوى قد تأثرت به نفسه لحكم أرادها الله وعلمها ولكن السعيد الموفق من يتبع سبيل جماعة المؤمنين فهو السبيل الذى يحيط به رضوان الله وثوابه وهو الذى يأمن به المؤمن على دينه لأنه السبيل المؤسس على الدعائم الراسخة والأسس التى سار عليها السابقون وتقرب بها الى الله المتقربون وشهد لها ممن لايعلم عددهم الا الله وهم العلماء الذين رضيهم الله شهداء له على على توحيده وسيبقى طائفة ان شاء الله تعالى متمسكين بما تمسك به السابقون لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك حسبما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ هو السبيل الذى تلمسه من قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ومن قوله ﷺ من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام رواه الامام احمد فى مسنده . ومن قوله ﷺ الصلاة المكتوبة الى التى بعدها كفارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارة لما بينهما ثم قال بعد ذلك الا من ثلاث الاشراك بالله ونكث الصفقة وترك السنة قلنا يارسول الله أما الإشراك فقد عرفناه فما نكث الصفقة وترك السنة قال أما نكث الصفقة أن تبايع رجلا بيمينك ثم تخالف اليه فتقتله بسيفك وأما ترك السنة فالخروج

من الجماعة أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة . ومن قوله عليه الصلاة والسلام إن أمتى لن تجتمع على ضلاله فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك ومن قوله ﷺ عليكم بالجماعة واياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة أخرجه الترمذى

فأنت ترى من ذاك أن نبيك الكريم الرؤوف الرحيم يرشدك إلى أنه إذا استعجم عليك أمر دينى ولم يكن عندك من العدة مايوصلك الى غوره وحقيقته فعليك بما عليه الجماعة

اذا لم تر الهلال فسلم لاناس رأوه بالابصار

ولقد كان فى كل زمان ومكان شرذمة قليلون شذوا فى آرائهم وميولهم الدينية فقيض الله فى أزمانهم من يدافع عن الدين ويبطل باطلهم بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة فأماتوا شذوذهم وصارت أقوالهم لاتتجاوز بطون الكتب والناظر فيما ورثه لنا السابقون من الآثار العلمية والكتب القيمة يعرف هذا تمام المعرفة

وانا فى زمان تغيرت معالمه واختلفت أطرافه فقام فيه جماعة متفاصحون يعيبون على القديم وأهله واتبعوا ماشذ من أقوال من كانوا على شاكلتهم فى الأزمان السالفة فهى ليست من مبتكراتهم كما يزعمون فهم أحقر من أن يبتكروا خطأ أو صوابا ومع هذا يزعمون أنهم للدين مجددون لا والله بل هم له هادمون اذا سمعك واحد منهم تقول قال الشافعى كذا أو غيره من العلماء الأعلام قامت قيامته وقال ليس الدين دين الشافعى وكأنهم الذين عناهم رسول الله ﷺ فى الحديث الطويل الذى سمعه حذيفة بن اليمان كما فى الشفاء

وفيه سب آخر هذه الأمة أولها فصلوات الله وسلامه على ذلك الرسول الذى تظهر معجزاته بمرور الأيام والسنين

كثيرا تسمع الواحد منهم يقول أنا محمدى يريد أنه لايتمذهب بمذهب من مذاهب المسلمين زاعما أنه يفهم كما فهموا ويقــــول نحن رجال وهم رجال ولقد ظنوا بأنفسهم أنهم فوق الأئمة ذكاء وعلما وأنهم أقدر على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة وأن التقليد لأمثالهم لايجوز ورأوا أن المذاهب تفرق فى الدين ويستدلون بقوله تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء وبقوله عليه الصلاة والسلام مثل أمتى مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره رواه الترمذى عن أنس فتمما لمن يفهم أنه خير من مالك حجة الله فى أرضه ومن الشافعى عالم قريش ومن أبى حنيفة عالم فارس ومن احمد بن حنبل امام العراق . أما الآية المذكورة فقد نزلت فى حق فرق مختلفة فى العقائد لافى مذاهب فى الشرائع إذ العقيدة واحدة لاتتغير فى مذهب من المذاهب بل الاختلاف فى الفروع توسعة على الأمة ولقد كان ذلك فى الصحابة ولم يعب أحد منهم على الآخر فلقد كان للصديق مذهب ولعمر مذهب ولعلى مذهب وهكذا وأيضا لم يرد عن رسول الله ﷺ أنه جاء بفعل واحد فى الطاعة وأمر بالتزامه ورواه عنه كل أصحابه حتى لو خالفهم أحد خطأوه وإنما هى مرويات من روايات عن أجلائهم واجتهادات فهموها من أصول الدين بل جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال إن شريعتى جاءت على ثلثمائة وستين طريقة ماسلك أحد طريقة منها إلا نجا رواه الطبرانى مرفوعا وأما الحديث المتقدم مثل امتى الى آخره الذى يذكرونه فى مقام أنه يكون فى آخر الأمة من هو خير من أولها فقد جاء بروايات متنوعة منها ماتقدم

ومنها مارواه الترمذى عن أبى الدرداء خير أمتى اولها وآخرها وفى وسطها الكدر ومنها مارواه ابو نعيم فى الحلية مرسلا (ان رسول الله ﷺ قال خير هذه الأمة اولها وآخرها . اولها فيهم رسول الله وآخرها فيهم عيسى بن مريم وبين ذلك نهج اعوج ليسوا منى ولست منهم

فانظر تفسير رسول الله ﷺ للأول والآخر وهم يفسرون الآخر الذى يكون افضل من الأول بأنفسهم الشاذة عن نهج السنة الى البدعة ولو تأملوا كلام الرسول حق التأمل لخافوا على أنفسهم ورجعوا الى الجماعة لأنه ينطبق عليهم الوسط الأعوج الذى تبرأ منه النبى ﷺ والا فأين زمنهم من زمن عيسى بن مريم عليه السلام ورحم الله شوقى حيث يندد على امثال هؤلاء ويقول :

لاتحذ حذو عصابة مفتونة	يجدون كل قديم قوم منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع انكروا	من مات من آبائهم او عمرا
من كل ماض فى القديم وهدمه	واذا تقدم للبناية قصرا
وأتى الحضارة بالصناعة رثة	والعلم نذرا والبيان مثرثرا

وياليت خروجهم كان على المسائل الفقهية والاحكام الفرعية بل خاضوا فى اخطر الامور واخوفها ذلك هو الخوض فى العقيدة التى من حاد عنها كان على خطر عظيم ولقد صدق رسول الله ﷺ فيما اخبر به عن آخر الزمان واهله فإنه قال ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العباد ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال ايضا سيكون فى آخر الزمان

أقوام حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال أيضا لاتقوم الساعة حتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين وقال أيضا لاتقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها الى غيرذلك من الأحاديث الكثيرة الصحيحة التى تنطبق على هؤلاء الشذاذ المتفاصحين فحذار أيها المسلم أن تغتر بزخرف قولهم فيصيدوك بخيوط شباكهم التى هى فى الحقيقة أوهى من خيط العنكبوت وعليك باقتفاء أثر الرسول ﷺ والسلف الصالح وما نقله عنهم أئمة الدين تسعد فى الدنيا والآخرة

هذا وانى أقدم اليك كتابى هذا قبسا من نورهم وهديا من هديهم فإنى أخذته من المصادر العالية والكتب القيمة التى عرفت فى الدين وكانت مرجعا للعلماء السابقين واللاحقين وكان أكثر اعتمادى على خلاصة ماقيل فى تفسير الامام الرازى والبخارى وشرحه لابن حجر العسقلانى ومسلم وشرحه للإمام النووى والمجموع والتبيان له أيضا والشفاء للقاضى عياض والإحياء للغزالى والاتقان للسيوطى والمدخل لابن الحاج وفتح الرحمن لشيخ الاسلام زكريا فعليك بإمعان النظر فيه فإنك تجده روضة من رياض العلم وتشم منه عرفا زكيا وتقتطف من ثمره ثمرا شهيا فهو ان شاء الله موصلك الى السعادة وأى سعادة أعظم مما يقربك الى كتاب رب العالمين وذلك انما يكون بإخلاص النية والتأمل فيه وأن تغض الطرف عما أنا عليه من البضاعة المزجاة والتقصير فى العمل فإن الفضل لله وحده وأنا جدير بأن أقول :

إلهى لك الحمد الذى أنت أهله ... على نعم ما كنت قط لها أهلا
أزيدك تقصيرا تزيد تفضلا ... كأنى بالتقصير استوجب الفضلا

سلكت فى هذا الكتاب سبيل الأمانة فى النقل وخرجت كل حديث فيه مبينا درجته بتخريج علماء الحديث : المعول عليهم فى القديم والحديث وذكرت الخلاف فى المسألة المختلف فيها وأدلة كل وأذكر الراجح منها ويكثر أن أذكره أولا وإنه ليخيل اليك حينما تسمع أقوال المختلفين أنك واقف بين متناظرين كل واحد يدلى بحجته وبراهينه فلا يتم نقاشهم الا وقد عرفت ماهو أولى بالصواب . وإنى لأرجو الله الكريم الوهاب أن يكون هذا نفحة من نفحات رسول الله ﷺ ودعوة من دعواته فإنى والله أقول متحدثا بنعمة الله لافخرا ولا رياء إنى رأيت رسول الله ﷺ قريبا من قبره الشريف جالسا على كرسى وأنا واقف بين يديه أطلب منه الدعاء فقال لى ادع وأنا أؤمن فدعوت وكان من دعائى اللهم اجعلنى من العلماء العاملين وأمن ﷺ على ذلك . فأنا فرح بهذه الرؤيا مادمت حيا لأنها حق ان شاء الله فإن الشيطان لايتمثل برسول الله ﷺ كما فى الحديث الصحيح . ونفسى تحدثنى بأن كتابى هذا أثر من آثار هذه الدعوة المباركة

وختاما أسأل الله سبحانه وتعالى أن يشملنا برحمته الواسعة ووالدينا ومشايخنا وأحبابنا ومن عاوننا فى هذا الكتاب وقوى عزمنا على طبعه وطمعى فى رحمة الله الواسعة أن ينفعنا به يوم لاينفع مال ولا بنون

وثقت بعفو الله عنى فى غد   وإن كنت أدرى أننى المذنب العاصى
وأخلصت حبى فى النبى وآله   كفى فى خلاصى يوم حشرى اخلاصى

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد عدد من صلى عليه وصل وسلم على سيدنا محمد عدد من لم يصل عليه وصل وسلم على سيدنا محمد عدد ماخلقت فى أرضك وسمواتك وزنة عرشك ومداد كلماتك

صلاة وسلاما يتزايدان ويدومان بدوام ملكك فإنه الانسان الكامل الدال بك عليك والمعلم الأول الذى علمته فكان أرفع الناس وأقربهم اليك فاجزه اللهم أفضل ماجزيت به أنبياءك ورسلك وصل وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم وأتباعهم الى يوم الدين .

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

وكان الفراغ من جمعه وكتابته بمدينة بلبيس يوم الاثنين الخامس من شهر ذى القعدة سنة ألف وثلثمائة وثمانية وستين هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ؟

التقـاريظ

كلمة شيخنا الجليل العارف بالله الشيخ (سلامه العزامى)
من أكابر علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى صدقنا وعده وأوفى لنا عهده بدوام تأييد الدين فوفق فى كل زمان لنشر علومه الخاصة المرضيين والصلاة والسلام على النور الأعظم الذى انبثق منه كل نور مبين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وسائر من اهتدى بهديهم من العلماء العاملين واجعلنا منهم ومعهم يارب العالمين وبعد :

فقد اطلعنا فى هذه الأيام على كتاب قيم كل مسائله بين غرر ودرر وحقائق شريفة ودقائق منيفة تلقب «بكشف النقاب عن بعض علوم الكتاب» له من اسمه النصيب الأوفى ومن مسماه المعنى الأسمى دبجته براعة اللوذعى الكامل ونسجته قريحة العلامة العامل الأستاذ الشيخ ابراهيم ابراهيم الامام ومن أنعم النظر فى الكتاب وجده قد أحاط بموضوعات لا يصح لمحب القرآن الجهل بها ولا يجمل بالمؤمن الدين إلا أن يلم بها وقد صيغت فى أسلوب يروق للخاصة ولا يصعب على العامة فنسأل الله تعالى أن يحله محل القبول وأن يبلغ مؤلفه لديه أفضل مأمول وينظمه فى عقد المرضيين عنده وعند رسوله وأن ينفع بهذا الكتاب الأمة بجاه خاتم النبيين وافضل الخلق اجمعين عليه وعلى آله افضل الصلوات واكمل التحيات ؟

« سلامه العزامى »

٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٨

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل (الشيخ على النصيرى)
القاضى الشرعى بالمحاكم الشرعية

بسم الله الحمد لله نحمده ونستعينه ونشكره على سوابغ نعمه وجزيل عطائه ونصلى ونسلم على محمد الذى أنزل عليه قرآنا كريما ونورا مبينا أخرج به العالم من دياجير الجهالة إلى نور المعارف والهداية وعلى آله وعترته ومن اقتفى أثرهم الى يوم الدين وبعد :

فقد اطلعت على الكتاب الموسوم (بكشف النقاب عن بعض علوم الكتاب) لفضيلة الأستاذ العالم العامل ، الشيخ ابراهيم ابراهيم الإمام ، فألفيته جم الفائدة عظيم العائدة لفظه جذاب ومعناه خلاب قد غاص مؤلفه على اللآلىء فالتقطها والأبحاث العلمية فحققها والبدع فأظهرها ففتح الله تعالى بكتابه الأبصار من عمايتها والقلوب من أكنتها وشرح الصدور من ضيقها وهذا دليل ساطع وبرهان قاطع على صدق نية مؤلفه وكبير علمه وعظيم ماأسدى للأمة الاسلامية وخاصة الناظر فى القرآن وحملته .

هذا وإنى أتوقع لكتاب فضيلة الأستاذ رواجا بين المسلمين ونفعا عاما شاملا ليكونوا عاملين بقول رسول الله ﷺ فيما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لايعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنى لاأقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف والله يهدينا سواء السبيل ؟

(على على النصيرى)

كلمة فضيلة الأستاذ العالم العلامة (الشيخ عبد الرحمن اسماعيل الشافعى)
من أفاضل علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى تعهد لكتابه العزيز بالحفظ من أباطيل المبطلين وتحريف الملحدين وشبه الزائغين (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والصلاة والسلام على من اختصه الله تعالى بالشفاعة العظمى والمقام الأسمى سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين أما بعد :

فإن الكتاب المسمى (كشف النقاب عن بعض علوم الكتاب) الذى ألفه العالم العلامة المحقق البحاثة الحجة المدقق فضيلة الشيخ ابراهيم ابراهيم الإمام كتاب قد حوى من مسائل العلوم الدرر الحسان وكشف عن مخدرات ذخائر من كنوز القرآن الكريم ماأشكل على كثير من الناس وبينها أتم بيان فهو روض يسر الناظرين ونور يضىء لطالب الحق سبيل المسترشدين وقبس من مشكاة النور المحمدى يهدى قارئه الى الحق والى طريق مستقيم ويكشف عن أسرار كثير من مقاصد الذكر الحكيم لاغنى لكل مسلم يبغى التبصر فى دينه عن اقتنائه والنظر فيه والتمتع بروائه .

أسأل الله الكريم أن يتقبله من مؤلفه بقبول حسن وأن يجزيه على تأليفه خير الجزاء وينفع به بمنه وكرمه إن ربى لسميع الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين ؟

الفقير الى الله
عبد الرحمن بن اسماعيل الشافعى

٢٦ من ذى القعدة سنة ١٣٦٨

﴿ فهرس كشف النقاب عن بعض علوم الكتاب ﴾

صفحة

٣ كلمة مهداة من أخ أديب

٤ خطبة الكتاب وفيها السبب الباعث على تأليفه

٧ مقدمة فى أسماء القرآن ومعنى كل اسم منها وحكمة تسميته بذلك وأول من سماه بالمصحف

٩ قسم القرآن الى أربعة أقسام وجعل لكل قسم منه اسم

٩ يطلق القرآن على الكلام النفسى وعلى اللفظ المنزل

١١ نزول القرآن وجمعه وبيان المدة التى نزل فيها والسر فى نزوله منجما والفرق بين جمع أبى بكر وعثمان والسبب فى ذلك وعدد المصاحف والجهات التى أرسلت اليها والسنة التى كتب فيها

١٨ ترتيب آيات القرآن وسوره باستيفاء

٢٢ وجه اعجاز القرآن وبيان أن النبى ﷺ تحدى به العرب فعجزوا وأنه سلك بهم فى التحدى طريق التدلى وفيه اختلاف العلماء فى الجهة التى كان بها معجزا وبيان المقبول والمردود منها واختلاف العلماء فى القدر المعجز

٣١ هل القرآن محكم أو متشابه

٣٢ شبه الطاعنين فى القرآن وردها وفيه بيان أن القرآن جمع علوم الأولين والآخرين

٤٠ نزول القرآن على سبعة أحرف وحكمة ذلك وأنه كان بالمدينة

٤٤ الكلام على النسخ وبيان شروطه وأنواعه وحكمته

﴿ الفهرس ﴾

صفحة

٤٩ تكميل وايضاح لما نسخ حكمه دون تلاوته
٥١ فى فضل قراءة القرآن والعمل به وأن مقاصده فى الفاتحة اجمالا . وفيه فضل بعض السور وهل يفضل بعض القرآن على بعض . وأن الحديث الطويل الذى ذكر فى البيضاوى فى آخر السور موضوع ومن الذى وضعه
٥٧ فى عقوبة ترك القرآن ونسيانه وأنه كبيرة
٦٠ كيفية قراءة النبى ﷺ واستماعه للقرآن وفيه سماع النبى ﷺ من ابن مسعود وقراءته على أبى بن كعب والحكمة فى ذلك
٦٢ حكم قراءة القرآن بالألحان وبيان الأحاديث الواردة فى ذلك
٦٥ مبلغ اجتهاد السلف الصالح فى القراءة وفيه الحث على ذلك بمواعظ نثرية ونظمية
٦٩ حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن وقراءته ووصول ثوابها للميت وتفسير وأن ليس للإنسان إلا ماسعى
٧٤ حكم اهداء القراءة له عليه الصلاة والسلام
٧٧ حكم تفسير القرآن بالرأى وذكر الأمور التى لابد منها للمفسر
٨٣ فائدة حسنة لها ارتباط بما قبلها تنير للمفسر كثيرا من الألفاظ القرآنية
٨٥ حكم الكلام وشرب الدخان فى مجلس القرآن
٨٧ حكم قراءة الجماعة مجتمعين وفضل القارئين من الجماعة والسامعين وفضل من حرضهم على جمعهم هذا
٨٩ الوقف والابتداء واصطلاح العلماء فيه باستيفاء

﴿ الفهرس ﴾

صفحة

٩٣ فوائد ثلاث

٩٤ حكم القراءات بالجمع ومذاهب العلماء فى هذا قديما وحديثا

٩٦ فصل فى الآيات المتشابهات والمراد ايراد الآية الواحدة فى صور شتى وفواصل مختلفة وتوجيه ذلك

١١٥ أمثال القرآن وفائدتها وانقسامها الى قسمين مصرح به وكامن وأمثلة منهما

١١٨ فصل فى آيات تتعارض مع أخرى ظاهرا وأمثلة لها وجواب كل

١٢٠ فصل فى آيات ظاهرها مشكل وأمثلة منها والجواب عنها

١٢١ فصل فى مسائل متفرقة : المسألة الاولى فى قسم القرآن

١٢٣ المسألة الثانية فى فواتح السور

١٢٤ « الثالثة فى خواتم السور

١٢٥ « الرابعة وفيها فوائد متفرقة

١٢٦ « الخامسة فى أول ما نزل من القرآن وآخره

١٢٨ « السادسة فى معرفة السبع الطوال والمئين والمثانى والمفصل

١٢٩ « السابعة فى معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج

١٣١ فائدة : اختلاف فى العمل بالقراءة الشاذة

١٣٢ المسألة الثامنة فى البسملة وأقوال العلماء فيها وأدلة كل والقول الراجح من ذلك

(الفهرس)

صفحة

١٣٥ المسألة التاسعة فى خواص القرآن وأنه شفاء من الأدواء الحسية كما هو شفاء من الأمراض المعنوية وذكر شيء مما ورد من الأحاديث فى ذلك

١٣٧ فائدة : قال النووى فى شرح المهذب

١٣٧ فصل فى فروع فقهية تتعلق بالمصحف

١٣٩ فائدة فيما يبقى نفعه بعد الموت مما جاءت به الأحاديث وقد نظمها السيوطى

١٣٩ فصل فى آداب قراءة القرآن وهو مما يحرص القارىء أن يطلع عليه

١٤٣ ومما يتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور

١٤٤ فصل فى مسائل غريبة تدعو الحاجة اليها

١٤٥ وتكره القراءة فى أحوال مخصوصة جاء الشرع بالنهى عنها

١٤٥ فصل فى آداب الناس كلهم مع القرآن

١٤٧ مس المصحف وحمله وأقوال العلماء وأدلة كل والمختار منها

١٥٠ فصل فى سجود التلاوة وبيان محالها والأحكام الفقهية المتعلقة بذلك

١٥٥ فصل فى مسائل تتعلق بالختم

١٥٦ فائدة لحفظ القرآن والعلم

١٥٨ فصل فى المنثورات والملح وفيه تنوع مخاطبات القرآن ومن محاسنه وبدائعه مااشتمل عليه من الايجاز والاطناب وأمثلة من كل منهما وفيه حكمة تكرير بعض القصص دون بعض

١٦٥ ومن محاسنه مااشتمل عليه من أسماء الله الحسنى وحكمة الاكثار منها

﴿ الفهرس ﴾

صفحة

وعددها وعدد لفظ الجلالة وكذا عدد لفظ الرب وبيان أنهما أكثر الأسماء ذكراً فى القرآن
١٦٦ معنى ماورد فى صحيحى البخارى ومسلم من حصر الأسماء الحسنى فى تسعة وتسعين اسما
١٦٦ الفرق بين القرآن والحديث القدسى والحديث النبوى
١٦٧ تفسير آيات من كتاب الله تعالى والباعث عليها
١٦٧ عصمة الملائكة والأنبياء والأدلة العقلية والنقلية على ذلك
١٦٩ قصة هاروت وماروت والقول الصحيح فيها وتزييف مايذكره القصاصون من الاسرائيليات
١٧٠ تفسير قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة الآية وفيها الآراء الصحيحة التى تتفق وعصمة آدم عليه السلام
١٧٢ تفسير قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآيات وفيها نزاهة يوسف عليه السلام
١٧٥ تفسير قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل الآيات وفيها بيان معصية آدم عليه السلام
١٧٧ تفسير قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى الآيات وفيها قصة الغرانيق
١٨١ تفسيرقوله تعالى وما كان لمؤمن ولامؤمنة الآيات وفيها قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش

﴿ الفهرس ﴾

صفحة

١٨٤ تفسير قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الآيات وفيها قصة سيدنا داود عليه السلام
١٨٧ تفسير قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان الآيات
١٨٩ تفسير قوله تعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب
١٩٠ تفسير قوله تعالى عبس وتولى الآيات والحامل على تفسيرها
١٩٢ تفسير قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم
١٩٤ تفسير قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الآيات وفيها معنى ووضعنا عنك وزرك
١٩٧ تفسير سورة الفلق والكلام على حديث السحر
٢٠٠ الاستواء على العرش وبيان آراء السلف والخلف والأقوال التي ارتضاها كثير من المحققين
٢٠٧ الآراء الباطلة في الاستواء وأدلة القائلين بها وردها
٢٠٨ عقيدة أهل السنة التي من اعتقدها كان مع جماعة المسلمين السعداء إن شاء الله تعالى وبيان من ذكرها
٢١٠ حكم من يقول بالاستواء على العرش
٢١٠ حكمة ذكر المتشابهات في الأحاديث والآيات
٢١٢ نصيحتي الى قراء القرآن الكريم
٢١٦ خاتمة وفيها التحذير من السير على الآراء الشاذة والخروج على الجماعة

